دار الكتب المصرية

القسم الأدبى

ديوان صردر

نظم الشاعر

الرئيس أبى منصور علىّ بن الحسن بن علىّ بن الفضل

الشهير بصرّ درّ

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

فهرس

قوافى ديوان صَرَّدُرّ

قصائد هـذا الديوان غير مرتّبة فى الأصل على الحروف الهجائيّـة، فطبعناها كما هى، ووضعنا لها هذا الفهرسَ على الترتيب الهجائىّ لسهولة المراجعـةِ فى هذه الطبعـة، والحروفُ الهجائيّةُ التى لم تُذكَرْ هنا لا يوجدُ منها شىءٌ للشاعر فى هـذا الديوان .

ديوان صَرَّدُرّ

أخرجتْ دارُ الكتب المصريّة هذا الديوانَ النفيسَ للشاعر المشهور، والكاتب المعروف "بصَرَّدُرّ" فى عصرِ حضرة صاحبِ الجلالة مليك مصر المعظَّم

"فؤاد الأوّل"

حفِظه الله وأقرَّ عينَىْ جلالتِه بولىِّ عهده المحبوب

"أمير الصعيد"

صَـــرَّدُرّ

طالعنا طائفــةً كثيرةً من الكتب الأدبيّة والتاريخيّة لنقف منها على ما تحدّثنا به عن حياةِ هذا الشاعر، وإنا لنذكرُ من هذه الكتب "مرآة الزمان" و"النجوم الزاهرة، فى ملوك مصر والقاهرة" و"شذرات الذهب" وتاريخ ٱبن كثير المسمّى "البداية والنهاية"، وكتاب "وفيات الأعيان" و"المنتظم، فى تاريخ الملوك والأمم" و" الكامل " لٱبن الأثير . وقد ورد ٱسم هــذا الشاعر فى بعض هــذه الكتب مضبوطا بالقلم بفتح " الصاد " وورد فى تاريخ " الكامل " و" المنتظم " مضبوطا بضمّها . ويظهـر أنّ المرحوم البارودى كان من المرجّحين ضبطه بالفتح إذ ضبطه كذلك فى غير موضـع من مختاراته . ونحن ليس لدينا ما نستيقن به وجه الصواب فى ضـبطه . بَيْدَ أنّ البيتين اللذين قالهما " الشريف أبو جعفر المعروف بالبياضىّ " وهو أحد الشعراء المعاصرين لصاحب الترجمة يهجوه بهما يرجّحان فتح " الصاد " ، وهما :

لئن لقّب الناسُ قِدْما أباكَ ... وسمّوْهُ من شُحّه "صَرَّ بَعْرا"

فإنكَ تنــثُرُ ما " صَــرَّه " ... عُقوقا له وتُسمّيه شِــعرا

* * *

وأمّا سيرة حياته فقد ٱتفقتْ هــذه الكتب على ترجمةٍ كادت تكون متشابهةً فى جُمَلها وألفاظِها، ونحن ننقلُها هنا عن كتاب " وفيات الأعيان " قال :

"هو الرئيس أبو منصـور علىّ بن الحسن بن علىّ بن الفضل الكاتب المعروف والشاعر المشهور "بصرَّ دُرّ"، أحد نجباء عصره، جمع بين جَودةِ السبكِ وحُسن المعنَى،

وعلى شعره طُلاوةٌ رائقة، وبهجةَ فائقة، وله ديوانُ شعرٍ صغير، وإنما قيل له "صرّ دُرّ" لأن أباه كان يُلقَّبُ "صرَّ بَعْر" لشُحِّه، فلمّا نبغ ولدُه المذكور، وأجاد فى الشعر، قيل له: "صرَّدُرّ"[1].

وكانت وفاتُه سنة خمس وستين وأربعمائة هجرية؛ وكان سببُ موته: أنه تردَّى فى حُفرةٍ حُفرتْ لأسد فى قريةٍ بطريقِ خراسان، وكانت ولادته قبل الأربعمائة". اهـ.

+ + +

وقد نُقلت هذه الطبعة عن نسخةٍ خطيّة كتبها لنفسه بقلمه المرحوم محمود سامى البارودى باشا، وهى محفوظةٌ بدار الكتب المصريّة تحت رقم ٥٠٨ أدب. واحتفاظا بخطه رحمه الله نقلنا له بالتصوير الشمسى نبذة بخط يده لتكون خير أثرله على ممرّ الأيام، وهى النبذة المذكورة فى صفحة ٢٣٤

وقد شرحنا ما غمض من الكلمات شرحا وافيا يقرِّب معانىَ الأبيات الى الأذهان. ولا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نُهدىَ آىَ الشكر الى حضرتى صاحب العزّة المربّى الكبير محمّد أسعد برّاده بك مدير الدار، وصاحب الفضيلة السيّد محمد البيلاوى نقيب الأشراف ومراقب إحياء الآداب العربيّة، لما قاما به نحونا من إرشاد، وما شملانا به من رأيٍ تحيط به الأصالةُ والسداد. ونشير كذلك الى المعاونة التى لقيناها من حضرة الأستاذ أحمد زكى العدوى رئيس القسم الأدبىّ بدار الكتب المصريّة ومن حضرات العلماء والأدباء المصححين به، فلهم منا جميعا أجزل الثناء وأجمل الإطراء ،،

أحمد نسيم
بدار الكتب المصرية

---

(١) أول من لقبه بهذا اللقب نظام الملك، كما فى الكامل لابن الأثير.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الرئيسُ [أبو عليّ] (١) أبو منصور عليّ بن الحسن بن عليّ بن الفضل الكاتب رحمه اللهُ يمدحُ الإمامَ القائمَ بأمرِ الله (٢) — قدَّس اللهُ ضريحَه — :

كما قلتُما : بُرءُ الصبابةِ في اليأسِ ⁂ وليس لها غيرَ التجلُّدِ من آسِ (٣)

فما في الهوى مَرعًى يطيبُ لذائقٍ ⁂ ولا موردٌ عذبٌ يلَذّ به حاسِ (٤)

سؤالُ مغانٍ (٥)، ربعُها أخرسُ الصَّدَى (٦)، ⁂ وشكوى إلى مَن قلبُه ليِّنٌ قاسِ

أيَبيضُّ فَرعي (٧) والجوى في جوانحي ⁂ كأنّ الهدى ياقلب مسكنُه راسي

وما هذه اللِّمَّاتُ (٨) إلا صحائفٌ ⁂ محاها بياضُ الشَّيب عن لونِ قِرطاسِ (٩)

كأنَّ الرُّقَى مما عدِمت شفاءَها ⁂ تَعلّمها الراقون من بعد وَسواسِ

مَددتُ يدًا نحوَ الطبيب فردَّها ⁂ إلى النَّحر واستغنى بإخبار أنفاسي

وما زال هذا البرقُ حتّى استفزّني ⁂ سَنَا (١٠) كلِّ وقّادٍ ولو ضوءُ نِبراسِ (١١)

وليلِ وِصالٍ أسرعَتْ خُطُواتُه ⁂ بهجعةِ سُمَّارٍ وغفلةِ أحراسِ

---

(١) كذا بالأصل . ولم نجد في المظان ما يؤيد ثبوتها . (٢) القائم بأمر الله : اسمه عبد الله أبو جعفر بن القادر بالله ، ولد سنة ٣٩١ هجرية وتولى الخلافة سنة ٤٢٣ هـ ومات سنة ٤٦٧ هـ ؛ ومكث في الحكم ٤٤ سنة . (٣) الآسى : الطبيب . (٤) الحاسى : الشارب .

(٥) مغان : جمع مغنى وهو المنزل . (٦) الصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت بمثل صوته .

(٧) الفرع : الشعر . (٨) اللمات : جمع لمة — بكسر اللام — وهى الشعر المجاوز شحمة الأذن .

(٩) القرطاس : الصحيفة . (١٠) السنا : الضوء . (١١) النبراس : المصباح .

فمـا قُصَّ للنَّسرين[١] فيـه قوادمٌ[٢] ... ولا رُبِطتْ ساقُ "الثريّا"[٣] بأمراسِ[٤]

ضحــوك ثنيّـاتِ الصّباح تخالُه ... ضياءَ إمامِ الحقّ من آلِ "عبّاسِ"

هــو الوارثُ النُّور الذى كان آيةً ... لآبائه المـاضين من عهد "إلياس"

فلو لم يكن للنـاس فى الليل راحةٌ ... لضوّأ[٥] من لألائه كلَّ ديمـاسِ[٦]

كأن " رسـولَ الله " ألقَى رداءَه ... من " القائمِ" الهادِى على جبلٍ راسِ

ضمــيرٌ جلاه صَيقلُ[٧] الحلم والتُّـقَى ... وكفٌّ حباها الله بالجودِ والبـاسِ

ومحتجب بالعــزّ لولا مكانه ... لرُجَّت نواحى هذه الأرض بالناسِ

زمانُ الورى فى ظلّه وجنابه ... كأيّام تشريق[٨] وليـلاتِ أعراسِ

رعاهم بروض الأمن غِبَّ مخافـةٍ ... وألبسهم ثوبَ الغنى بعـد إفلاسِ

وراضَ الجَموحَ[٩] للـذَّلولِ[١٠] برفقــهِ ... فمـا بينهـم إلا موازينُ قِسطاسِ[١١]

حِماهُ هــو البيتُ العتيقُ ، ظباؤه ... حرامٌ على عبَل[١٢] الذراعين فرّاسِ

---

(١) النسران : نجمان يقـال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر : النســر الواقع .

(٢) القوادم : عشر ريشات فى مقـدّم الجناح ، وهى كبار الريش ، والخوافى صـغاره وهى تحت القوادم ، واحدها : قادمة .

(٣) الثريا : سبعة كواكب ، سميت بذلك لكثرة كواكبها .

(٤) أمراس : جمع مرس وهو الحبل .

(٥) ضـوأ : أنار .

(٦) الديمـاس : المكان العميق الذى لا ينفـذ إليه الضـوء ، وسمى سجن " الحجاج " بالديمـاس لظلمتـه .

(٧) الصيقل : شحاذ السـيوف وجلاؤها .

(٨) أيام التشريق : هى ثلاثة أيام بعد يوم النحر ، لأن لحم الأضاحى يشرق فيها .

(٩) الجمـوح : الذى لا يثنيه شىء .

(١٠) الذلول : المنقاد .

(١١) القسطاس : العدل .

(١٢) العبل : الضخم — والمراد به الأسد — .

فلو كان فيه ناقة الله عاقرا — أخو "وائل" ماذاق طعنة "جساس" (١)

وما ضرّ من كان الإمامُ سحابَهُ — تقاعدُ لمّاعِ البوارق رجّاسِ (٢)

لسيّارةِ المعروف فى صُلبِ مالِهِ — غنائمُ لم تُقسم عليها بأخماسِ (٣)

له من صوابِ الظنِّ بالغيب مخبرٌ — ولا خيرَ فى رأى آمرئ غير حسّاسِ

وليس لأحقادٍ ذُكرنَ بذاكرٍ — ولا لحقوق الله يُنسَينَ بالنّاسى

ولولاه كانَ الدّين فقْعًا (٤) بقرقرٍ (٥) — يُداسُ بأظلافٍ (٦) ويُفرَى (٧) بأضراسِ

سقاه مياه العز فاخضرّ مُورِقًا — وأينعتِ الأفنانُ (٨) فى عُودِهِ العاسى (٩)

فلا تنشُروا للباطلِ اليومَ رايَةً — وهل يُنشَر المدفونُ فى قَعر أرماسِ (١٠)

---

(١) هو كليب بن ربيعة وهو الذى يقال فيه : أعز من كليب وائل ؛ والشاعر يشير إلى قصته وهى بإيجاز : كانت البسوس خالة جساس بن مرة نازلة فى بنى شيبان مجاورة لجساس وكان لها ناقة تسمى "سراب" فرت إبل لكليب بسراب هذه وهى معقولة فى فناء بيتها جوار جساس بن مرة ، فلما رأت "سراب" الإبل نازعت عقالها حتى قطعته وتبعت الإبل واختلطت بها حتى انتهت إلى كليب وهو على الحوض معه قوس وكنانة ، فلما رآها أنكرها ورماها بسهم فخرم ضرعها فنفرت الناقة وهى ترغو ، فلما رأتها البسوس ألقت خمارها من على رأسها وصاحت : واذلاه وجاراه ، وأحمست جساسا فركب فرسا له حتى دخل على كليب فطعنه جساس فقصم صلبه ، فقامت الحرب بسبب ذلك وهى الحرب المشهورة بحرب البسوس ؛ والعرب تقول فى ذلك : أشأم من سراب ؛ وأشأم من البسوس . ويقال : إنها دامت بين بنى بكر وتغلب أربعين سنة وانتهت بقتل جساس .

(٢) الرجاس : السحاب الشديد الصوت .

(٣) الأخماس : جمع خمس وهو نصيب يؤخذ فى الغنائم ، يقال : ربع فى الجاهلية وخمس فى الإسلام أى أخذ ربع الغنيمة فى الجاهلية وخمسها فى الإسلام .

(٤) الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة ؛ يقال للذليل : هو أذل من فقع بقرقر .

(٥) القرقر : الأرض المطمئنة اللينة .

(٦) أظلاف : جمع ظلف وهو خف البعير ، أو حافر الفرس .

(٧) يفرى : يشق و يقطع .

(٨) الأفنان : الأغصان واحدها فنن .

(٩) العاسى : الذى غلظ وصلب من النبات .

(١٠) أرماس : جمع رمس وهو القبر .

يؤيده الرحمن فى كلّ موقف   بنصر يعود الليثُ وهـو به خاسِ [1]

جيوشٌ من الأقـدارِ تُفْنِى عُداته   بلا ضربِ إيثاخ ولا طعنِ أشناسِ [2]

وكم شهـدَتْ يوما أغرَّ محجّلا   تُخلّده الأقـلامُ ذِكرا بأطراسِ [3]

يُسا كِلُ "بدرا" [4] والملائكُ حُضَّرٌ   وَيذكُرُ جندا أُنزِلتْ يومَ "أَوْطاسِ"

وقـد عِلم المصرىُّ [5] أنَّ جنودَه   سِنُو "يوسف" منهاوطاعونُ "عَمْواسِ"

أحاطتْ به حتّى آستراب بنفسهِ   وأوجس فيهـا خِيفـةً أىَّ إيجاسِ

قصورٌعلى "الفسطاط" [6] أضحتْ كأنها   قفـارُ ربوعٍ "بالسَّماوة" [7] أدراسِ [8]

سهامُ "أميرِ المؤمنين" مكايدٌ   ورُبَّ سهامٍ طرنَ عن غيرِ أقواسِ

هو المصطَفِى التقوَى متاعًا لنفسه   يجـوهرها حالِ بسُندُسِها كاسِ

إذا وطِئت شُوسُ الملوك بساطَه   تضاءل منهـا كلُّ أغلبَ [9] هِرماسِ [10]

تخِـرُّ بهِ شُمُ الجماجم سُجَّـدا   ويخشعُ فيـه كلُّ ذى خُلُق جاسِ [11]

---

(١) الخاسى : الصاغر الذليل . (٢) ايثاخ وأشناس : كذا بالأصل ولعل الأولى "أثباج" جمع ثبج وهو ما بين الكاهل الى الظهر ؛ والثانية لم نوفق الى مراد الشاعر منها . (٣) أطراس : جمع طرس وهو الصحيفة . (٤) بدر : ماء مشهور بين مكة والمدينة وبهذا الماء كانت الوقعة التى أظهر الله بها الإسلام وفرق بين الحق والباطل . وأوطاس : واد فى ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين للنبى صلى الله عليه وسلم . (٥) يشير الشاعر الى الغلاء الذى حصل فى مصر أيام المستنصر العباسى . وعمواس : كورة بفلسطين بالقرب من بيت المقدس ، وفيها كان ابتداء الطاعون فى أيام سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم فشا فى أرض الشام فأهلك خلقا كثيرا وذلك فى سنة ١٨ من الهجرة . (٦) الفسطاط : مصر القديمة . (٧) السماوة : بادية بين الكوفة والشام . (٨) أدراس : بالية . (٩) الأغلب : الأسد الغليظ الرقبة . (١٠) الهرماس : الأسد الشديد . (١١) الجاسى : الجافى .

يُحيُّون من جسم النبوة بَضعةً
هى القلبُ فى الحَيزوم (١) والعينُ فى الراسِ

ويَغشَون قَوْما من "لؤىّ بن غالبٍ"
يعــدِّد فى أنسابه كلَّ قِنعاسِ (٢)

من الخلفاءِ الرافعين بِناءهم
بأطـولِ أعمادٍ وأثبتِ آساسِ

رعَتْ ذممَ الإسلام منهــم كوالئٌ (٣)
وسيست أمورُ الملكِ منهم بسُوّاسِ

نجومٌ إذا السارون ضلُّوا هدتهُــمُ
هــدايةَ نيرانٍ رُفعن بقُرناسِ (٤)

قِداحُهُــمُ يومَ الفخار فــوائزٌ
وأسهمُهم إن نازلوا غــيرُ أنكاسِ (٥)

همُ ملئوا الدنيا بطيبِ حديثِهــم
كما ملأ الأسمــاعَ قعقاعُ (٦) أجراسِ

كرهبانِ ليلٍ لا تلائمُ مضجَعا
وأُسْدِ صباحٍ ما تَقِــرُّ بأخياسِ (٧)

وما منهــمُ من ملَّك البِيضَ (٨) قلبَــه
ولا طِمعتْ فى لُبِّه وثبةُ الكاسِ

عَتادُهم فى حَجِّهــم وجِهادهم
جراجرُ (٩) أجمالٍ وتَصهالُ أفراسِ

أولئــك آباء الإمامِ ورهطُــهُ
أصولُ كرامٍ زيَّنتْ خيرَ أغراسِ

عَمِرتَ "أميرَ المؤمنين" بنعمةٍ
وعيشٍ صفيقِ (١٠) الظلِّ أخضرَ ميَّاسِ

ولا زالت العلياءُ عنــدك وفدُها
يروح بأنواعٍ ويغــدو بأجناسِ

---

(١) الحيزوم : الصدر. (٢) القنعاس : الرجل الشديد المنيع . (٣) الكوالىء : الحفاظ .
(٤) القرناس — بكسر القاف وضمها — : شبه الأنف يتقدّم من الجبل . (٥) الأنكاس : السهام الضعيفة التى ينكسر فوقها ، واحدها : نكس — بكسر النون — (٦) فى الأصل هكذا "تقعاع" .
(٧) الأخياس : بيوت الآساد ، واحدها خيس . (٨) البيض : الجوارى الحسان .
(٩) الجرجرة : ترديد صوت البعير فى حنجرته ، والتصهال : الصهيل وهو صوت الفرس .
(١٠) الصفيق : الثخين المنسوج نسجا متينا ؛ وهو مجاز .

أبحتَ حِمَى الإحسانِ حتّى أصابه ... معاشرُ من نَيـل المنى غيرُ أكياسِ
وما نعـمةٌ إلا أفضتَ لباسَها ... على من عهدناه لها غيرَ لبَّاسِ
مواهبُ فيها لابنِ حِصنٍ وحابسِ ... نصيبٌ، فهلَّا مثلُه لابن مِرداسِ؟
فمالى وبحرُ الفضل عنـدك زاخرٌ ... يطاوَل فى دار المُقامة أحلاسى[1]!!
إذا رُفعت نارُ القِرَى لك أُوقدتْ ... مَصابيحُ لم يُستدنَ فيهنَّ مِقباسى
أعوذُ بواديك المقـدَّسِ أن أرى ... فريسةَ قنّاصٍ من الدهرِ نهّاسِ[2]
بلا رِقبـةٍ جَـورُ الزمان وعدلُهُ ... وتحريجُـه جارٍ على غير مقياسِ
فإن تصطنـعْ نُعْمى فأنتَ وليُّها ... وهيهاتَ تُقضَى من رجائك أحلاسى[3]
ينال بأدنى القولِ منك مدَى العلا ... ولا عجبٌ أن يُحضر الدُّرُّ بالماسِ
وإن كان ثدىُ الجود عندك حافلا[4] ... فقـد يُمتَرى[5] دَرُّ اللَّبون[6] بإبساسِ[7]
تعامت لنا الأيامُ عنك وأبلستْ[8] ... نوائبُها عن قصـدها أىَّ إبلاسِ
فليست صروفُ الدهرِ ـ مادمتَ سالما ... مُعاشرَ أهليها ـ بخوفٍ ولا باسِ

---

(١) أحلاس : جمع حلس وهو كل شىء ولى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج ، وفى الأصل : * ومالى وبحر الفضل عنـدى * الخ وحلامى بدل أحلاسى ولعل ما رجحناه أقرب الى الصواب . (٢) النهاس — بالمهملة — : النهاش — بالمعجمة — (٣) أحلاس : جمع حلس وهو الرابع من سهام الميسر وله غنم أربعة أنصباء ؛ والحلس أيضا العهد والميثاق . (٤) حافلا : ممتلئا . (٥) يمترى : يحلب . (٦) اللبون : كثيرة اللبن . (٧) الإبساس : دعاء الناقة للحلب .
(٨) أبلس : تحير ولم يهتد .

وقال يمدح رئيس الرؤساء أبا القاسم بن المسلمة [١] :

لو كنتُ أُشفقُ من خضيبِ بنانِ ... ما زرتُ حيَّكُمُ بغـير أمانِ
يا صـبوةً دبّت إلىَّ خديعـةً ... كالخمـر تسرقُ يقظـةَ النشوانِ
أُنظرْ فما غضُّ الجفـون بنافع ... قلبا يَـرى ما لا تَـرى العينانِ
ولقـد محا الشَّيبُ الشبابَ وما محا ... عهـدَ الهوى معـه ولا أنسانى
فعلمتُ أن الحبَّ فيـه غَـوايةٌ ... مغتـالةٌ للشَّيبِ والشُّبّانِ
ما فـوق أعجازِ الركابِ رسالةٌ ... تُلهى، ففـيمَ تحيّـةُ الرُّكبانِ؟!
عذرا، فلو علمـوا جواك لساءلوا ... غِزلانَ "وَجرةَ" [٢] عن غصون البانِ
قُولا لكُثبان "العقيقِ" [٣] : تطاولى ... دون "الحِمَى" أقـدُرْك بالطَّمحان
ولينسِفَنَّ الرمـلَ زَفرةُ مدنفٍ ... إن لم يُعِنْـهُ الدمع بالهمـلانِ
عَجِـل الفريقُ وكلُّ طَرفٍ إثرَهم ... متعـثِّرُ اللحظاتِ بالأظعانِ [٤]
وكأنما رُدْناىَ [٥] يـومَ لقيتُهـا ... بالدمع قد نُسِجا من الأجفان
كلِّفْ تجـلُّدِىَ الذى يسـطيعُهُ ... هـل فىَّ إلّا قـدرةُ الإنسانِ

(١) هو على بن الحسين كان فى بيت رياسة ومكانة استكتبه القائم بأمر الله العباسى ثم استوزره ولقبه "رئيس الرؤساء" . ولد فى شعبان سنة ٣٩٩ هجرية وقتل سنة ٤٥٠ ، وله تاريخ طويل يرجع اليه فى مظانه . (٢) وجرة : موضع بين مكة والبصرة مكتظ بالوحش . (٣) الكثبان : جمع كثيب وهو التل من الرمل ، والعقيق : ناحية بالمدينة . (٤) الأظعان : الإبل تحمل النساء ، أو هى الهوادج يجلسن فيها . (٥) الردن : الكم .

ولئن فررتُ من الهوى بحُشاشتى فالحبُّ شرُّ متالف الحيوانِ
يدرى الذى نضح الفؤاد بنَبْله أن قد رمى كَشحيهْ (١) حينَ رمانى
لو لم تكن عينى على أطلالهم عُقِرتْ لما سَفحتْ بأحمرَ قانى
متأولين على الجفون تجنِّيًا فالدمع يُمطرهم بذى ألوانِ
ولو أنه ماءٌ، لقالوا : دمعُهُ رِيقٌ، وجفنا عينِه شَفتانِ
ظمئ إلى ماء "النُّقَيْبِ" (٢) لأنه وِرْدُ اللَّمى (٣) ومناهلُ الأغصانِ
ولَنِعمَ هينمةُ النسيم محدِّثا عن طِيبِ ذاك الجيبِ والأردانِ (٤)
إن لم يكن سهلُ "اللوى" (٥) وحزونُهُ وطنى فإنَّ أنيسَه خُلَّانى
ولو أنهم حلُّوا "زرودَ" (٦) منحتُهُ كَلَفى وقلتُ : الدارُ بالجيرانِ
عُلِّقَ تلاعبُ بى ورُبَّ لُبانةٍ "شاميَّةٌ" شغَفتْ فؤادَ "يمانى"
هل تُبلغنِّى دارَهُمْ مزمومةٌ بالشوقِ موقَرةٌ (٧) من الأشجانِ؟
فعسى أميلُ إلى القِبابِ مناجيا بضمائرٍ ثقُلتْ على الكتمانِ
وأطاردُ المُقَلَ اللواتى فتكُها يُملى علىَّ مقاتلَ الفُرسانِ
متجاذبين من الحديث طرائفا يُصغِى لطيبِ سماعِها النِّضوانِ (٨)

---

(١) الكشح : ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهو أقصر الأضلاع . (٢) النقيب : موضع بين تبوك ومعان . على طريق حاج الشام . (٣) اللمى : سمرة فى باطن الشفة . (٤) الأردان : جمع ردن وهو الكم . (٥) اللوى : واد من الأودية وهو بعينه . (٦) زرود : اسم رمال بطريق الحاج من الكوفة . (٧) موقرة : مثقلة . (٨) النضو : المعيى المهزول من الإبل .

كَرِّرْ لحاظَكَ فى الحُدوجِ (1) فبعدها ... هيهات أن يتجاور الحيّانِ

من بعد ما أرغمتُ أنفَ رقيبِهم ... حَنَقا وخُضتُ حميّةَ الغَيْرانِ

وطرقتُ أرضَهُمُ ، وتحتَ سمائها ... — عددَ النجومِ — أسنةُ الخُرصانِ (2)

أرضٌ جداولُها السيوفُ وعُشبُها ... نَبْعٌ (3) وما ركزوا من المُرَّانِ (4)

فى معشرٍ عشِقوا الذُّحولَ (5) وآثروا ... شُربَ الدماءِ بها على الألبانِ

قومٌ إذا حيَّا الضيوفُ جِفانَهم ... ردَّتْ عليهمْ ألسنُ النيرانِ

وإذا شَواةُ (6) الرأسِ صوَّحَ نبتُها ... فعلى قضاءِ مآربٍ من شانِ

ولتَعلَمَنَّ البِيدُ أنَّ جِباهَها ... موسومةٌ بالنَّصِّ (7) والوخَدانِ

يُزْجَرْنَ أمثالَ القِداحِ ضَوامرا ... ويُرِحْنَ أمثالَ القِسيِّ حَواني

أو ينتهينَ إلى جنابٍ ترتعى ... فيه الوفودُ منابتَ الإحسانِ

ربُّ المآثرِ والمحامدِ ربُّه ... وولىُّ بِكرِ صنيعةٍ وعَوانِ (8)

تلقَى الجبابرةُ المصاعبُ وجهَهُ ... بجماجمٍ تحنو على الأذقانِ

متهافتين على الصَّعيدِ كأنهم ... شربوا بهيبتِهِ سُلافَ دِنانِ

وطِئُوا سَنابكَ خيلِه بشفاههم ... قُبَلا وجلَّتْ عنهم القَدمانِ

---

(1) الحدوج : مراكب النساء وهى الهوادج أو المحفات . (2) الخرصان : الرماح ، واحدها خرص — بتثليث الخاء — . (3) النبع : شجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام . (4) المران : الرماح . (5) الذحول : جمع ذحل وهو الثأر . (6) الشواة : جلد الرأس . (7) النص والوخدان : ضربان من السير . (8) العوان : الثيب .

حتى إذا صدعوا السُّرادقَ أطرقت ... تلك اللواحــظُ عن أغرَّ هِجانِ (١)

قــد أيقنتْ قِمَـمُ (٢) المــلوك بأنه ... إن شــاء طلَّقهــا من التيجانِ

خَطَرًا أبا قَرْعَى (٣) الفِصال مُقاربا ... إن القُــروم (٤) أحقُّ بالخطَـرانِ

فذروا "الحِمى" يرعَى بـه متخمِّطٌ (٥) ... تُخشَى بوادِرهُ عــلى الأقــرانِ

ما بين ساعده المَصــورِ (٦) محرَّمٌ ... فتعرَّضــوا لفريســةِ السِّرحانِ (٧)

لا مَطعَــمٌ لبُغاثِــكم فى مأزِقٍ (٨) ... حامت عليــه كواســرُ العِقبانِ (٩)

للمجلس الشــرقىّ أبعدُ غايــة ... فى يوم مَلحَمــةٍ ويــومِ رِهانِ

فركابُه ماتنــثنى بأزِمَّــةٍ ... وجيادُه ما ترعــوى بِعنانِ

هِممٌ كما سرت الــبروقُ خواطفا ... فى حاصبٍ (١٠) أو عــارِضٍ (١١) هتّانِ

وعزائمٌ رُبِيَتْ وأطــرافَ القنا ... وظُبا الســيوفِ وارضعت بلبانِ

إن الورى لمـا دعــوْه "جمالَهم" ... حلُّوا من العلياءِ خــيرَ مكانِ

وأتتْ به "عدنانُ" فى أحسابها ... حتى أقــرّ لهـا بنــو "قحطانِ"

مجــدٌ أطــلَّ على الزمان وأهـلِه ... متقيِّــلٌ فى ظــلِّه الثَّقلانِ

---

(١) الهجان: الكريم. (٢) القمم: الرءوس. (٣) قرعى: جمع قريع والقرعى من الفصال: التى أصابها قرع وفى المثل: "إستنت الفصال حتى القرعى" يضرب للضعيف الذى يتشبه بالأقوياء.
(٤) القرم: الفحل العظيم. (٥) المتخمط: الفحل الهادر. (٦) المصور: الكاسر.
(٧) السرحان: الذئب. (٨) المأزق: المضيق. (٩) العقبان: جمع عقاب وهى طائر من الجوارح، وهى حادة البصر ولهذا قالت العرب: «أبصر من عقاب». (١٠) الحاصب: الريح الشديدة تحمل التراب والحصباء. (١١) العارض: السحاب المعترض فى الأفق.

ومفاخـرٌ مشهودةٌ يَقضِى لهـا يومَ النفار سـواجعُ الكُهّانِ

من ذا يحاذبه الفخارَ وقـد لوى أطنـابَه فى "يَذبُلٍ" "وأبانِ" (١)

طَلّاب ثارِ المجـد وهـو مدفّعٌ بين اللئام مسَفَّه الأعوانِ

لم يرضَ ما سنّ الكرامُ أمامَـه حـتى أتى بغـرائبٍ ومَعـانِ

نسخت فضـائلُه خِلالهَـم التى نجحـوا بهـا فى سالف الأزمانِ

فهى المناقبُ، لو تقدّم ذكرُها تُليتْ مَثانيهن فى القـرآنِ

يعطيـك ما حَرَم الجـوادُ، ودِينُه أن الـثراءَ وعُدْمَهُ سِيّانِ

وإذا رجالٌ حصّـنوا أموالَهـم جعَـل المواهبَ أوثقَ الخُـزّانِ

كم أزمـةٍ ضحِكت بهـا أنواءُهُ والغيثُ لا يـلوِى على ظمـآنِ

من راحيته نوافـلٌ (٢) ومنـائحٌ ومن القـلوب مطامـعٌ وأمانى

فحذارِ أن يطغَى السؤالُ بطالبٍ رفـدًا فيركـبَ غاربَ الطُّوفانِ

وأصبْتُ، قد يحكى السحابُ نوالَه لكنّ ذا ناءٍ وهـذا دانِ

وقرنتُـه بالبحـر يقـذِفُ باللُّهَى (٣) ونسيتُ ما فيه من الحَـدَثانِ

وذكرتُ مافى الليثِ من سَطَواتِهِ ولربّمـا وَلّى عن الأقـرانِ

لا تعـدَم الأزمانُ رأيَـك إنه فى ليلهـا ونهـارها القمـرانِ

(١) يذبل وأبان: جبلان. (٢) النوافل: جمع نافلة وهى العطية. (٣) اللهى: جمع لهوة وهى أجزل العطايا.

رأىُ سَقَى اللهُ الخــلافةَ صــوبَهُ   ورمى بصاعقــهِ ذوى الشَّــنآنِ [١]

نُجْحا بنى "العبّاس" إن قنــاتكم   هُزَّتْ بأحــذقِ ساعدٍ بطعــانِ

جَــدٌّ أمــدَّ عديدكم من غِيــله [٢]   بأشــدَّ من أسَــد العرين الجانى

يحمى ذمارَكُمُ بغــير مساعدٍ   ويحــوط سَرحكُمُ بلا أعــوانِ

وثباتُه العــزم الذليق [٣] إذا ســطا   وزئيره حُــكْمٌ وفصــلُ بيــانِ

مســتلئِم [٤] بجَنانه وبنــانِهِ   ولسانه ، مِضــرابةٍ مِطعــانِ

لمــا رأى — والحزمُ ينفعُ أهلَه —   عَوْدَ [٥] الخــلافةِ ضــاربًا بجِــرانِ ،

والسيفَ لم يَرْكُضْ بكفَّىْ ضاربٍ   والرمحَ لم يَطمحْ بعينِ سِــنانِ :

داوَى عيــاءَ الداءِ ساحرُ رفقِــهِ   والنَّقْبُ [٦] يَشْــفيهِ هِنــاءُ [٧] الهانى

حــتى إذا برِح الخفــاءُ وسفَّهتْ   حِلمَ الحليــمِ حفيظةُ الغضــبانِ ،

ورأى الهَــوادةَ [٨] مَروةً [٩] مقــروعةً   والسِّــلمَ مطعمةَ العــدو الوانى ،

نادَى فلبَّــاه صهيلُ ســوابقٍ   وأطيــطُ [١٠] كلِّ حنيَّــةٍ مِرنانِ [١١]

وفوارسٌ يَصلَوْن نيرانَ الوغى   ممــا تُثــيرُ جيــادُهم بدخانِ

---

(١) الشنآن : العداوة والبغض . (٢) الغيل والعرين : مربض الأسد ، ومن معانى الأول : الشجر الكثير الملتف ، والأجمة . (٣) الذليق : الشديد ، وفى الأصل : "الذلوق" .

(٤) مستلئم : متدرع . (٥) العود : الجمل المسن ، والجران : عنق البعير من مذبحه إلى منحره .

(٦) النقب : الجرب . (٧) الهناء : القطران ، والهانى : الطالى بالهناء . (٨) الهوادة : اللين والرفق . (٩) المرو : حجارة صلبة براقة ، واحدها : مروة . (١٠) الأطيط : الصوت . (١١) الحنية المرنان : القوس التى ترن عند خروج السهم منها .

جنبوا إلى الأعـداءِ كلَّ طِمِـرَّةٍ (١) ... بُنيت مفـاصلُهـا على شَـيطانِ

مثـل المَـراقبِ (٢) تحتهـم وهُمُ على ... صهواتهـا كالهَضْب (٣) من "ثهلان" (٤)

طلعوا طلوع الشمسِ يغمرُ ضوءُها ... هامَ (٥) الرُّبَى ومغَابنَ (٦) الغيطانِ

وكأنما سجـدتْ قِسِيُّهُم إلى ... لألاء وجهـك إذ أتتـك حـوانِى

من بعد ما سـدّوا الفضاءَ وحرَّموا ... نَفَـلَ (٧) الربيـع به على الغِـزلانِ

يتسابقون إلى المنـون فكلُّهم ... يغشَى الردَى ما عُـدّ فى الوِلدانِ

وإذا همُ عدِموا مَقاودَ خيلهـم ... فتلوا لهـنَّ ذوائبَ (٨) الفُـرسانِ

فى كلِّ معـتركٍ تجيـلُ كماتُهـم (٩) ... قِدْحا (١٠) يفـوز إذا ٱلتقَى الجمعـانِ

فٱسئلْ جبالَ "الروم" لمَّا طوَّقوا ... أعناقهَـا من جمعهـم بِرِعانِ (١١)

ترعَى بها زُهرَ النجوم جيادُهم ... ومن السـحاب يرِدنَ فى غُدرانِ

فكأنَّهـم يبغون فى فلك الذُّرى ... أن يأسروا "العَيُّوقَ" (١٢) "للدَّبرانِ"

تركوا المعـاركَ كالمناحِرِ من "مِنًى" ... وجماجمَ الأعـداء كالقُـربانِ

---

(١) الطمرة : الفرس المستعدة للوثب والعدو. (٢) المراقب : جمع مرقب وهو الموضع المشرف .

(٣) الهضب : جمع هضبة وهى الجبل خلق من صخرة واحدة . (٤) ثهلان : اسم جبل .

(٥) الهام : جمع هامة وهى الرأس أو أعلى الشىء . (٦) المغابن : جمع مغبن وهو الأرض السهلة .

(٧) النفل : نبت أصفر طيب الرائحة تسمن عليه الخيل . (٨) الذوائب : شعور النواصى ، واحدها : ذؤابة . (٩) كماة : جمع كام وهو البطل . (١٠) القدح : سهم الميسر . (١١) الرعان : الجبال الطوال ، واحدها رعن — بسكون العين — .

(١٢) العيوق : اسم نجم يتلو الثريا ، والدبران : منزل للقمر .

فكأنما فـرَش النجيعُ (١) تِلاعَها (٢) … ووِهادَها (٣) "بشقائق النعْـمانِ" (٤)

فأتاك وفدُ بنى "الأُصيفرِ" (٥) يرتمى … بهـمُ جَناحَا ذِلَّةٍ وهـوانِ

جنحوا به مستسلمين وطالما … شمَخـوا بدينهـمُ على الأديانِ

بذلوا الإتاوة عن يدٍ فكأنهم … عقدوا بذاك الغُرمِ عَقْـدَ ضَمانِ

فى كلِّ يومٍ تستهِلُّ كنوزَهم … كرمًا بعَشـرِ مِىءٍ من العِقيانِ

وبرزتَ فى حُلل الوقارِ بهيبـة … فقأتْ عيـونَ الكفر بالإيمـانِ

وكفاك أن قُدتَ الضلالة بالهدى … وجعلت دارَ الحـرب دارَ أمانِ

هذا "العراق" قد انجلت شُبُهاتُه … وصَـفا من الأقـذاءِ والأدرانِ

إن مسّـه نَصَبُ الورودِ فإنه … سـيُنيخ من نعـماك فى اعطانِ

نفَّرت ذُؤبانَ (٦) "الغضا" عن شِربِهِ … فالأَمنُ يَسرحُهُ بـلا رُعيـانِ

ولَّى "أرسْلانٌ" (٧) يُمسّح فى الحشا … قلبا يشـير عليـه بالطـيرانِ

وهوت "بنو أسَدٍ" تَشُلُّ لقاحَها … فتسيل بين "الحَزْنِ" "فالصَّمّانِ" (٨)

وجرى الغرابُ مع البوارح صائحا … بالبين بين منازل "الجاوانِ" (٩)

---

(١) النجيع : الدم . (٢) التلاع : واحدها تلعة وهى ما علا من الأرض . (٣) الوهاد : ما انخفض من الأرض ؛ واحدها : وهدة . (٤) شقائق النعمان : نبات أحمر يشبه الدم به .

(٥) بنو الأصفر : الروم . (٦) ذؤبان : جمع ذئب وهو معروف . (٧) يشير الشاعر الى أرسلان التركى المعروف بالبساسيرى كان خصيصا عنـد القائم بأمر الله ، فتجبر وطغى فجفاه القائم فخطب ضـد القائم للمستنصر ، وقد قتـل شر قتلة . (٨) الحزن والصمان : موضعان .

(٩) الجاوان : قبيلة من الأكراد سكنوا الحلة المزيدية من العراق .

وطوتْ "عقيلٌ" عَرضَ كلِّ تنوفةٍ ... بذميلِ(١) ذِعلبـةٍ(٢) وركضِ حِصانِ

"بالشام" ألَّفَ خوفُ بأسك بينهم ... وقلوبُهـم شـتَّى من الأضـغانِ

هيهاتَ لو ركبوا "النعائمَ"(٣) فى الدجى ... وأردتَ لاقتنصاهُم(٤) النَّسـرانِ(٥)

وكذا عدوُّك إن نجـا جُثمانه ... فالقلبُ فى قِـدٍّ(٦) المخافةِ عانِ(٧)

ما بين "مصرَ" وبين عزمِك موعدٌ ... متـوقَّعٌ لوفائـه الهـرَمانِ

إن صانهـا بُعـدُ المـدَى فلمثلها ... تقتادُ كلَّ نجيبـةٍ مِـذعانِ

ماءُ الجـداول للأكُفِّ وإنمـا ... ماء القَليبِ(٨) يُنـال بالأشـطانِ(٩)

من كان شرقُ الأرض طوعَ زمامِهِ ... لِمَ لا يصـرِّف غربَهـا بعِنانِ

والجيشُ مَجْـرٌ(١٠) والأوامرُ طاعـةٌ ... والنصـر مرجـوٌّ من الرحمنِ

وقال يمدحُه أيضا سنة ثمان وأربعين — أى بعد الأربعمائة — :

تَزاوَرنَ عن "أذرعات"(١١) يمينا ... نواشـزَ(١٢) ليس يُطعنَ البُرينا(١٣)

---

(١) الذميل : ضرب من السير . (٢) الذعلبة : الناقة السريعة . (٣) النعائم : منزلة من منازل القمر وهى ثمانية كواكب أربعة فى المجرة وتسمى الواردة ، وأربعـة خارجة وتسمى الصادرة ؛ وهى أيضا جمع نعامى وهى ريح الجنوب . (٤) اقتنصاهم بالألف الدالة على التثنية على لغـة من يلحقها الفعل المسند الى الفاعل الظاهر وهى لغة قليلة . (٥) النسران : كوكبان يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر : النسر الواقع . (٦) القـد : القيد للأسير يقد من جلد . (٧) العانى : الأسير . (٨) القليب : البـئر . (٩) الأشطان : الحبال . (١٠) المجر : الكثير . (١١) أذرعات : بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ؛ — تنسب اليه الخمر — . (١٢) نواشز : مستعصيات . (١٣) برين : جمع برة وهى حلقة تجعل فى أنف البعير يكون فيها زمامه .

كَلِفنَ "بنجدٍ" كأنّ الرياضَ أخذنَ "لنجدٍ" عليها يمينا

وأقسمن يحملنَ إلا نحيــلا اليــه ويُبــلغنَ إلا حزينا

ولمــا آستمعن زفــيرَ المشوق ونوحَ الحمام تركنَ الحنينا

إذا جئتما بانة "الوادين" فأرخوا النسوع (١) وحُلّوا الوضينا (٢)

فــثَمَّ علائقُ من أجلهنَّ مُلاءُ الضحى والدجى قد طُوينا

وقــد أنبأتهــم مياهُ الجفو ن أنّ بقلبــك داءً دفينا

لعــلَّ تمائمَ ذاك الغــزال تُداوِى وَلوعا وتَشفى جنونا

لقد شبَّ بينيَ هــذا الغرامُ وما بين قومكِ حَربا زَبونا (٣)

تُراهم يظنّون لما أغرتُ بلحظى عليهنّ أن قــد سُبينا

وماذا على مُسلِفٍ فى الظباءِ أُلِطَّ (٤) به فتقــاضَى الديــونا؟!

تلوم على شــغفى بالقــدود فهبْنى وَرقاءَ (٥) تهوى الغصــونا

ســواءٌ نشيدى بهنّ النسيبَ وترجيعُها بينهنَّ اللُّحــونا

ألا لِحَيَ الحسنُ من باخلٍ أبَى أن يصــاحبَ إلا ضنينا

وإنّ وَلوعى بأهــل "الحمى" يخيِّــل لى كلَّ سِربٍ قطينا (٦)

---

(١) نسوع : جمع نسع وهو حبل يشد به الرحل . (٢) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر يكون للهودج بمنزلة الحزام للسرج . (٣) الزبون : التى يدفع بعضها بعضا فى الكثرة . (٤) ألط به : موطل فى دينه . (٥) الورقاء : الحمامة يضرب لونها الى خضرة .
(٦) القطين : القاطن .

أينشُدُ رُعيانُهم أن أضلّوا بعيرا ولا أنشُد الظاعنينا؟!
وفى السِّربِ أحوى إذاما استراب بقنّاصِه أمّ دارا شَطونا[١]
ظِللتُ أكُرّ عليه الرُّقَى وتأبَى عريكتُه أن تلينا
يصون محاسنَه بالصدو دِ إذ ليس يلقَى عليها أمينا
ودون البراقع مكحولةٌ تعلّمّ طبعَ السهام القُيونا[٢]
وماكنتُ أعلم من قبله ن أن الأسنّة تُسمَى عيونا
صوارمُ تَهَزُ فتقَ الجراح وما خُلقتْ للضِّراب الجفونا
نودُّ النحورَ ونهوَى الثغورَ ونعلَم أنّا نحبُّ المنونا
أقِلْنى من الوُخَّد[٣] الراسما تِ أكفِك من حيّهم أن يبينا
ألسنَ اللواتى هززن الحدُو جَ هزًّا يُطاير عنها العُهونا[٤]
فكلُّ فنيقٍ[٥] ببطن "العقيق" من الضُّمْر[٦] قد أخدَجَتْه[٧] جنينا
عدِمتُ فتًى عند نقع الصريـ ـخ يُقعِى[٨] على أسْكَتيه[٩] بطينا
يعدُّ المفاخرَ والمكرما تِ طرفا كحيلا ورأسا دهينا

---

(١) الأحوى : الذى فى شفته سمرة . والشطون البعيدة . (٢) القيون : جمع قين وهو جلاء السيوف وصانعها ، ولعله يطلق على صانع السهام من باب التوسع . (٣) الوخد الراسمات : الإبل التى من دأبها الوخد والرسيم وهما ضربان من السير . (٤) العهون : جمع عهن وهو الصوف . (٥) الفنيق : الجمل الصعب المكرم . (٦) الضمر : الهزال . (٧) أخدجته : ولدته ناقصا لغير تمام . (٨) يقعى : يجلس على إليته و يرفع فخذيه . (٩) الأسكتان — وتكسر الهمزة — : جانبا الاست .

فهل لكَ فى بسط أيدى المطـ ـىّ تَطوى المهامـهَ(١) بِينًا(٢) فبِينا؟

إذا ما صُبغنَ بوَرسِ(٣) الهجيـ ـر حمرا تجلّينَ بالليل جُونا(٤)

فشبّهنَ لُجَّ السَّرابِ البحورَ وشبّهنَ السرابُ السفينا

وما تستطيلُ المـدى أينُقٌ بحمدِ "جَمال" الورى قد حُدينا

وجدنا لديه ربيعَ الثنا ء غضًّا وماءَ المعالى مَعينا

تبوّأ فى المجـد بُحبوحـةً على مثلها يكمَد الحاسدونا

ينادى النـجاحُ بأبـوابه: ألا نِعْمَ ما قـرَع الطارقونا

وتحسبُ من بأسه والبهاءِ مجلسَـه فَلَكا أو عرينا(٥)

لكل مَـبزٍّ(٦) به سجـدةٌ تسابق فيـه الشفاهُ الجبينا

مقـامٌ تخاذَلُ من هوله خُطَى القوم حتى تراهم صُفُونا(٧)

طغتْ يدُه وعلَتْ فى السما ح حتّى ذممنا السحابَ الهتونا

إذا ما ادّعت صوبَهُ المعصرا تُ ردّت عليهن غُبْر السنينا

أيحكى بوارقُها والقِطا رُ للعين عسجدَه(٨) والرَّقينا(٩)!

وما النـارُ من ذَهب المجتدين وما المـاءُ من فِضّـة الراغبينا!

---

(١) المهامه : جمع مهمه وهو المفازة . (٢) البين : القطعة من الأرض قدر مد البصر .

(٣) الورس : نبات يصبغ به . (٤) جونا : سودا . (٥) العرين : بيت الأسد .

(٦) المبز : اسم مكان من بز بمعنى غلب . (٧) صفون : جمع صافن ، وهو القائم .

(٨) العسجد : الذهب . (٩) الرقين : الفضة .

أفى دِيةِ البخـــلِ لمّـا أماتَ يؤدّى الألوفَ ويُعطى المئينا؟
بمـا شئتَ يسخو ولولا الحيا ءُ من مجـده قسّم المجـدَ فينا
ويأبَى على سـرَفِ الطـالبيـ نَ ألّا يُصدَّق فيـه الظنونا
ومن يستدلُّ على المكرمات يُمِـرّ من الشكر حبلا متينا (١)
وما زال يَكذِبُ وعـدُ المنى إلى أن أقامت يداه ضمينا
وقد غَمزت عُودَه النائباتُ فـلم تجد الضارعَ المستكينا
وإن زعزعتْه فإن القنا ةَ للطعن زعزعها الطاعنونا
سرى عزمه والكرى خمـرة يُدير زجاجتَها الهـاجعونا
فبـات عـلى صهواتِ الخطو بِ أقنَى يقلّب طَرْفا شَـفونا (٢) (٣)
إذا ما ٱرتقى ظنُّـــه مربأً من الغيب أوحَى إليـه اليقينا
وأفوهَ طارده بالجـدال فخرّ بغـير العوالى طعينا
وكم خُطّـة أفردتْهُ الرجا لُ فيهـا وولت شَعاعا عِضينا (٤)
أضـاء بجنـدِسها رأيُه وكان له الله فيهـا مُعينا
ففى كلّ يومٍ يُوافى البشيرُ بفتـحٍ مبينٍ يُقرُّ العيونا
رمَى أهلَ "بابلَ" فى سِحرهم برقشاءَ تلقَفُ ما يأفِكونا (٥)

---

(١) أمر الحبل : أحكم فتله . (٢) الأقنى : الصقر . (٣) الطرف الشفون : الذى لا يفتر عن النظر من شدّة الحذر . (٤) شعاعا عضينا : متفرقة متجزئة . (٥) الرقشاء : الحية .

أَلم تعلمــوا أنَّ فى أفقــهِ   سحائبَ، أمطارُها الدارعونا (١)،

وفتيانَ صــدقٍ تكون السهامُ   طليعتَهــم والسـيوفُ الكينا،

وجُرْدا (٢) إذا وَجِيتْ (٣) بالبطــا   ح (٤) أحذَى (٥) سنابكَهن (٦) الوَجينــا (٧)،

فيــوما لنُعمَى تَلُسّ (٨) الغَمِيرَ (٩)   ويوما لبؤسَى تسُفّ الدَّرينــا (١٠)

جرتْ سُنُحا بنواصى "العراق"   فأحجم عن زجرها العــائفونا

وحكّتْ على "واسِطٍ" برْكَها (١١)   بيومٍ عسـير أشــابَ القرونا

تصبُّ على الفئــةِ الناكثين   لعهدك ســوطَ عذابٍ مُهِينا

فتــلك جمــاجُمهم فى الصعيـ   ـد تتخِــذ الطيرُ فيها وُكونا (١٢)

مَرَى (١٣) "ابنُ قسنجُس" من خِلْفها (١٤)   زُعافا (١٥) وما كلُّ خِلْف لَبونا

فطــار على قادماتِ الفِــرار   جريضًــا (١٦) وكان فِرارا حَرونا

زجتْه إليــك أكفُّ القضاءِ   وتأتى بأقــدامها الحــائنونا (١٧)

وفى دار "بكرٍ" لهــا رجفــةٌ   أزالت صياصِيَها (١٨) والحصونا

(١) الدارعون : لابسو الدروع . (٢) الجرد : الخيل القصيرة الشعر . (٣) وجيت : حفيت . (٤) البطاح : الحصى الصغار، واحدها بطحاء . (٥) أحذى : ألبسها حذاء . (٦) السنابك : حوافر الخيل . (٧) الوجين : الحجارة . (٨) تلس : تتناول . (٩) الغمير : النبات الأخضر. (١٠) الدرين : يبيس الحشيش. (١١) البرك : الصدر. (١٢) وكون : جمع وكن وهو عش الطائر كالوكر . (١٣) مرى : حلب . (١٤) الخلف اللبون : الضرع الحافل باللبن . (١٥) الزعاف : السم القاتل السريع . (١٦) الجريض : المغموم . (١٧) الحائن : الذى حان حينه أى موته . (١٨) الصياصى : جمع صيصية وهى الحصن .

غداةَ زحمت بها "عامرا" تخوضُ قبائلَها والبُطونا

لها غُرَرٌ إن رآها العد وّ لم يرَ أكفالَها والمتُونا

قضت من "عُبادَةَ" أوطارَها وحكّمت البيض حتى رضينا

وما تركت للموالى حِمى ولا للعقائل خِدرا مصونا

فتلك "عقيلٌ" عقيلُ الفرا رِ تُحْرش(١) بالدوّ(٢) ضبًّا مَكونا(٣)

جعلتَ من الخوف أفراسَها كأقتادِها(٤) والفيافى سُجونا

ووافت "بنو أسدٍ" كالأسود تَحُطّ الرماح عليها عَرينا

فدع فُرصةَ الثأر ممطولةً لذنبٍ أقرّ به المذنبونا

أليس "طُلَيْحَةُ"(٥) "من عِيصِهم أراغ(٦) النبوّة فى الناس حينا

فلما ى الدينَ أشبالَه أناب وأطلقَ تلك الفنونا

ولاقت به "الفرسُ" أمَّ اللُّهَيـ ـم(٧) : وأْدَ البناتِ وذبحَ البنينا

ولا بدَّ "للشام" من نطحة تُحذّر "زمزمُ" منها "الحجونا"

وأخرى "لمصرَ" تخُطُّ الروا ةُ فى الرقّ منها الحديثَ الشجونا

جعلتَ الخلافةَ فى عصرنا تُفاخر "مأمونَها" و "الأمينا"

---

(١) تحرش : تصيد . (٢) الدو : المفازة . (٣) يقال : مكنت الضبة والجرادة ونحوهما إذا باضت أو جمعت بيضها فى جوفها فهى مكون و بيضها : مكنها . (٤) أقتاد : جمع قتد وهو خشب الرحل أو هو جميع أدواته . (٥) طليحة هو ابن خويلد بن نوفل الأسدى كان يعد بألف فارس ثم تنبأ ثم أسلم ؛ والعيص : الأصل . (٦) أراغ : طلب . (٧) أم اللهيم : الداهية .

وجاهدتَ فيها جِهادَ آمرئٍ ... له جمعَ الله دنيا ودِينا

إذا ما سلكتَ بها منهجا ... وثبتَ الجبالَ وجُبت الحُزونا

بسطتَ لعَمرك كفَّ الزما ... ن يُحصى الليالى ويُفنى القرونا

ولا برِحتْ ألسنُ المكرما ... تُ تُغْنيك عن ألسن المادحينا

دعاءً إذا سمِعتْه العُدا ... ةُ قالت على الكره منها أمينا

✦ ✦ ✦

وقال يمدحُه أيضا فى سنةِ خمسين، وهى آخرُ ما أنشدَه :

من علَّم القلبَ ما يُملى من الغَزَلِ ... نوحُ الحمام له أَمْ حَنَّةُ الإبلِ؟

لا بل هو الشوقُ يدعو فى جوانحنا ... فيستجيبُ جَنانُ الحازم البطلِ

لكلِّ داء نِطاسىٌّ يلاطفُهُ ... فهل شفاك طبيبُ اللوم والعذلِ؟

بينٌ وهجرٌ يَضيع الوصلُ بينهما ... فكيف أرجو خِصام الحبِّ بالمللِ

يُميت بثِّى فى صدرى ويَدفِنه ... أنى أرى النَّفث بالشكوى من الفشلِ

هن اللآلئ حازتها حمولُهمُ ... وإنما أبدلوا الأصداف بالكِلَلِ (١)

ولستُ أدرِى أبالأصداغ قد كحَلوا الـ ... أجفان أم صبغوا الأصداغَ بالكَحَلِ!

ما يستريب النقا أنَّ الغصون خطت ... عليه لكن بأوراقٍ من الحُللِ

من يشهد الركبَ صرعَى فى محلّهمُ ... يدعوه رَمْسا ولا يدعوه بالطللِ

(١) الكلل : جمع كلة وهى غطاء يغطى الهودج ؛ ويلاحظ أن "الباء" فى قوله "بالكلل" دخلت على غير المتروك .

قد أَلِفَ الحىُّ من مسراكِ طارقةً   تبيتُ أحراسُهم منها على وجلِ

أمسى شحوبى وإرهاقى يُدلّسنى   على الرقيب بسُمرٍ بينهم ذُبُلِ [١]

لم يسألوا عن مقامى فى رحالهمُ   إلا أتيتُ على الأعذارِ والعِللِ

لله قومٌ يُبيحون القِرَى كرما   وينهرون ضيوفَ الأعينِ النُّجُلِ

لو عدِموا البيضَ والخَطّىَّ أنجدَهم   ضربُ دِراكٌ [٢] ورشقاتٌ من المُقلِ

كأنما بين جَفْنَىْ كلّ ناظرةٍ   ترنو كنانةُ رامٍ من بنى "ثُعَلِ" [٣]

لا روضُ أوجههم مرعًى لواحظنا   ولا اللّمَى موردُ التجميش [٤] والقُبَلِ

تحكى الغمامةَ إيماضا مباسمُهم   وليس يحكينها فى جَوْدها [٥] الهطِلِ

خافوا العيونَ على ما فى براقعهم   من الجمال فشابوا الحسنَ بالبَخَلِ

يا رائد الركب يستغوى لواحظَهُ   برقٌ يلاعب ماءَ العارضِ الخَضِلِ [٦]

هذا "جَمال" الورى تُطفِى مناصلُه   نارَ القِرَى بدماء الأينُقِ البُزُلِ [٧]

لا يسأل الوفدَ عمّا فى حقائبهم   إن لم يوافوا بها ملأَى من الأملِ

وما رعين المطايا فى خمائله   إلا سخطن على الحَوْذانِ [٨] والنَّفَلِ [٩]

إنِ آمتنعتَ حياءً من مواهبه   أولا كها بضروب المكرِ والحيلِ

---

(١) السمر الذبل : الرماح الدقيقة . (٢) دراك : متتابع . (٣) بنو ثعل : قبيلة مشهورة بالرمى والإصابة . (٤) التجميش : المداعبة . (٥) الجود : المطر . (٦) العارض الخضل : السحاب الندى . (٧) البزل : جمع بازل وهو المسن من الإبل . (٨) الحوذان : نبات سهلى حلو طيب الطعم . (٩) نبت من أحرار البقول له رائحة طيبة .

قصّرتِ يا سحبُ عن إدراك غايتهِ — فما بروقُكِ إلا حُمرةُ الخجلِ

ومصلحٍ بين جدواه وراحته — يسعى ويكدح فى صلحٍ على دَخَلِ[1]

سيفٌ "لهاشمَ" مسلولٌ إذا خشُنتْ — له الضرائبُ لم يَفْرَقْ من القَلَلِ

فى قبضة "القائم"[2] المنصور قائمُهُ — وشَفرتاه[3] من الأعداء فى القُللِ[4]

بيضُ القراطيس[5] كالبيضِ[6] الرِّقاقِ له — وفى اليراع[7] غِنًى عن اسمرٍ خطِلِ[8]

وطالما جدّلَ الأقرانَ منطقُه — حتى أقرُّوا بأنّ القولَ كالعملِ

يودُّ كلُّ خصيمٍ أن يعمّمهُ — فضلَ الحسام ويُعفيه من الجدَلِ

ما البأس فى الصَّعدة الصَّمَّاء[9] أجمعه — فى القول أمضى من الهنديِّ[10] والأسلِ[11]

ومستغرّين بالبغيا مزجتَ لهمْ — كيدا من الصّابِ[12] فى لفظ من العسلِ

ما آستعذبت لَهَوَاتُ[13] السمع مشربَهُ — حتى تداعت بناتُ النفسِ[14] بالهبَلِ[15]

أطعتَ فيهم أناةً لا يسوّغها — حلمٌ، وقد خُلق الإنسانُ من عجلِ

---

(١) الدخل : الخديعة والمكر . (٢) القائم : مقبض السيف . (٣) الشفرة : حدّ السيف . (٤) القلل : الرءوس واحدها : قلة . (٥) القراطيس : الأوراق . (٦) البيض : السيوف . (٧) البراع : القلم (٨) الأسمر الخطل : الرمح المهتز . (٩) الصعدة الصماء : قناة الرمح الصلبة . (١٠) الهندى : السيف — منسوب الى الهند — . (١١) الأسل : الرماح . (١٢) الصاب : نبات مر الطعم . (١٣) لهوات : جمع لهاة وهى لحمة مشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم — وقد استعارها هنا للسمع — . (١٤) بنات النفس : الهموم والخواطر . (١٥) الهبل : الثكل .

ثم ٱشتملتهـم الصَّماءَ (١) فانشـعبوا   "أيدى سَبًا" (٢) فى بطون السهل والجبلِ
ليس الرُّقَى لجميـع الداء شافيـةً   ٱلكىُّ أشـفَى لجلدِ الأجربِ النَّغِـلِ (٣)
قـل للعُـريبِ : أبيتم إنهـا دولٌ   والطعنُ فى النحر دون الطعنِ فى الدولِ
هيهات ليس "بنو العباس" ظلُّهـمُ   عن ساحة الدين والدنيـا بمنتقـلِ
حَمَى حقيقتهـم مُرٌّ مَذاقتُـه   موسـد الرأى بين الرَّيثِ والعجلِ
موطَّأٌ فإذا لُـزَّت (٤) حفيظتُـه (٥)   تكاشر الموتُ عن أنيابهِ العُصُلِ (٦)
إيهـا "عقيـل" إذا غابت كتائبُـهُ   فُزتم وإن طلعتْ طِرتم مع الجَجَلِ (٧)
هـلَّا وقوفا ولو مقـدار بارقـةٍ   وما الفـرار بمَنجاةٍ من الأجلِ
فالْهَ عن "الرِّيف" يا فَقْعًا (٨) بقرقرةٍ   وٱبغى الـنزولَ على اليَربوعِ (٩) والوَرَلِ (١٠)
نسـجُ الخَدَرنَقِ (١١) من أغلَى ثيابكـمُ   وخـيرُ زادِكُمُ دَهْرِيَّةُ الجُعَـلِ (١٢)

(١) الصماء : يقال : اشتمل الصماء وهى أن يرد الرجل الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقـه الأيمن فيغطيهما جميعا . (٢) أيدى سبا : يقال : تفرق القوم أيدى سبا : أى تفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده ، وذلك أن الله أرسل على أرض سبأ — وهو أبو عامة قبائل اليمن — سيلا أغرقها وانتزع سبأ وقومه فتبددوا فى البلاد فضرب بهم المثل . والمراد بأيدى سبا جنوده الذين كان يسطو بهم فى غاراته وحروبه . (٣) النغل : الذى فسد جلده . (٤) لزت : هاجت واجتمعت . (٥) الحفيظة : الغضب . (٦) عصل : جمع أعصل وهو الأعوج . (٧) الجحـل : طائر . (٨) الفقع : الرخوة من الكمأة ؛ ويقال للذليل : هو أذل من فقـع بقرقرة ، أى أذل من كمأة فى أرض منخفضة لأنها لا تمتنع على من جناها ، وقيل : لأنها تداس بالأرجل . (٩) اليربوع : حيوان من فصيلة الفار طويل الرجلين وقصير اليدين جدا . (١٠) الورل : دابة على خلقة الضب إلا أنه أكبر منه . (١١) الخدرنق : ذكر العنكبوت . (١٢) الدهرية : التى أسنت وطال عليها الدهر . والجعل : ضرب من الخنافس تؤذيه رائحة الورد ، قال المتنبي : * كما يضر أريج الورد بالجعل *

إن يعَهدوا العــزَّ فى الأطنابِ آونةً ... فذا أوانُ حُلول الذلّ فى الحُلَــلِ

ترقَّبوها من "الجُودى"(١) كامنـةً ... فى نقعها ككمون الشمس فى الطَّفَـلِ(٢)

إن عُطفتْ عنكُمُ يوما فإنّ غدًا ... مع الصباح توافيكم أو الأُصُـلِ(٣)

بكلّ مرتعِـدِ العِرنين(٤) ما عرَفَتْ ... حَــوْباؤه(٥) خُلُقَ الهيّابةِ الوَكَلِ(٦)

تدعُو على ساعديه ، كلّمـا آشتملتْ ... على جنيتّــه ، الأرواحُ بالشَّـلَلِ

فى جَحفَــلٍ(٧) كالغمام الجَوْنِ(٨) ملتبسٍ ... بالـــبرق والرّعد من لَمعٍ ومن زَجَلِ(٩)

يُزجِى قَــوارحَ(١٠) فاتت باعَ مُلجِمِها ... كأنّ راكبَهـا موفٍ على جبـلِ

عوّدَها الكرَّ والإقــدامَ فارسُها ... فأنت تحسبُها صــدرا بلا كَفَلِ

أمَا سمعــتم "لبولاذٍ" وأســرتِهِ ... أحدوثةً شَرَدت فوضَى مع المَثَـلِ

إذ حطّه الحَيْنُ من صمّـاء شاهقةٍ ... لا يلحَــق الموتُ فيهـا مهجةَ الوَعِلِ(١١)

فخــرَّ للفــمِ والكفَّين منعفـرًا ... إنّ السيوفَ لمن يَعصيك كالقُبَلِ

تعافه الطــيرُ أن تقتاتَ جثّتَــهُ ... لعلمهـا أنه من أخبث الأُكُـلِ

الأرضُ دارُك والأيامُ تُنفقهـا ... على بقائك والأمــلاكُ كالخَــوَلِ(١٢)

متّــع لواحظَنا حتّى تقولَ لهـا : ... لقــد رأيتِ جميعَ النـاس فى رجلِ

---

(١) الجودى : اسم جبــل . (٢) الطفل : احمرار الأفق قبيل غروب الشمس .
(٣) أصل : جمع أصيل وهو الوقت مابعد العصر الى المغرب . (٤) العرنين : الأنف .
(٥) الحوباء : النفس . (٦) الوكل : العاجز . (٧) الجحفل : الجيش العظيم .
(٨) الجون : الأسود . (٩) الزجل : الصوت . (١٠) القوارح : جمع قارح وهو من الخيل بمنزلة البازل من الإبل . (١١) الوعل : تيس الجبل . (١٢) الخول : الخدم .

وقال يمدح الوزير أبا العباس بن فَسَنْجُس الملقب بعلاء الدين، وكتب بها إليه بواسط، ويذكر حربه لابن الهَيْثم أمير البطائح :

لا أعذِر المرءَ يصبو وهو مختارُ … الحبُّ يُجمَعُ فيه العارُ والنارُ
فعارُه سَفَهُ العذّال إن هَجروا … ونارُه حُرَقٌ إن شطّت الدارُ
لولا كَهانة عيني ما درت كَبِدى … أن الخِمارَ (١) سحابٌ فيه أقمارُ
يُهوَى بياضُ محيّاها وحُمرتُهُ … كما يروقك دِرهامٌ ودينارُ
إيه (٢) أحاديث "نَعْمانٍ" وساكنه … إنّ الحديثَ عن الأحباب أسمارُ
يا حبذا روضُه الأحوَى إذا احتجبتْ … عنّى الثغورُ حكاها منه نُوّارُ
وحبّذا البانُ أغصانا كُمِنَ فما … لهنّ إلا الحَمامُ الوُرقُ أثمارُ
ظِللتَ مُغْرًى بذى عينين تعذُله … وقبلَه قد تعاطى العشقَ "بشّارُ" (٣)
عند العذول اعتراضات ومَعنفةٌ … وفي العتاب جواباتٌ وأعذارُ
لا سَنحتْ بعدهم عُفرُ الظباء ولا … ترجَّحتْ فى الغصون الخُضْر أطيارُ
كأنني يومَ "سُلمانَيْنِ" قد علِقتْ … بي من أُسامةَ (٤) أنيابٌ وأظفارُ

(١) الخمار : غطاء يوضع على رأس المرأة . (٢) إيه : اسم فعل للاستزادة من حديث معهود وإذا نونته كان للاستزادة من أى حديث . (٣) بشار : هو ابن برد الشاعر الضرير المشهور، وفى هذا البيت إشارة الى قوله : * والأذن تعشق قبل العين أحيانا * (٤) أسامة : الأسد .

أفتّش الريحَ عنكم كلّما نفحتْ | من نحو أرضكم نكباءُ معطارُ
وأسأل الركبَ أنباءً فيكتمنى | كأنّكم فى صدورِ القوم أسرارُ
حتى الخيال بدا جنبي ليوهمنى | قُربا ومن دونكم بيدٌ وأخطارُ
ما تطمئنُّ بكم دارٌ كأنّ "علا | ءَ الدّين" مطلبُه فى حيّكم ثارُ
هو الذى لوحمى مَرعًى لما سرحتْ | سوائم الدهر إلا حيث يختارُ
ولو تُجاوره الأغصانُ ما خطرت | ريحُ النُّعامى(١) عليها وهى مغوارُ
يُحكَى له فى المعالى كلُّ مأثرةٍ | تُصبى القلوبَ وتُروَى عنه أخبارُ
عظّمتُمُ مَن له فى المجد مكرُمةٌ | وأين ممّن له فى المجدِ آثارُ
أنّى أقام فذاك الشَّعبُ(٢) منتجَعٌ | وكلُّ يومٍ يُحيًّا فيه مختارُ
لولا ضمانُ يديه رىَّ عالَمِه | لجاءت السُّحبُ من كفّيه تمتارُ
يلقَى العُفاةَ ببشرٍ شاغلٍ لهمُ | عن السؤال وللأنواء أنوارُ
وحظُّه فى العطايا أنّ راحتَه | بين العُفاةِ وبين الرِّفدِ سُمّارُ
أخو المطامع بلقاه بذِلّتها | وينثنِى وهو فى عِطفيه نَظّارُ
أفنَى الرجاء فما للخيل ما نحتوا | من السروج ولا للعِيس أكوارُ
لا ينهبُ الشكرَ إلا من كتائبِه | يومَ التغاورِ أضيافٌ وزُوّارُ
إذا القِرَى عقّرت أمَّ الحُوارِ(٣) له | رأيتَه وهو للأموال عَقّارُ

(١) النعامى: ريح الجنوب. (٢) الشعب: الحى العظيم. (٣) الحوار: ولد الناقة الى أن يفطم.

لله مقتبلُ الأيام همّتُه   لها من البأس والإقبال أنصارُ

ثِقْ بالنجاح إذا ما آجتاب سابغةً (١)   لها " الثريّا " مساميرٌ وأزرارُ

لا يتوارى ضميرٌ عن سريرته   كأنما ظنُّه للغيب مِسبارُ (٢)

من الورى هو، لكن فاقهم كما   كذلك الدرُّ والحصباءُ أحجارُ

بأيِّ رأيٍ " أبو نصرٍ " يجاذبه   حبلَ الخلاف وبعضُ النقضِ إمرارُ (٣)

أما رأى أنَّ ليثَ الغاب مجتمعٌ   لوثبةٍ وفنيقَ (٤) النِّيبِ (٥) هَدّارُ

ولا جُناحَ على مُرسٍ كلاكلَه (٦)   اذا تقدّم إعذارٌ وإنذارُ

بدأتَهُ بآبتسامٍ ظنَّه خَوَرا   فآغترَّ والكوكبُ الصبحيّ غرّارُ

الآن إذ كشفَتْ عن ساقها ورمت   قناعَها الحربُ والفُرسان أغمارُ (٧)

غدًا يمسّح أعطافَ الردَى ندما   وكيف تنهضُ ساقٌ مُخُّها رارُ (٨)

يُغشِي السفائنَ نيرانَ الوغَى سفَها   والنارُ أقواتُها الأخشابُ والقارُ (٩)

إن كان للأَجَم (١٠) العاديِّ مدّرعا   فالليثُ بين يراع (١١) الخيس مِذعارُ

أو كان يغترُّ بالأمواه طاميةً   فإن بالقاع من كفّيه تيّارُ

---

(١) اجتاب : لبس، والسابغة : الدرع . (٢) المسبار : أداة يعرف بها غور الجرح .
(٣) الإمرار : إحكام الفتل . (٤) الفنيق : الجمل الكريم على أهله ولا يركب .
(٥) النيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة . (٦) الكلاكل : الصدور — والمراد بها هنا الأحمال والأثقال — . (٧) أغمار : جمع غمر وهو الكريم الواسع الخلق . (٨) الرار : الفاسد . (٩) القار : الزفت . (١٠) الأجم العادى : الشجر الملتف القديم .
(١١) اليراع : القصب، والخيس : مربض الأسد .

إذا ترنم حولىَّ البعوض له ترنمت فى قسىّ "الترك" أوتارُ
أنجز مواعيد عزم أنت ضامنها ولا ينهنهك إردبٌّ وقنطارُ
فإنما المال روحٌ أنت متلفها والذكر فى فلوات الدهر سيّارُ
لا تتركْ نهزة عنّتْ مسلّمةً إلى علاك فإن الدهر أطوارُ
وما ترشّح يوم المهرجان لها إلا وللسعد إيراد وإصدارُ
لما رآك نوى نذرا يقومُ به حتى أتاك وشهرُ الصوم مِضمارُ
وقد زففنا هداياه مُنمنمةً (١) كأنها فى رقاب المجد تِقصارُ (٢)
ولستُ ارخصُ أقوالى لسائمها إلا عليك، وللأشعار أسعارُ (٣)

✣

وقال يمدح الوزير أبا المعالى بن عبد الرحيم فى النيروز :

أَلكم الى ردّ الشباب سبيلُ أم عندكم لمشيبه تأويلُ؟
نورٌ من الشعرات ليتَ أفولَه فيها طلوعٌ والطلوعَ أفولُ
ماكان يشفع لى بجدّد هجرةٌ فقدانُه لكنه تعليلُ
يا ليته جنّب الغرامَ وراءه فيقالَ : لا غِرٌّ ولا معذولُ
ها تلك أشجانى كما خلّفتها لعبَ الزمانُ بها وليس تحولُ

---

(١) منمنمة : مزخرفة موشاة . (٢) التقصار : القلادة . (٣) فى الأصل "أشعار" وهو تصحيف .

يقتادُنى البرقُ اليمانِ كأنه — من عند إيماضِ الثغور رسولُ
وكأنَّ قلبى — والمهامهُ بيننا — حىٌّ على "وادى العِضاهِ" حُلولُ
تُفتِى براقِعُهم، وما آستفتيتُها، — أنّ اللحاظَ إذا آختُلسنَ غُلولُ (١)
أُنظر خليلى من "قرارٍ" (٢) هل ترى — قَطَنا (٣) فطَرفُ العامرىّ كليلُ؟
وحلفتُ ما بصَرِى بأصدقَ منكما — نظرا ولكنَّ الغرامَ دليلُ
قالوا: الديارُ وقد وقفت فزدانى — بثًّا رسومٌ رثّةٌ وطلولُ
ونَشِقتُ خفّاقَ النسيم فما شفا — دائى، وهل يشفِى العليلَ عليلُ؟!
وكَرَعتُ سَلسالَ الغدير وليس ما — بُلّ الشفاهُ به يبُلُّ غليلُ
يا ضالةَ الوادى أَحُثّ مطيّتى — أم عند ظبيِك فى الكِناس مَقيلُ؟ (٤)
عيناه أسلمُ لى ويُعجِبُ ناظرى — مُقَلٌ كأنّ لحاظَهنّ نُصولُ (٥)
مُقَلٌ لغِزلانِ "الحجاز" وسِحرُها — من "بابلٍ" مستجلَبٌ منقولُ
ولقد طرقتُ البيتَ يكره ربُّه — والشوقُ ليس يَعيبه التطفيلُ
أيظُنُّ من عَقَر النجائبَ قومُه — أنّ الدماءَ جميعَها مطلولُ
من دون سفكِ مدامعى ما شئت من — حِلمٍ ودون دمى تغولك غولُ
وأنا آمرؤٌ لو مُدّ من غُلَوائه (٦) — نطقٌ، لقيل: كلامُه تنزيلُ

(١) غلول: جمع غل وهو القيد. (٢) قرار: واد قرب المدينة. (٣) القطن: جمع قطين بمعنى القاطن. (٤) الكناس: بيت الظبي. (٥) نصول: جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح والسيف. (٦) الغلواء: — وقد تسكن اللام — الغلو فى الشيء.

لا يطمع العظماءُ فى مدحى ولا طمَعى على أبوابهـم معقـولُ
ولو استطعتُ لما اغتبقتُ بشَربةٍ مما يَمُدُّ "فُراتُهم" "والنيلُ"
وإذا تأملتُ الرجالَ تفاوتت قيَما وميَّزَ بينها التحصيلُ
بعضٌ همُ غُرر الجيادِ وبعضُهم بين السنابك (١) والصِّفاقِ (٢) حُجولُ (٣)
مثل الحُلى دمالجٌ وخلاخلٌ منه ومنه التاجُ والإكليلُ
لولاهُمُ غربَتْ شموسُ محاسنٍ وهوَى ببدر المكرمَات أفولُ
تبًّا لهذا الدهر لا ميزانُه قِسْطٌ (٤) ولا فى قَسمه تعديلُ
جَوْرٌ يساوى عالما متعالمٌ فيه ويُشْبِهُ فاضلا مفضولُ
لا درَّ درُّ المرء يقطعُ دهرَه رِخْوَ الإزارِ وعزمُه مفلولُ
البيدُ تزرعُها المناسمُ (٥) وهى لا تدرى أعرضٌ شوطُها أم طولُ
واليَعْملاتُ (٦) سياطُها وحذاؤها نسبٌ نماه "شَدقمٌ (٧)" "وجديلُ"
فاذا "كمالُ الملكِ" سَحَّ سحابُهُ نبتَ الرجاءُ وأثمرَ المأمولُ
سبقت مواهبُه المديحَ فظنَّ مَن عجِلتْ اليه أنها بِرطيلُ (٨)

---

(١) السنابك : حوافر الخيل . (٢) الصفاق : جلد البطن كله . (٣) الحجول : جمع حجل — بكسر الحاء — وهو البياض فى قوائم الفرس . (٤) القسط : العدل وهو من المصادر التى يوصف بها كما يقال : رجل عدل ، — ويستوى فيه الواحد والجمع — . (٥) المناسم : جمع منسم وهو الخف . (٦) اليعملات : النوق النجيبة المطبوعة على العمل . (٧) شدقم وجديل : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر يضرب بهما المثل فى النجابة . (٨) البرطيل : الرشوة ، ومنه « البراطيل تنصر الأباطيل » .

عجِلٌ الى المعروف يَحسَب أنه ظـلٌّ اذا لم يغتنمه يزولُ
كثُرُ الكلامُ به ، وفى أمثالهم من قبـله : أنّ الكرامَ قليلُ
وإذا جرى فى غايةٍ شهدت له أن لا مُحلّقَ فى مَداه رسيلُ (١)
ضلّتْ ركائبُ من يؤمُّ طريقَه، إنّ العـلاءَ سبيلُه مجهـولُ
يتوارث المجـدَ التليـدَ بمعشر أدنَتْ فروعَـهمُ اليـه أُصولُ
جازوا على عَنَت الحسودِ فلم يجد عيبا، وماذا فى النجوم يقـولُ ! !
لهمُ ، إذا كرُمَ الطباعِ هززْتَهُ، نصـلٌ وأنت الرونقُ المحـلولُ
وإذا انتهى نسبٌ إليـك فإنه فَلَقُ الصباح مع الضُّحى موصولُ
ولقد شـددتَ وثاقَ كلِّ مُلمّـةٍ يُلوَى عليها مُبرَمٌ (٢) وسحيـلُ
وحَميت أعطانَ الأمور وإنمـا كانت غمـاما بالدماء تسيلُ
وإذا التقت حِلَقُ البِطان (٣) فإنما يكفيك ثَمَّ رسالةٌ ورسـولُ
بدلا من القُبِ (٤) العِتاق ضـوامرٌ رُقُشُ (٥) المتونِ (٦) صريرُهن (٧) صهيلُ
يَنبُتنَ مثـل الروض إلا أنّه ترعاه أسماعٌ لنا وعقـولُ
ومن الصِّفاح البيضِ كل صحيفةٍ لنزاعهـا بالراحتين صليـلُ

---

(١) الرسيل : الفرس الذى يرسل مع آخر فى السباق . (٢) المبرم : الحبل المحكم الفتل ، والسحيل ضده . (٣) البطان : حزام الدابة . (٤) القب : جمع أقب وقباء، وهى الفرس الضامرة البطن . (٥) رقش جمع رقشاء وهى الحية المنقطة ببياض وسواد — والمراد بها هنا الأقلام — . (٦) المتون : الظهور . (٧) الصرير : صوت القلم عند الكتابة به .

سحبت لك الأيامُ فضلَ ردائها ... مرحا يدوم بقاؤه ويطولُ

وتتابعت حِجَجٌ يؤرِّخ عصرَها ... عُمْرٌ به خُلْدُ الزمانِ كفيلُ

ينتابك "النوروز" يجنب إثرَهُ ... أعوامَ سعدٍ كلُّهن صقيلُ

هو خطَّةٌ همَّ المُصيفُ بقصدها ... شوقا ونادى بالشتاء رحيلُ

أخذ الربيعُ زمامه حتى آستوى ... فى عارضيه نبتُه المطلولُ

بك أشرقت أيامه فكأننا ... فى عصرِ "كسرى يَزْدَجِرْدَ" نُزولُ

✦

وقال يمدحُه أيضا :

ما ضاع من أيامنا هل يُغرَمُ ... هيهات والأزمانُ كيف تقوَّمُ؟!

يومٌ بأرواحٍ يباعُ ويشترى ... وأخوه ليس يُسامُ فيه دِرهمُ

سيان قلبى فى المشيب وفى الصِّبا ... لو يستوى شَعرٌ أغرُّ(١) وأسحمُ

لى وقفةٌ فى الدار لا رجعت بما ... أهوى ولا يأسى عليها يُقدِمُ

لا تحسب الآثارَ لُعبةَ هازلٍ ... نار آدكارك فى المعالم تُضرمُ

أوما رأيتَ عِمادَها فى نُؤيِها(٢) ... مثلَ السِّوار يجول فيه المِعصمُ

وكفاك أنى للنواعبِ عاتبٌ ... ولِصُمِّ أحجارِ الديار مكلِّمُ

ومن البلادةِ فى الصبابة أننى ... مستخبرٌ عنهنَّ من لا يفهمُ

---

(١) الأغر : الأبيض ، والأسحم : الأسود .

(٢) النؤى : حفيرة حول الدار تمنع السيل ، وفى الأصل «غمارها فى نوبها» وهو تحريف .

وأنا البليغُ شكا اليها بثَّه عبثا فما بالُ المطايا تُرزِمُ (١)

كلٌّ كنَى عن شوقِه بلغاتِه ولرُبَّما أبكَى الفصيحَ الأعجمُ

ترجُو سُلوَّكَ فى رسومٍ بينها الـ أغصانُ سكرَى والحمامُ متيَّمُ

هذى تميلُ إذا تنسَّمت الصَّبا والوُرق تذكر إلفَها فترنَّمُ

فتى تروع العيسُ غزلانَ النقا بعصابةٍ سئمَ العواذلُ منهمُ

النُّسكُ عند عفيفهم دينُ الهوى والنصح عند لبيبهم لا يُفهَمُ

حتّام أرعَى وردةً لا تُجتنَى فى الخدِّ أو تُفّاحةً لا تُلثمُ

أيُذادُ عن تلك المحاسنِ ناظرى وتريد منى أن يسوِّغَها الفمُ؟

فى كلِّ يومٍ للعيون وقائعٌ إنسانُها الطمَّاحُ فيها يُكلَمُ (٢)

لو لم تكن جَرْحَى غداةَ لقائهم ما كان يجرى من مآقيها الدمُ

ولو اقتدرتُ قسمتُها يومَ النوى: عينا تلاحظهم وأخرى تَسْجُمُ (٣)

دع لمحةً إن تستطع عُلَقَ الهوى فبذاك تعلمُ كيف نام النوَّمُ

ولطالما اعتقب العواذل مسمعى فزجرنَ منه مُصْعَبا (٤) لا يُخطَمُ (٥)

ما كنتُ أولَ من عصاهُ فؤادُه وجنَى عليه مقنَّعٌ ومعمَّمُ

لم أدرِ أنَّ الحبَّ حومةُ مأزِقٍ تُصلِى ولا أنَّ اللواحظَ (٦) أسهمُ

(١) ترزم: تحن وتئن. (٢) يكلم: يجرح. (٣) تسجم: تسح بدمعها كالقطر.

(٤) المصعب: الجمل الذى لا يركب لكرامته. (٥) يخطم: يوضع فى أنفه الخطام.

(٦) فى الأصل «المحاسن» وفى منتخبات البارودى «اللواحظ» وقد رجحناها.

أصفُ الأحبّةَ، واللسان يقول لى: وصفُ الوزير «أبى المعالى» أعظمُ
المستجير من المذمّة بالنّـدَى والمسـتجار إذا أظلّك مَغْـرمُ
فى كلّ يوم للمكارم عنـدَه سوقٌ، "عُكاظُ" دونها والموسِمُ
وكأنّما أموالُه من بَذلها نَهبٌ بأيدى الغانمين مقسّمُ
فلو أنها وَجدتْ عليه ناصرا لرأيتها من كفّهِ تتظلّمُ
أسمعتَ قبلَ يمينه وشماله بسحائبٍ أو أبحرٍ تتختّمُ؟
فيهنّ من قِصدِ اليراع(١) أراقمٌ(٢) تَقضِى وتَمضِى والقنا يتحطّمُ
ماهنّ إلا موردٌ من فوقهِ طيرُ الرغائبِ والمطالبِ حُوَّمُ
الجدُّ من عزماتهِ متلقّنٌ والمجدُ من أخلاقه متعلّمُ
متهلّلٌ للوفد يُحسَب أنه بدرٌ أحاط بجانبيه الأنجُمُ
تُثنِى عواذله عليه بعذلهم ولربّما نشَرَ الثناءَ اللُّوَّمُ
خلعتْ عليه المكرُماتُ ملابسا مايزال ينقُشها المديح ويرقُمُ
عِشق المعالَى فهْو من شغفٍ بها عند الرقاد بغيرها لا يحلُمُ
بصوابه فى الرأى ثُقّفت القنا وبعزمه صُقِل الحسامُ المِخذَمُ(٣)
يحمِى بسطوته مسارحَ لحظهِ فالعزُّ فى أبياته مستخدَمُ

---

(١) قصد اليراع : كسر الأقلام .
(٢) الأراقم : الحيات . — وهى هنا على التشبيه — .
(٣) المخذم : القاطع .

وإذا تلمح قلت : صقرٌ ناظـرٌ وإذا تغاضى قلت : أطرقَ أرقمُ (١)

ثبتُ الجنانِ كأنما فى بُرده يومَ الزعازع "يذبلٌ" "ويلملمُ" (٢)

رفعتْ له هِمّاتُه وزماعُه (٣) بنيانَ مجدٍ ركنُه لا يُهدَمُ

طَولٌ تشرَّد فى البلاد فمنجدٌ يروى الذى يرويه آخرُ متهِمُ

لله أنتَ إذا تسلَّبت الرُّبَى وشكا الأُحاحَ (٤) سِماكُها والمِرزَمُ

ليردَّ مَن جاراك رأسَ طِمرَّةٍ (٥) ما كلُّ طِرفٍ (٦) فى السِّباقِ مطهَّمُ (٧)

للمجد أثقالٌ تعجُّ (٨) إفالُهم (٩) منها وينهزها (١٠) الفنيقُ المُقرَمُ (١١)

حاشاك أن يَثنِى طباعَك فى الندى ثانٍ وينقُضَ من خِلالك مُبرِمُ

إن تَصنعِ الحسنَى فإنك زائدٌ أو تُسبغِ النُّعمَى فأنت متمِّمُ

وأنا الذى سيرتُ شكرك فى الدُّنَى (١٢) حتى تلاه مُعرِقٌ أو مُشئِمُ

وجلبتُ من بحرِ الثناءِ لآلئاً فى نحرِ ما أو ليتنيه تُنظَّمُ

أوردتُ آمالى غديرَك آمناً من أن يكون وراءَ شهدٍ علقمُ

ورضعتُ ثدى نداك من دون الهوى ثقةً بأنّ رضيعَه لا يُفطَمُ

(١) الأرقم : الثعبان . (٢) يذبل ويلملم : جبلان . (٣) الزماع : المضاء . (٤) الأحاح — بالضم — : العطش وحرارته ، والسماك والمرزم : نجمان . (٥) الطمرة : الفرس المستعدة للوثب والعدو . (٦) الطرف : الجواد . (٧) المطهم : التام الحسن . (٨) تعج : تصيح وترفع صوتها . (٩) إفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل . (١٠) ينهزها : ينهض بها ؛ والفنيق : الفحل لا يركب لكرامته . (١١) المقرم : المكرم الذى لا يحمل عليه . (١٢) الدنى : جمع الدنيا ، — واذا جمعت مع أنها واحدة فلاعتبار أقسامها .

أهدى لك "النيروزُ" فى أغصانهِ زَهرا بأوراقِ العـلاء يُكَمَّمُ
فى كلِّ يومٍ خيـلُه وركابُه جَبهاتُهنَّ بطيب ذكرك تُوسمُ
لا زالت النَّعماءُ عنـدك، حَلْبُها ملءُ الإناء وبطنُها لا يُعْقَـمُ
والدهر مجنـوبٌ وراءك كلّما واتاك أسـعده القضـاءُ المبرَمُ
كالنِّقسِ(١) ليلتُـه وطِـرسٍ يومُـهُ والنُّجحُ يكتُبُ والسعادةُ تختِمُ

وقال يمدحُ بَرَكَةَ بن المقلَّد العُقَيلىّ، ويلقب زعيم الدولة :

تُرى رائحٌ يأتى بأخبار مَن غـدا وهل يكتُمُ الأنباءَ من قد تزوَّدا
أُحبّ المقالَ الصدقَ من كلّ ناطقٍ سوى ناعبٍ قد قال : بينُهُمُ غدا
ألَا آستوهِبا لى الأرحبيّةَ(٢) هَبّـةً لنُحدثَ عهـدا أو لنضربَ موعدا
حرامٌ عـلى أعجازهنّ سـياطُنا فيا سائقيْها آستعجِلاهنَّ بالحُـدا
متى تَرِدا المـاءَ الذى وردتْ به ظباءُ "سُلَيمٍ" تنقعا غُـلّةَ الصدى
فلا تُشغَلا عنـه بلَثْمِ حَبابهِ(٣) تظنّانِه ثغـرا عليـه تبـدّدا
فقـد طـال ما أبصرتُما ظبىَ رملةٍ فشبّهتُماه ذا دَماجَ أغيـدا
فرشتُ لجنبِ الحبّ صدرى وإنما تهابُ الهوى نفسٌ تخاف من الردى

(١) النقس : المداد الأسود . (٢) الأرحبية : الإبل المنسوبة الى الأرحب وهو فحل من الفحول النجيبة ؛ أو هو آسم قبيلة تنسب اليها . (٣) الحباب : نفاخات الماء، والخمر التى تعلوهما .

وَنَفَرتُ عن عينى الخيالَ لأنه ... يحاولُ مَــدَّى نحو باطــله يدا

أرى الطيفَ كالمِرآة يخلُق صـورةً ... خداعا لعينى مثلما يَسحَرُ(١) الصَّــدى

أتزعُمُ أنَّ الصبرَ فيك سجيّـةٌ ... وتشجَى إذا البرق التِّهامىُّ أنجــدا

وقالو : أتشكو ثم ترجِعُ هائما؟ ... فقلتُ : غرامٌ عاد لى منــه ما بدا!

تُعاد الجسومُ إن مرضنَ ولا أرى ... لهــذى القلوب إن تشكَّين عُوَّدا

فلا تحسبوا كلّ الجوانح مُضــغةً ... ولا كلَّ قلبٍ مثــلَ قلــبىَ جلمدا(٢)

وحىٍّ طرقنـاه عــلى زَوْرِ موعِدٍ ... فما إن وجدنا عنـد نارهمُ هُدى

وما غفلتْ أحراسُهـم غـيرَ أننـا ... سقطنا عليهم مثلَما سقَط النَّـدى

فلمـا ٱلتقينا حشَّ قلــبى فراقُهـم ... فلم ينكروا النـارَ التى كان أوقدا

نزحتُ دموعى بعــدَهم من أضالعى ... مخافةَ أن تطغَى عليها فتجمُدا

وفى العيش مَلهًى لأمرئٍ بات ليلَه ... يشـاور فى الفتك الحسامَ المهـنَّدا

إذا ما ٱشتكت قَرْحَ السهاد جفونُهُ ... أداف(٣) لهـا من صِبغة الليل إثمِــدا

يظــنّ الدجَى فـرعا أثيثًا(٤) نبـاتُهُ ... ويحسَبُ قَرن الشمس خــدًّا موردًا

ويرضَى من الحسنـاء بالرِّيم إن رنا ... كيــلا مآقيــه وأتلعَ أجيــدا(٥)

---

(١) يسحر : يخدع ؛ والصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت بمثل صوته . (٢) الجلمد : الصخر . (٣) أداف : أذاب وخالط ؛ والإثمد : حجر يكتحل به . (٤) الفرع الأثيث ، الشعر الكثيف . (٥) الريم — ويهمز — الغزال ؛ والأتلع الأجيد : الطويل الجيد .

كما "بزعيم الدولة" الأممُ ٱرتضتْ ... على الدِّين والدنيا زعيما وسيِّدا

أقاموا بدار الأمن فى عَرَصاته[1] ... كأنهمُ شدّوا التميمَ المعقّدا

رمى عزمُهُ نحو المكارم والعلا ... مصيبا فكان المجد مما تصيَّدا

إذا أَمَّ السارون نورَ جبينهِ ... كفى الرَّكب أن يدعو جُدَيًّا وفرقدا[2]

تلألأ فى عِرنينِه نورُ هيبةٍ ... تخِرّ له الأذقانُ فى الترب سُجَّدا

أباح حِمَى أموالِه كلَّ طالب ... من الناس حتى قيل : ينوى التزهُّدا

له روضةٌ فى الجود أكثرُ روَّدا ... من المنهل الطامى وأوفرُ ورّدا

تَنَاكصُ عن ساحاته السُّحبُ، إنها ... متى حاكمته فى الندى كان أجودا

وهل يستوى من يمطر الماءَ والذى ... أناملُه تهمى لُجَينا وعَسجدا[3]

ومَن برقُه نارٌ ومَن برقُ وجهه ... تهلُّلُ مرتاحٍ الى الجود والندى

قليلُ هجوعِ العين تسرى همومُه ... مع الجارياتِ الشُّهب مَثْنَى ومَوْحَدا

ومن كان كسبُ المجدِ أكبرَ همّه ... طوى بُردةَ الليل التِّمامِ[4] مُسهَّدا

متى ثوّب الداعى ليومٍ كريهةٍ ... تأزّر بالهيجاء وٱعتمّ وٱرتدى

وقد علِمتْ أشياخُ "جُونَةَ"[5] أنه ... أمدُّهُم باعًا وأبطشُهم يدا

---

(١) عرصات : جمع عرصة وهى ساحة الدار . (٢) جدى وفرقد : نجمان . (٣) اللجين والعسجد : الذهب والفضة . (٤) الليل التمام – بكسر التاء – هو أطول ما يكون من ليالى الشتاء، ويقال أيضا : ليل التمام – بالاضافة – . (٥) جونة : قبيلة .

لهم واصَلَ الطعنَ الخِلاجَ (١) فأصبحت ... تَشَكّى الردينيّاتُ (٢) منه تأوّدا
رأى الودَّ لا يُجدى وليس بنافع ... سوى نقماتِ السيف والرمح فى العدا
فما يقتنى إلا حساما مهنّدا ... وأسمرَ (٣) عسّالا وأقودَ (٤) أجردا
متى يَرْمِ قوما بالوعيد وإن نأت ... ديارهُمُ عنه أقام وأقعدا
وما الرمح فى يمنى يديه مسدَّدا ... بأنفذَ منه سهمَ رأيٍ مسدّدا
صهيلُ الجياد المقرَباتِ (٥) غناؤه ... فلو شاء سمّاها "الغَرِيضَ" "ومَعْبدا" (٦)
ويُذكِره بزلَ النجيعِ (٧) من الطُّلَى (٨) ... عِشارٌ جلبنَ البابلىَّ (٩) المبرّدا
فلو لم يكن فى الخمر للبأس مشبِهٌ ... ولِلجود لم يجعلْ له الكأسَ موردا
بعثت لسكّان "العراقِ" نصيحةً ... متاركةَ الرئبالِ (١٠) فى غيله (١١) سُدَى
ولا تأمنوا إطراقَه إنّ كيدَه ... لِيستخرجَ الضبَّ الخبيثَ من الكُدَى (١٢)
أرى لك بالعلياء نارا قِراشُها ... ضيوفُكَ يُقرَوْنَ السَّديفَ (١٣) المُسَرْهَدا (١٤)
فلا تُفنينَّ العِيسَ (١٥) بالعقْرِ إنها ... متى تَفْنَ تجزُرْهُمْ إماءً وأعبُدا

---

(١) الخلاج : المضطرب المهتز . (٢) الردينيات : الرماح — منسوبة الى امرأة تسمى "ردينة" كانت تقوم الرماح ؛ والتأود : التثنى . (٣) الأسمر العسال : الرمح المهتز . (٤) الأقود الأجرد : الفرس الذلول المنقاد القصير الشعر . (٥) المقربات : الخيل التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها . (٦) الغريض ومعبد : مغنيان معروفان . (٧) النجيع : الدم . (٨) الطلى : الأعناق ، واحدها طلية . (٩) البابلى المبرد : الخمر . — منسوب الى بابل — . (١٠) الرئبال : الأسد . (١١) الغيل : مربض الأسد . (١٢) الكدى : جمع كدية وهى الأرض الغليظة ؛ ويقال : ضب الكدية وضباب الكدية لولعها بحفرها . (١٣) السديف : شحم السنام . (١٤) المسرهد : السمين . (١٥) العيس : الإبل .

وكم موقفٍ أسكرتَ من دمهِ القنا — وأشبعتَ فيه السيفَ حتى تمرَّدا
ولو تجحد الأقرانُ بأسَك فى الوغى — أتتك النسورُ بالذى كان شُهَّدا
إليك نقلناها أخامصَ لم تجد — سوى بيتِك الأعلى مُناخا ومَقصدا
ولو بعُدَ المسرَى زجرنا على الوجَى (١) — أغرَّ وجيهيًّا (٢) ووجناءَ جلْعَدا (٣)
ومثلك من يرجو الأسيرُ فَكاكَه — ولو كان فى جَور الليالى مقيَّدا
لئن كنتَ فى هذا الزمان وأهلِه — كبيرا لقد أصبحتَ فى الفضل مفردا

وقال وكتب بها إلى بعض أصدقائه :

حرامٌ علىَّ طُروقُ الديا — رِ ما دام فيها الغزالُ الربيبُ
أشاهد فى جانبيها هواىَ — لغيرى ومالىَ فيه نصيبُ
وقد كان فوضَى فكان المنى — تعللنى، والتمنِّى كذوبُ!
فلمَّا تصيَّده قانصٌ — ألدُّ على ما حواه شَغوبُ،
تداويتُ من مرضٍ فى الفؤاد — بيأسىَ، واليأسُ بئسَ الطبيبُ!
فقد وهبَ الثأرَ ذاك الحريصُ — ونام على الحقدِ ذاك الطلوبُ
ومن عزَّ مطلبُه مُهمَلا — فكيف به وعليه رقيبُ؟!
فلا حظَّ فيه سوى لمحةٍ — تُنافس فيها العيونَ القلوبُ

(١) الوجى : الحفا . (٢) الوجيه : فرس تنسب اليه جياد الخيل . والوجناء : الناقة العظيمة الوجنتين . (٣) الجلعد : الصلبة الشديدة .

وُجـود الأمـير بأمثـاله ... فكلُّ بعيـدٍ عليـه قـريبُ
وهـوب الجيـادِ وبيضِ القيا ... ن والظبي يرتجُّ منه الكثيبُ (١)
وعَقّـار كُومِ (٢) الصَّفايا (٣) إذا ... تعـذَّرَ عند الضُّروع الحليبُ
تَعيثُ الأخـلاءُ فى مالـه ... كما عاث فى جانب السِّربِ ذيبُ
وما يسـحَرُ القـولُ أخلاقَـهُ ... ولكنّـه الكرمُ المستجيبُ

* * *

ظفِرتَ ، وويلُ أمّها حُظوةٌ، ... ببـدرٍ تُزرُّ عليـه الجيوبُ
إذا رُدِّدَ الطَّـرفُ فى حسنه ... أثار البـديعَ وماج الغريبُ
عُبـوسٌ يُولَّد منـه السرورُ ... ومن خُلُقِ الخندريسِ (٤) القُطوبُ
وتيـهٌ كأنْ ليس بدرُ السماء ... يُلمُّ الكسوفُ به والغُروبُ
ولـولا حيـاءٌ تقمَّصـتُهُ ... لأجلكَ جمٌّ إليـه النسيبُ
سأطـوِى على لَهَبٍ غُلَّتى ... إلى أن يُعطِّـلَ ذاك القَليبُ (٥)
وأعلمُ أنْ سـيباحُ الحمى ... إذا أظهـر الشعَراتِ الدبيبُ
طِـرازٌ يمنـمُ فى العارضَيْن ... يُزيِّنُ (٦) منـه الرداء القشيبُ
فما ذلك الحسنُ مسـتقبَحا ... بشَـعرٍ ولو لاح فيه المشيبُ

---

(١) الكثيب : تل الرمل — والمراد به هنا الكفل فى ارتجاجه — . (٢) كوم : جمع كوماء ، وهى الناقة الضخمة السنام . (٣) الصفايا : جمع صفية وهى الناقة الغزيرة اللبن .
(٤) الخندريس : الخمر. (٥) القليب : البئر — وفيه كناية حسنة — . (٦) القشيب : الجديد .

وكتب إليه وقد بلغه عنه عتبٌ فى تأخرِ الزيارة :

قد طال للماطلِ أن يُقتَضَى ... وأن يعافِي الحبُّ من أمرضا
سلُوا الذى حالفنى فى الهوى : ... بما الذى كفَّر إذ أعرضا؟!
ملآن غيظا وفؤادى به ... مقلَّبٌ فى جمراتِ "الغضا"
نادِ على نفسك : هذا القِلَى (١) ... جزاءُ من حَكَّم أو فَوَّضا!
صاح ترى برقًا على "جاسمٍ" ... كأنه هِندِيَّةٌ (٢) تُنتَضَى ،
أذكرنى عهدَ "عقيقِ الحِمَى" ... ولا يُعيدُ الذكرُ ما قد مضى
سَرَى مع الطيف ، فهذا لمن ... يسهر ، والطيفُ لمن غمَّضا
إن لم يكن شجوِى فقد شاقنى ... سيَّانِ مَن قاتَل أو حرَّضا
تالله لو تُضمِرُ أحشاؤه ... ضميرَ أحشائى لَمَا أومضا
حىٍّ غزالا بين أجفانه ... أسنَّةُ الحَين وسيفُ القضا
رامٍ وما "القارةُ" (٣) آباؤه ... يَستغرق (٤) السهمَ وما أنبضا
إياك تلقاه بلا جُنَّةٍ ... خوفَ سلاحَىْ سُخطه والرِّضا
ما تُجمعُ الأضدادُ ، والرأس لم ... قد جمعَ الأسودَ والأبيضا!!

---

(١) القلى : البغض . (٢) الهندية : السيوف — منسوبة الى الهند — . (٣) القارة : قبيلة مشهورة بالرمى : وفى الأصل : « القادة » وهو تحريف . (٤) استغرق السهم : بلغ به غاية المد . وأنبض : جذب وتر القوس لتصوت .

كأنّ فرعى(1) حلبةٌ(2) أرسلوا ... دُهماً(3) وشُهباً(4) فوقها رُكّضا
طالبةٌ شأوَ امرئٍ سابقٍ ... كلُّ جَناح خَلفه هُيَّضا(5)
شيَّدتِ الاباء من قبله ... له البناءَ الأطولَ الأعرضا
مَعاشرٌ كانت مساعيهمُ ... أغطيةَ الأرض وحشوَ الفضا
مذ غمسوا فى الماء أطرافهم ... ما أَجِنَ الماءُ ولا عَرْمَضا(6)
لو وطئوا الصخر بأقدامهم ... أو لَمستهُ راحُهم رَوّضا
لم تعدَم الدنيا ولا الدينُ من ... أبنائهم وزارةً أو قضا
بينا ترى أقلامهم رُعَّفا(7) ... حتى ترى أسيافهم حُيَّضا
ولم يزل واطئُ أعقابهم ... ينهَض حتى لم يجد منهَضا
طاب ثَراه فنما فرعُهُ ... ويُخرِج الزُبدةَ من أمخضا
محكَّم فى العلم إن شاء أن ... يختلَّ(8) فى مرعاه أو يُحمِضا
كنانةُ(9) الآداب فى كفِّه ... متى رمى أسهمها أغرَضا(10)
يَفهم مَغزَى القول من قبل أن ... يُرفعَ أو يُنصبَ أو يُخفَضا

(١) الفرع : الشعر . (٢) الحلبة : الخيل تجرى للسباق على رهان وهى هنا بمعنى ساحة الجرى . (٣) الدهم : السود . (٤) الشهب : البيض . (٥) هيض : كسر . (٦) عرمض : ظهر به العرمض وهو الطحلب . (٧) رعفا : قاطرة ؛ وأصل الرعاف خروج الدم من الأنف . (٨) يختل : يحتبس فى الخلة وهى نبات حلو ، ومنه : الخلة خبز الإبل والحمض فاكهتها . والحمض : ما ملح وأمر من النبات تأكله عند سآمتها من الخلة .

(٩) الكنانة : كيس من أدم توضع فيه السهام . (١٠) أغرض : أصاب .

إيهٍ (١) "أبا نصرٍ" وأنت آمرؤٌ — لا يستردُّ الدهرُ ما أقرضا
منحتنى الودَّ بجازيتُه — بالشكر والمُثنى كمن عوَّضا
خيَّم فى قلبى نظيرٌ له — مذ عقد الأطنابَ ما قوَّضا
مثل خلال فيك أثوابها — أبَى لها التطهيرُ أن تُرحَضا (٢)
وكلُّ ما يبنيه هذا الهوى — بالنأيِ والتفريقِ لن يُنقَضا
لا ينفع القربُ بجسمٍ اذا — لم يك قلبٌ مُصْغيا مُنغِضا (٣)
كم من بعيدٍ عاشقًا وامقا — ومن قريبٍ شانئا مبغضا
ما زُخرُفُ القول بمُجْدٍ وقد — غُيِّض (٤) فى الأحشاء ما غُيِّضا
والسيفُ إن كانَ كهاما (٥) فهل — يُمضيه أن أذهِبَ أو فُضِّضا؟!
أنبثتُ رَيّا فى جَمجمتَهُ (٦) — ويبلغُ التصريحَ من عرَّضا
مرَّ كما مرَّ نسيمُ الصبا — مزعزعا بالرِّفقِ ماءَ الأضى (٧)
دُعابةٌ ساءت ظنونى لها — ما ألينَ السيفَ وما أجْرضا (٨)
لم أدر : إنسانٌ به ناطقٌ — أم حيَّة القُفِّ (٩) الذى نضنضا (١٠)؟!
لكنَّ سمعِى قاء ما قاله — كأنه بالصاب قد مُضمِضا

---

(١) إيه : بمعنى زد . (٢) ترحض : تغسل . (٣) المنغض : المتحرك ، والمراد به هنا المتحرك بالمحبة والود لا فتور فيه . (٤) غيض : غار . (٥) الكهام : غير القاطع .
(٦) جمجمته : أخفيته . (٧) الأضاة : الغدير وجمعه أضى . (٨) أجرض : أغص .
(٩) القف : حجارة غاص بعضها ببعض لا تخالطها سهولة . (١٠) نضنض : حرك لسانه لينفث به .

يروعنى عتبُ خليلى ولا … يروعنى الليثُ إذا قَضقضا (١)

وتسكُن الأسرارُ منّى حشًى … ليس بهنّ مُخْدَجا (٢) مُجهَضا

هيهات ! ما الزورُ حُلَى شيمتى … ولا لباسُ الغدر لى مَعرِضا

ولا لَبونى (٣) بالأسى حافلا … ولا عِشارى (٤) بالمنى مُخَّضا

معترفٌ بالحقّ من قبل أن … يوجَبَ للصاحب أن يُفرَضا

وكيف أجفو من هو الروح إن … فارقتِ الجسمَ فُواقا (٥) قضى

ما الذنبُ إلا للزمان الذى … إن ألبس الإنسان ثوبا نَضا

تقلّبتْ بى كلُّ حالاته … وليس فيها حالةٌ تُرتَضَى

إما على رَمضائه (٦) ماشيا … أو راكبا شامسةً (٧) رِيِّضا (٨)

من يكن الدهر له ماتحا (٩) … لا بدّ أن يشرب ما خَوّضا

جُلْ فى طِلاب الرزق تَظفَرْ به … فالسَّجلُ (١٠) مملوءٌ إذا خُضْخِضا (١١)

لطال جوعُ الأُسْدِ لو أصبحت … وأعتمتْ فى خِيسها (١٢) رُبَّضا (١٣)

أذمُّ أيامى على أننى … لأَحمدُ الله على ما قضى

(١) قضقض الأسد : كسر فريسته بأسنانه . (٢) المخدج : الناقص الخلق وإن كان لوقته .
(٣) اللبون : الغزيرة اللبن . (٤) العشار : النوق التى نُتجت أو هى التى ينتظر نتاجها بعد عشرة أشهر .
(٥) الفواق : ما يأخذ المحتضر عند النزع . (٦) الرمضاء : الأرض الحارة . (٧) الشامسة : الدابة الممتنعة . (٨) الريض : المنقادة الذلول . (٩) المائح : نازح الماء من البئر . (١٠) السجل : الدلو : (١١) خضخض : حرك فى الماء . (١٢) الخيس : بيت الأسد . (١٣) ربض : جاثمة فى مرابضها .

وقال يمدحُ الوزيرَ أبا الفرج بن فَسانْجُس الملقَّب بذى السعادات فى النيروز :

هو منزِلُ النجوَى بخالى الأعصرِ ... فمتى تجاوزْهُ الركائبُ تُعقَرِ
أشتاقُ دارَهُمُ وليس يشوقنى ... إلا مجاورةُ الغزال الأحورِ
وأفضلُ الطيفَ المُلمَّ لأنهم ... هَجروا ، وأن طُيوفَهم(١) لم تهجُرِ
أرضَى بوعدٍ منهُمُ لم يُنتظَرْ ... ومن الخيال بزورةٍ لم تَعبُرِ
لا ماؤهم للمشتكى ظمأً ولا ... نيرانُهم للقابس المتنوِّرِ
أثرَوْا ولم يقضُوا ديونَ غريمهم ... واللُّؤمُ كلُّ اللُّؤم مطلُ الموسِرِ
هل ترعوون بأنَّةٍ من مدنفٍ ... أو تسمحون لمطلبٍ من مُقترِ ؟
أو تتركون من الدموع بقيَّةً ... يلقى بها يومَ التفرُّق محْجِرى ؟
ما آجتاز بعضكُمُ بأسرابِ المها ... إلا آعترفن عليه مقلةَ جُؤذُرِ
يا من تبلَّد بين آثار الحِمَى ... يقفو معالِمها بعينَىْ مُنكِرِ ،
أَنشُدْ قضيبَ البان بين مُروطِهم(٢) ... وآطلب كثيبَ الرمل تحت المئزرِ
و إذا أردتَ البدرَ فآبعث نظرةً ... لمطالعٍ بين "اللِّوى" "فمُحَجَّرِ"
أتردُّ يا روضَ "العقيق" ظُلامةً ... رُفعتْ إليك من القِلاصِ(٣) الضُّمَّرِ

(١) فى الأصل "ظنونهم" وهو تحريف .
(٢) المرط : كساء يؤتزر به .
(٣) القلاص : جمع قلوص وهى الناقة الشابة .

إياك أنْ تطأ اللّعاع[١] بمَنسِم[٢] … منها وأن ترعى الجَميم[٣] بمشفَرِ[٤]

لولا النجاءُ[٥] من الرواقِص[٦] بالفلا … لم يُفجَع "النجدىُّ" "بالمتغوِّرِ"

فصَمِمْنَ حتى لاوعت أسماعُها … تَصهالَ رعدٍ فى حَبِيٍّ[٧] ممطِرِ

وعمِين حتى لا رأت أبصارُها … بَرقا كناصيةِ الحصانِ الأشقرِ

إن كنتَ تنظرُ ما أرى فانظر الى … بانٍ على أكتادِ[٨] نخلٍ موقَرِ[٩]

وكأنما رفعوا قبابَهُمُ على … شجرٍ بربّات الهوادج مثمِرِ

أممتّعى وحشَ الفلا بجمالهم … ما ذنب طرف الهائم المستهتِرِ[١٠]؟!

خلّفتُمُ خِلّ الصفاء وراءكم … كالميْتِ إلا أنّه لم يُقبرِ

بمدامع لمّا تَغِض ومكاسرٍ … لم تَجبر وجوائحٍ لم تُسبَرِ

وإذا العواذلُ أطفأت صبواتِه … شبّت لظاها زفرةُ المتذكّرِ

إحذرْ عذارك والعذارُ مغلّسٌ[١١] … فاذا بدا صبحُ المشيبِ فأقصِرِ

وَضَحٌ[١٢] تجنّبَهُ الغوانى خيفةَ الـ … ـعَدوى فإن يقرُبْ إليها تَنفِرِ

ما كنت أحسبُ أنّ سيفَ ذؤابتى … ينبو بترديد الصّقال الأزهرِ

---

(١) اللعاع : النبت الناعم الأخضر أول ما يبدو . (٢) المنسم : الخف . (٣) الجميم : ما غطى الأرض من النبات . (٤) المشفر — بالكسر وبفتح — للبعير كالشفة للإنسان والجحفلة للفرس . (٥) النجاء : سرعة السير . (٦) الرواقص : النوق ترقص فى مشيها . (٧) الحبي : السحاب المعترض اعتراض الجبل . (٨) أكتاد : جمع كتد وهو الكتف . (٩) موقر : مثقل . (١٠) المستهتر : الذى يتبع هواه . (١١) مغلس : مظلم — كناية عن سواده — . (١٢) الوضح : ضوء الصبح .

صدأ النُّصول(١) من الشعور أدلُّ(٢) من ... لون الجلاء على كريم الجوهرِ
أأسير فى الليل البهيم فأهتدى ... وأضِلُّ فى إدلاج(٣) ليلٍ مقمرٍ؟!
ومدحتَ لى صِبْغَ المشيبِ بأنه ... كافورةٌ ونسيتَ صِبْغَ العنبرِ
وإذا الثناءُ على الوزير قرنته ... بهما أقرَّا للذكىِّ الأعطرِ
"فلذى السعادات ابنِ جعفرَ" شيمةٌ ... من قَرقفٍ(٤) صِرفٍ ومسك أذفرِ
فى الأرض سبعةُ أبحرٍ، ويمينُه ... وشمالُه تجرى بعشرةِ أبحرِ
وهما سحائبُ، ماؤهنّ لُجينُه ... وبروقُهن من النضار(٥) الأحمرِ
قَسمت أناملُه المواهبَ فى الورى ... فكأنهم زَجَروا قداحَ الميسرِ
وإذا عِشارُ المال عُذنَ بكفّهِ ... فلقد عقلن نفوسهنّ بمنحرِ
ومعذِّلٍ، أعيا على عُذّاله ... فى الجود قَصَّ جناح ريحٍ صرصرِ(٦)
وهو السخىُّ وإنما حسدوا اسمَهُ ... فدعَوْه فيما بينهم : بمبذِّرِ
طلبوا الذى أُجرِى إليه فخُيِّبوا ... ومن العناء طِلابُ مالم يُقدَرِ
والأكرمون حكَوه فى أفعاله ... فعُزُوا الى كرمٍ عليه مزوَّرِ
مازال يبحث عن سرائر وفده ... حتى أجاب إلى السؤال المضمرِ

---

(١) النصول : خروج الشعر من خضابه . (٢) فى الأصل : «السعود» : وهو تحريف .
(٣) الإدلاج : السير أول الليل . (٤) القرقف : الخمر . (٥) النضار : الذهب .
(٦) الصرصر : الريح الشديدة الهبوب والبرد .

يغزو إليه المقترون لعلمهم ... أنّ النوالَ لديه غيرُ مخفَّرِ
فى كلّ يومٍ يلجمون لغارةٍ ... فسنوه غير محرّماتِ الأشهرِ
مستنشق عطرَ الثناء بسمعه ... ما كلّ طيّبة تُشَمُّ بمنخرِ
متيقّظٌ فتى تُصبه نفثةٌ ... للشكر فى عُقَدِ المطامع يُسحَرِ
يسعى ويكدحُ ثم يُتلفُ ماحوى، ... عاداتُ أروعَ للأنام مسخَّرِ
بالله نقسمُ : أنه لا خيرَ فى ... حسبٍ ولا نسبٍ لمن لم يُشكرِ
لو كان مجهولَ المغارس أخبرت ... عنه شمائلُه بطيب العُنصُرِ
قد زان مَخبَرَه بأجملِ مَنظرٍ ... وأعان مَنظرَه بأحسن مَخبرِ
ما مَن تتوّج أو تمنطقَ عسجداً ... كمطوَّق بالمكرماتِ مسوَّرِ
تحكى أنابيبُ اليراع بكفّه ... فعلَ الرماح تخاطرت فى "سَمهرِ" (١)
وكأنها الخطباءُ فوقَ بنانه ... لكن بلاغتُها كلامُ المنبرِ
لاتبعدنْ هِممٌ له لو أُودعت ... عندالكواكب لادّعاها "المشترى"
وعزائمٌ يَلحُمْن مثلومَ الظُّبا ... ويُقِمنَ أصلابَ القنا المتأطِّرِ (٢)
إطراقه يُخشَى، ويُرهَبُ صمتُه، ... والسيفُ محذورٌ وإن لم يُشهرِ
لولاك ما انتبه الثرى بمَناسمٍ (٣) ... خُلطتْ بطونُ صعيده بالأظهرِ

---

(١) سمهر : قرية فى الحبشة تنسب اليها الرماح .
(٢) المتأطر : المتثنى .
(٣) المناسم : الأخفاف .

وسواهمِ "لبنات نعش" لحظُها ... وخِفافُها تفلى "بناتِ الأَوْبرِ" (١)

فأتتك أمثالَ السَّعالِى (٢) زُوجتْ ... أشباحَ رُكبانٍ كجِنَّة "عَبقرِ" (٣)

غصبوا النجومَ على السُّرى وتعلَّموا ... خوضَ الظلام من المطىّ (٤) الزُّوَّرِ

لا ينظرون وِصابَهم (٥) وشحوبَهم (٦) ... إلا بمرآة الصباح المُسفرِ

لم يلبسوا الأدراع إلا ريبةً ... لا خيفةً من أبيضٍ أو أسمرِ (٧)

إن لم ينيخوا فى ذَراك فإننى ... لكفيلُ كلِّ مهنّئٍ ومبشّرِ

جدِّدْ "بنوروز" الأعاجم رتبةً ... سَمَتْ "المجرة" أوفويق "الأنسُرِ" (٨)

واسرحْ سَوامَك فى رياضِ سعادةٍ ... وعميمِ عُشْبٍ بالعلاء منوَّرِ

فاذا وردت فماء أعذبِ مَوْرِدِ ... واذا صدَرتَ فرَوْح أفسح مَصدَرِ

أهديتُ من كلِمى اليك تحيَّةً ... غراءَ تسترعى حنينَ المِزهَرِ (٩)

ولو ادخرتُ المالَ أو أبقيتُه ... يوما أثبتُ (١٠) بأبيضٍ وبأصفرِ

---

(١) السواهم : النوق الضامرة ؛ وبنات أوبر : ضرب من الكمأة تشبه القلقاس أو اللفت ولونها كلون التراب . (٢) السعالى : الغيلان . (٣) عبقر : أرض يقال إنها مملوءة بالجن . (٤) فى الأصل : «المط» . (٥) الوصاب : المرضى ، واحدها : وصب — بكسر الصاد — . (٦) الشحوب : تغير اللون من السفر . (٧) الأبيض والأسمر : السيف والرمح . (٨) يشير إلى كوكبين : هما النسر الطائر والنسر الواقع . (٩) المزهر : العود . (١٠) فى الأصل هكذا «أبت» والأبيض والأصفر : الفضة والذهب .

* * *

وقال يمدح عميدَ المُلك أبا نصر [محمد بن](١) منصور بن محمد الكُنْدرىّ وزير طُغْرُلْبك عند وصوله إلى العراق فى محرم سنة خمس وخمسين [بعد الأربعمائة] :

أكذا يُجازَى ودُّ كلِّ قرينِ ... أم هذه شيمُ الظباءِ العِينِ؟!
قُصُّوا علىَّ حديثَ من قتَلَ الهوى ... إن التأسِّىَ رَوْحُ كلِّ حزينِ
ولئن كتمتم مشفقين فقدوتى ... بمصارع "العُذرىِّ" و"المجنونِ"(٢)
فوق الركابِ ولا أطيل مشبِّهًا ... بَلْ ثَمَّ شهوةُ أنفسٍ وعيونِ،
هُزَّت قدودُهُمُ وقالت للصَّبا ... هُزءًا : أعند البان مثلُ غصونى؟!
وكأنما نقلَتْ مآزرُهم إلى ... جَدَدِ(٣) الحمى "الأنقاء"(٤) من "يبرين"
ووراء ذياك المقبَّلِ موردٌ ... حصباؤه(٥) من لؤلؤ مكنونِ
إمّا بيوت النحل بين شفاههم ... مضمومةً أو حانةُ الزَّرجونِ(٦)
ترمى بعينيك الفِجاجَ مقلِّبا ... ذاتَ الشِّمال بها وذاتَ يمينِ

---

(١) الزيادة عن وفيات الأعيان حيث استوعب تاريخ هذا الممدوح . (٢) العذرى والمجنون : عروة بن حزام عاشق عفراء بنت عمه ، المنسوب إلى بنى عذرة ، وقيس بن الملوح عاشق ليلى . (٣) الجدد : ما استرق من الرمل . (٤) الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل . و يبرين : موضع بأصقاع البحرين معروف بكثرة رماله . (٥) الحصباء : الحصى الصغار . (٦) الزرجون : الخمر — فارسى معرب — .

لو كنتَ "زرقاءَ اليمامة"[١] ما رأت … من "بارق"[٢] حيًّا على "جَيْرون"[٣]

شكواك من ليـل التِّمام[٤] وإنمـا … أرَقى بليـــل ذوائبٍ[٥] وقـرونِ[٦]

ومعنِّف فى الوجدقلت له : آتئد … فالدمعُ دمعى والحنــينُ حنينى

ما نافعى — إذ كان ليس بنافعى — … جاهُ الصبا وشـفاعةُ العشرينِ

لا تُطــرِقن خجلا للومةِ لائم … ما أنت أولُ حازمٍ مفتـــونِ

أأسومهم — وهم الأجانب — طاعةً … وهواى بين جوانحى يُصْـبينى؟[٧]

دَيْنى على ظَبَيَاتهـم ما يُقتضَى … فبأىِّ حُكْمٍ يقتضون رهـونى؟!

وخشيتُ من قلبى الفِـرارَ اليهمُ … حتى لقـــد طالبتُـه بضمينِ

كلَّ النَّكال أطيق إلا ذِلّةً ، … إنَّ[٨] العـزيزَ عذابُه بالهونِ

يا عينُ مثلُ قَذاكِ رؤيةُ معشرٍ … عارٍ عــلى دنيـاهُمُ والدّينِ

لم يُشْــبهوا الإنسانَ إلا أنهـم … متكوّنون من الحَمَـا[٩] المسـنونِ

نَجَسُ العيون فإن رأتهـم مقلتى … طهّرتُهـا فنزحتُ ماءَ جفـونى

---

(١) زرقاء اليمامــة : امرأة مشهورة بحــدّة بصرها وكانت ترى ما بعــده ثلاثة أيام واسمها حذام — بالبناء على الكسر — . (٢) بارق : ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة وهو من أعمال الكوفة . (٣) جيرون : اسم دمشق قديما — وفى ذلك أقوال كثيرة يرجع اليها فى مظانها — .

(٤) ليـل التمام : — بالكسر — أطـول الليالى . (٥) الذوائب : شعر النواصى .

(٦) القرون : الغدائر . (٧) كتب بجانب هذه الكلمة على الهامش : «أصل هــذه القافية لم يكن ظاهرا» . وهذا يدل على أن الناسخ أثبت هذه الكلمة من عنــده ، ونحن نرجح أن تكون «يعصينى» لمطابقتها لكلمة «طاعة» فى الشطر الأوّل . (٨) فى الأصل «إلا» وهو تحريف .

(٩) الحمأ : الطين ، — وسهلت الهمزة للضرورة — .

أنا إن هُمُ حسِبوا الذخائر دونهم ... وهُمُ إذا عدّوا الفضـائلَ دونى

لا يُشمِت الحسّادَ أنّ مطالبى ... عادت إلىّ بصـفقةِ المغبونِ

لا يستديرُ البـدرُ إلّا بعـد ما ... أبصرتُه فى الضّـمر(١) كالعُرجونِ

هذا الطريقُ اللّحْبُ(٢) زاجرُ ناقتى ... واليمّ قاذفُ فُلكىَ المشـحونِ

فاذا "عميدُ الملك" حلّا ربعـه ... ظَفـرًا بفـال الطائر الميمونِ

مَلكٌ إذا ما العـزمُ حثّ جيادَه ... مرِحتْ بأزهرَ شامخ العِـرنين(٣)

يا عزّ ما أبصرتُ فوق جبينه ... إلا آقتضانى بالسـجودِ جبينى

يجـلو النواظرَ فى نواحى دَسْته(٤) ... والسرج بدرُ دجًى وليثُ عرينِ

عمّت فواضــله البريّةَ فآلتقَى ... شـكرُ الغنىّ ودعوةُ المسكينِ

قالوا — وقد شنُّوا عليه غارةً — : ... أصِلاتُ جودٍ أم قضـاءُ ديونِ؟

أمّا خزائنُ مالِه فمباحةٌ ... فآستوهِبوا من علمه المخـزونِ

كرمٌ إذا آستفتيته بجوابهُ: ... منْـعُ اللُّهَى(٥) كالمنع للمـاعونِ!!

ما الرزق محتاجا بعرصــته(٦) إلى ... طلبٍ وليس الأجرُ بالممنــونِ

لو كان فى الزمن القديم تظلّمت ... منه الكنوزُ الى يدَىْ "قارونِ"

---

(١) الضمر : الهزال ، والعرجون : أصل العذق الذى يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا . (٢) اللحب : الواضح . (٣) العرنين : الأنف . (٤) الدست : المجلس ، أو هو صدر البيت . (٥) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا ، والماعون : الزكاة . (٦) العرصة : ساحة البيت .

وإذا آمرؤ قعدت به همّاته — خلّى سبيلَ رجائِه المسجونِ
أقسمتُ أن ألقَ المكارمَ عالما — أنّى برؤيتِـه أبَرُّ يمينى
شهِدتْ علاه أنّ عنصُرَ ذاتِه — مِسكٌ وعنصُرَ غيره من طينِ
ساس الأمورَ فليس تُخلَى رغبةٌ — من رهبة وبسالةٌ من لينِ
كالسيف رونقُ أُثرِهِ (١) فى متنـه — ومضاؤه فى حـدّه المسنونِ

⁂

وقال يمدح الوزير أبا نصر محمد بن محمد بن جَهِير، ويهنّئه بوزارته للخلافة، وأنفذها اليه من واسـط فى سنة خمس وخمسين [بعد الأربعمائة]، ويعرِّضُ بآبن دارست الوزير وآبن حُصَيْن الكاتب :

لحاجةُ قلبٍ ما يُفيق غُرورُها — وحاجةُ نفسٍ ليس يُقضَى يسيرُها
وعينٌ الى الأطلالِ تُزجِى سحابَها — إذا لوعةُ الأحشاءِ هبَّ زفيرُها
أكلّفها هطلا على كلّ منزلٍ — فلو أنها أرضٌ لغارت بحورُها
وما تجمع العينُ التوسُّمَ والبكا — فهل تعرفانِ مقلةً أستعيرُها
وقفنا صفوفا فى الديار كأنها — صحائفُ ملقاةٌ ونحن سطورُها
يقول خليلى والظّباء سوانحٌ : — أهذى التى تهوى؟ فقلت : نظيرُها!
لئن أشبهتْ أجيادُها وعيونُها — لقد خالفت أعجازُها وصدورُها

---

(١) الأثر : جوهر السيف .

فيا عجبي منها يَصُــدُّ أنيسُها ويدنو على ذُعرٍ الينا نَفــورُها
وما ذاك إلا أنَّ غِزلانَ "عامرٍ" يثقنَ بأن الزائرين صُقورُها
ألم يكفِها ما قــد جنتهُ شموسُها على القلب حتى ساعدتها بدورُها
نكَصنا على الأعقاب خوفَ إناثِها فما بالها تدعــو : نَزالِ، ذُكورُها
وواللهِ ما أدرى غَــداة نظرنَنا أتلك سهام أم كئوسٌ تديرُها؟
فإن كنَّ من نَبلٍ فأين حَفيفُها (١) وإن كنَّ من خمرٍ فأين سرورُها!؟
أيا صاحبيَّ آستأذنا ليَ خُمْــرَها (٢) فقد أذِنتْ لى فى الوصول خدورُها
هباها تجافتْ عن خليلٍ يروعُها فهــل أنا إلا كالخيــال يزورُها؟
وقد قلتما لى : ليس فى الأرض جَنةٌ أما هــذه فوق الركائب حُورُها!؟
فلا تحسَــبا قلبي طليــقا فإنما لها الصورُ سجنٌ وهو فيه أسيرُها
يعِــزُّ على الهِــيم الخوامسِ (٣) وِردُها إذا كان ما بين الشفاه غديرُها
أراكَ "الحمى" قل لى: بأيِّ وسيلةٍ وصلتَ الى أن صادفتك ثغورُها
وما لى بهــا علمٌ، فهل أنت عالم : أأفواهها أولى بهــا أم نحــورُها؟!
يطيبُ النسيمُ الرطبُ فى كلِّ منزلٍ وما كلُّ أرض يستطابُ هجيرُها
وأنَّ فروعَ البان من أرض "بِيشَةٍ" (٤) حبيبٌ إليَّ ظلُّهــا وحَرورُها

(١) الحفيف : دوى صوت السهام . (٢) خمر : جمع خمار وهو كل ما غطى الرأس .
(٣) الهيم الخوامس : الإبل العطاش ترد فى اليوم الرابع لظمئها . (٤) بيشة : موضع معروف بكثرة الأسود .

أَلَذُّ من الورد الجنيّ عِرارُها — وأحلى من الشهدِ المصفّى بَريرُها (١)

على رِسْلكم فى الحبّ، إنّا عصابةٌ (٢) — إذا ظفِرتْ فى الحبّ عفّ ضميرُها

سَواءٌ على المشتاق — والهجرُ حظُّه — أألقت عصاها أم أجدّ بُكورُها

لعمرُك ما سحرُ الغوانى بقادرٍ — على ذات نفسى والمشيبُ نذيرُها

وما الشعَراتُ البيضُ إلا كواكبٌ — مطالعُها رأسى وفى القلب نُورُها

ضياءٌ هدانى فاهتديتُ لماجدٍ — سُهولُ المعانى طُرقُه ووُعورُها

أجابَ به اللهُ الخلافةَ إذ دعت — وزيرا فكان من أجنّ ضميرُها

به غَصّ ناديها وأشرقَ سعدُها — وأُفعِمَ واديها وسُدّت ثُغورُها

تَباهى به يومَ الرحيل خيامُها — وتُزهى له يومَ المقام قصورُها

وقد خفيتْ من قبله معجزاتُها — فأظهرها حتى أقرّ كفورُها

فما رأيه إلا سُموطُ لآلئٍ — يرصَّع منها تاجُها وسريرُها

ولا عجبٌ أن تستطيلَ عِمادُها — وهذا الهمامُ الأريحىّ وزيرُها

فقل لليالى : كيف شئتِ تقلّبى — ففى يدِ عبلِ (٣) الساعدينِ أمورُها

يدٌ عبِقت بالمكرُمات وضُمّخت — وما الطيبُ إلا مسكها وعبيرُها

إذا كان خاتامُ (٤) الخلافةِ حَلْيَها — فأىّ افتخار يستزيد فخورُها

---

(١) البرير : أول مايظهر من ثمر الأراك . (٢) الرسل : الرفق والتؤدة .

(٣) العبل : الضخم . (٤) الخاتام : الخاتم .

وما صيغ لولا معصماه سِـوارُها ولا صين لولا منكِباه حريرُها
أمانيُّ فى صـدر الوزارةِ بُلِّغتْ به كُنهَها حتى آستحقَّتْ نذورُها
لوتْ وجهها عن كلّ طالب مُتعـةٍ إلى خاطبٍ حِلٍّ عليـه سُفورُها
ومن ذا "كفخر الدولة" آستامها له وما كلُّ نجم فى السماء منـيرُها
آلانَ(١) رأينـا فى مجالس عزِّها مجالسَ تُملأ بالعَـلاء صدورُها
كأنَّ على تلك الأرائك ضيغما له نأَماتٌ(٢) لا يجابُ زئـيرُها
إذا مَثَـلَ الأقوامُ دون عَرينهِ تساوَى به ذو طيشها ووقورُها
تكاد لِما قد ألبست من سكينة ترِفُّ على تلك الرءوس طيورُها
دعوا المجـد للرّاقى إلى كل قُـلَّةٍ(٣) يشُـقُّ على العَوْدِ(٤) الذلول حُدورُها
لذى الخَطَراتِ المخبراتِ يقينُـه بمستقبَل الحالاتِ ماذا مصيرُها!
ألم تعلموا أن النعائمَ فى الثرى وأن البُزاةَ فى الشِّعاب وُكورُها
وقد علمت أبناءُ "هاشمَ" كلُّها بأى آبن هَـمٍّ قـد أُمِرَّ مَريرُها(٥)
بمكتهِلِ الآراء لـو زاحمـوا به جبالَ "شَرَوْرَى" لآرجحنَّتْ(٦) صخورُها
مقـيم بأطرافِ المكارم سـائل ركابَ بنى الحاجات: أين مسيرُها؟!

(١) يريد «الآن» مخفف للضرورة . (٢) النأمة : صوت الأسد . (٣) القلة : رأس الجبـل . (٤) العود : الجمل المسن؛ والحدور : الانحدار . (٥) المرير : الحبل المحكم الفتل . (٦) ارجحنت : مالت واهتزت .

جزى اللهُ ربُّ الناس خــيرَ جزائه　　ركائبَ تخـدى بالمكارم عِــيرُها
وأسقَ جيادا سِرنَ بالبأس والندى　　من الساريات الغـاديات غزيرُها
تناقلن من علياءِ دارِ "ربيعـةٍ"　　و"بَكـرٍ" بأنواءٍ يفيض نميرُها (١)
تخطَّت شُعوبا من ذؤابة "عامرٍ"　　لهـا العــزُّ حامٍ والنجاحُ خفــيرُها
وساعدها من آلِ "جُوثَةَ" (٢) عصبةٌ　　إذا ثوب الداعى يعــزُّ نصيرُهـا
حمـاةُ السيوف والرماح حِمـامُها　　وأحشاءُ ذؤبانِ (٣) الفلاة قبورُها
قِبابهــم السمرُ الطوالُ عِمـادُها　　ومُقَرَّبَةُ الخيلِ العتـاقِ ســتورُها
وأفنيــةٌ مثــلُ الروابى جِفانُهـا　　ومثــلُ الجبـال الراسيات قدورُها
إذا طَرَقَ الأضيافُ غنَّت كلابُهـا　　وناحت بشجوٍ شاتُهـا وبعــيرُها
فماخَطَت "الجُودِى" (٤) حتى تراجفتْ　　اليهنَ آكام "العراقِ" وقُورُها (٥)
وكادت لها "بغدادُ" يوم تطلّعت　　تســيرُ مغانيهـا وتجمــحُ دُورُهـا
فلم تك إلا هِجــرةٌ "يثربيَّــةٌ"　　حقيقٌ على رهطِ "النبىِّ" شُكورُها
فلله شمسٌ، مغربُ الشمسِ شرقُها　　وفى حيثما شـاءت طُلوعا ذُرورُها (٦)
أعدْتَ الى جسم الوزارة رُوحَــهُ　　وما كان يُرجَى بعثُهـا ونُشــورُها

(١) النمير : العذب الصافى .　　(٢) جوثة : موضع أوحى ؛ وبنو جوثة منسوبون اليهم .
(٣) ذؤبان : جمع ذئب .　　(٤) الجودى : جبل فى الجانب الشرقى من دجلة من أعمال الموصل .
(٥) قور : جمع قارة وهى الجبل المنقطع عن الجبال أو هى الصخرة العظيمة .
(٦) الذرور : الطلوع .

أقامت زمانا عنـد غيرك طامثا (١) … وهـذا الزمان قرءها (٢) وطهورها

من الحق أن يحيى بها مستحقها … وينتزعها مردودة مستعيرها

إذا ملك الحسناء من ليس كفؤها … أشار عليها بالطلاق مشيرها

أظن ابن "دارست" الوزارة تلعة (٣) … "بفارس" قد عدت عليه بدورها (٤)

وإن هضاب المجد ليست بمزلق، … لأحنف (٥) كابى الحافرين عثورها

ألما يكن فى نسج "توج" (٦) شاغل … له عن تعاطى رتبة لا يطورها (٧)

أقول وقـد واراه عنا حجابه : … رويدك دون الفاحشات ستورها

وأعلقه بابن "الحصين" سفاهة … ألا خاب مولاها وساء عشيرها

فأعدى إليـه رأيه فأباده … كما أهلك "الزباء" (٨) يوما "قصيرها"

وهل نجمه الهاوى سوى دبرانها (٩) … وهـل ريحـه الهوجاء (١٠) إلا دبورها

وأطـربه تحت الرواق نهاقه (١١) … وليس يروق الأتن (١٢) إلا حميرها

وما كان ظنى أن للـذئب وقفة … وقـد جر أرسان (١٣) الأمور هصورها (١٤)

(١) الطامث : الحائض . (٢) القرء : الطهر من المحيض ، وفى الأصل « قرها » وهو تحريف . (٣) التلعة : ما ارتفع من الأرض . (٤) بدور : جمع بدرة وهى كيس فيه عشرة آلاف درهم . (٥) الأحنف : الذى تميل قدماه كل واحدة الى أختها بأصابعها . (٦) توج : مدينة بفارس تصنع فيها ثياب من الكتان ذات ألوان حسنة . (٧) لا يطورها : لا يقرب منها . (٨) الزباء : لقب ملكة الجزيرة وقصتها مع قصير بن سعد مشهورة . (٩) الدبران : منزل للقمر . (١٠) الهوجاء : الريح التى لا تستوى فى هبوبها ؛ والدبور : الريح الغربية . (١١) فى الأصل «نهامة» وهو تحريف . (١٢) الأتن : جمع أتان وهى الأنثى من الحمير . (١٣) الأرسان : الحبال ، واحدها رسن . (١٤) الهصور : الأسد .

فأرضُ رُعاءِ البَهْـمِ إلا تُقِــرَّه يُعقَّرْ بنـابٍ لا يُبِــلُّ عقــيرُها

ولا تُلقِيَنَّ البأسَ عنـد احتقارهِ ألا ربمـا جرَّ الخطـوبَ صـغيرُها

بودّىَ لو لاقيتُ مجـدَك تاليًـا مناقبَ أُسـديهـا (١) له وأُنيرُهـا (٢)

ولكننى أبعدتُ فى الأرض مذهبى لإعزازِ نفسٍ قد جفاها عَذيرُهـا (٣)

وهجهجَ (٤) بى عن أرض "بغداد" ذِلَّةٌ كوخزِ سنانِ السـمهرىِّ (٥) حُصورُها (٦)

لأمثالهـا تعـلو الجيـادَ سُروجُها ويلتقم الحَرْفَ (٧) العَلَنْـداةَ كُورُهـا (٨)

فـكدت بأن أنسى لذاك فصاحتى سوى أنّ طبعا فى الحَمام هديرُها

تركنا رُبَى "الزوراء" يَنزو (٩) خلالَهَـا جَنادبُ يعلو فى الهجيرِ (١٠) صَريرُهـا (١١)

وقلتُ : بـلادُ الله رحبٌ فسيحةٌ فهل معجزى أُفحوصة (١٢) أستجيرُها

وقد تترك الأسـدُ البـلادَ تنزُّهًـا إذا ما كلابُ الحىّ لجَّ هريرُهـا

أقامت بمثـواك الليالى مُنيخةً مكـرَّرةً أيامُهـا وشُهورُهـا

يؤرِّخُ من ميلاد سعدك عَصْرُهـا وتُحصَى بأعمـار النسور دُهورُهـا

فدونكها للتـاج يُبتـاعُ دُرُّهـا "فَرزدقُها" غوّاصها و"جَريرُها"

وقـد زادها حسـنا لعينيك أنهـا على مسمعىْ "داود" يُتلَى "زَبورُها"

(١) أسدى الثوب : جعل له سدى . (٢) أنار الثوب : جعل له نيرا وهو ضد أسدى .
(٣) العذير : النصير . (٤) هجهج بى : زجرنى . (٥) السمهرى : الرمح — منسوب الى سمهر وهى بلدة بالحبشة — . (٦) الحصور : الأسر . (٧) الحرف العلنداة : الناقة الضخمة الطويلة . (٨) الكور : الرحل . (٩) يزو : يثب ؛ والجنادب : الجراد . (١٠) الهجير : شدة الحر . (١١) صريرها : صوتها .
(١٢) الأفحوصة : مجثم الدجاجة والنعامة .

وقال يمدحه، ويهنئه بعوده الى الوزارة بعد أن عُزل عنها :

قد رجعَ الحقُّ الى نِصابهِ ... وأنت من كلّ الورى أولَى بهِ
ما كنت إلا السيفَ سلّه يدٌ ... ثُمّ أعادته إلى قِرابهِ (١)
هزّته حتى أبصرتهُ صارما ... رونقُه يُغنيه عن ضِرابهِ
أكرِمْ بها وزارةً ما سلّمت ... ما آستُودِعت إلا الى أربابهِ
مشوقة إليك مذ فارقتها ... شوقَ أخى الشّيب إلى شبابهِ
مثلُك محسودٌ ولكن معجز ... أن يُدرَكَ البارقُ فى سحابهِ
حاولها قومٌ ومن هذا الذى ... يُخرِجُ ليثا خادرا من غابهِ
يُدمِى أبو الأشبال من زاحمَهُ ... فى خِيسهِ بظُفره ونابهِ
وهل سمعتَ أو رأيت لابسا ... ما خلَع الأرقمُ (٢) من إهابهِ (٣)
لا تحسَبا لهوَ الحديث ماحيا ... حَتما (٤) قضاه الله فى كتابهِ
مرُّ النسيم غاديا ورائحا ... لا يُزلِقُ الأعصمَ (٥) عن هِضابهِ
وليس يُعطى أحدا قيادَه ... أمرٌ، لسانُ المجد من خُطّابهِ
تيقّنوا لما رأوها صعبةً ... أن ليس للجوّ سوى عُقابهِ

---

(١) القراب : غمد السيف . (٢) الأرقم : الثعبان . (٣) الإهاب : الجلد .
(٤) فى الأصل «ختما» وهو تصحيف . (٥) الأعصم : تيس الجبل يعتصم به .

إن الهـلالَ يُرتجى طـلوعُه   بعـد السِّرارِ(١) ليـلةَ احتجابِه
والشمس لا يُوءَس من طُلوعِها   وإن طواها الليـلُ فى جِلبابِه
ما أطيبَ الأوطـانَ إلا أنهـا   للمـرء أحـلى أثرَ اغـترابِه
كم عَودةٍ دلَّت عـلى دوامها ،   والخُـلدُ للإنسان فى مآبه
لو قُرِّبَ الدُّرُّ عـلى جالبـه   ما لجَّجَ الغـائصُ فى طِـلابه
ولـو أقام لازما أصـدافَه   لم تكن التيجانُ فى حسـابه
من يعشق العلياءَ يلقَ عنـدها   ما لقىَ المحبُّ من أحبابه
طورا صـدودا ووصالا مرّةً   ولذّةُ الـوامقِ فى عتـابه
وربّمـا اعتاصَ(٢) الذى تأمُلُه   وأصبحَ المخوفُ من أسبابِه
ما لـؤلؤ البحـر ولا مَرجانُه   إلا وراءَ الهول من عُبابِه
ذلَّ "لفخرالدولة" الصعبُ الذُّرى   وعـلَّمَ الأيام من آدابِه
واستخدم الدهرَ فما يأمره   إلا أتى الطـاعةَ فى جوابه
يكاد من تهذيبـه أخلاقَه   أن يسـتردَّ الغـدرَ من ذئابِه
قـد طأطأتْ أيامُه أعناقَها   خاضـعةً تسـير فى رِكابِه
كأنهـا عصائبٌ من طالبى   ثـوابِه أو خائـفى عِقابِه

(١) السرار : آخر الشهر .

(٢) اعتاص : صعب وصار عويصا ، وفى الأصل : «اعتاض» وهو تصحيف .

إن أخطأتْ واصلت اعتذارَها ... وإن أصابت فهو من صوابهِ

يا ناشد الجُود وقد أضلَّه ... مالك لا تبغيه فى جَنابهِ؟

حيث أقام أبصرَ الناسُ الندى ... تُشير كفاه الى قِبابهِ

ترى وفودَ الشكر حولَ بيته ... كأنها الأوتادُ فى أطنابه

ما ثوّروا (١) الآمال عن صدورهم ... إلا أناخت بفِناء بابهِ

وكيف لا يهوَى الرجاءُ رَبعَه ... وليس مَرعاه سوى أعشابهِ

قَلَّد أيدى المكرُمات إذنَهُ ... فرفعتْ من طَرَقْ حِجابهِ

لا تسئلنّ عن مدى معروفه ... أو تسل الوسمىَّ (٢) عن مَصابهِ؟!

يكفيك ما يبسُطه من بِشره ... أن تطلبَ الإذن الى حُجَّابهِ

يطغَى بتكرير السؤال رفدُه ... والدَّرُّ جيَّاشٌ (٣) على آحتلابهِ

هو الذى أفعالُه من حسنِها ... كأنما آشتُقِقن من ألقابهِ

مَن حسَبُ السؤددِ فى صميمهِ ... ونسبُ العلياء فى لُبابهِ

كالسمهرىّ عزمُه لو لم يكن ... ينقُص عنه الرمحُ بآضطرابهِ

شكرا وزير الوزراء تسترد ... أضعافَ ما بُلغتَ من وَهابهِ

قدِمتَ كالغيث أصاب ظامئا ... سوَّفه الخدَّاعُ من سَرابهِ

كم ساجدٍ لمَّا سموتَ طالعا ... كأنه صلَّى الى محرابهِ

(١) ثوروا الآمال: هاجوها وجعلوها ثائرة. (٢) الوسمى: أول المطر. (٣) جياش: متدفق.

وصائم رؤياك قد أغنته عن طعامه طِيبا وعن شرابهِ
ولو أطاق الدَّستُ سعيا لسعى مستقبِلا يختال فى أثوابهِ
كان حشاه قلِقا حتى آحتبى فى صدره من كان من آرابه
أقمت فى نعماءَ مطمئنّةٍ تُحكِّم الفؤادَ فى إطرابهِ
تساعد الدنيا على زينتها وتغلب الدهر على أحقابهِ
ألقت عصاها وآرتمت ركابُها فى سُرَرِ الوادى وفى شِعابهِ
قد أُعفىَ المارنُ (١) من خَشاشهِ (٢) ورُوِّحَ الغاربُ (٣) من أقتابهِ (٤)
على يديك المرتجَى إنعامُها تابَ غرابُ البين من نُعابهِ

⁂

وقال أيضا فيه ، ويذمُّ آبن دارست، ويذكُرُ مصيرَ هذا الى العراقِ من البلاد العُليا، وهذا من السفلَى :

قالوا : وزيرانِ، هوَى نجمُ ذا ونجمُ هذا قد علا طالعا
كذلك الدهرُ يُرَى خافضا طورا وطورا قد يُرَى رافعا
قلتُ : قياسٌ ويحكم زِبْرِجٌ (٥) جوهرُه لا يقبلُ الطابعا (٦)

(١) المارن : الأنف . (٢) الخشاش : خشبة تعترض أنف البعير . (٣) الغارب : الكاهل . (٤) أقتاب . جمع قتب وهو الرحل على قدر السنام . (٥) الزبرج : الذهب .
(٦) فى الأصل «الطائعا» وهو تصحيف .

هذا أتى من "آمِدٍ"(١) ساميا | وذا أتى من "فارسٍ" خاضعا
كم بين من وُلِّىَ من فوقها | فقـرَّ فى مركزها وادعا،
وبين من رُقِّىَ من تحتها | نخـرَّ من ذِروتها واقعـا
نطَّرِحُ الباطنَ ما بيننـا | ونستفيدُ الظـاهرَ الذائعـا
اِبنَ "جهيرٍ" وآبنُ "دارستِكم" | بأىِّ لفظٍ يُعجِبُ السامعا
أليس مطبـوعا على قلبـه | من ظنَّ تيسـا أسـدا رائعـا!

* * *

وقال يمدحُ ولدَه عميدَ الدولة، ويهنئُه بالخلَع عليه وآستخلافِه على الوزارة :

قـد بانَ عذرُك والخليطُ مودِّعُ | وهوَى النفوسِ مع الهوادجِ يُرفَعُ
لك حيثما سمت الركائبُ لفتـةٌ | أتُرى البـدورُ بكل وادٍ تَطلعُ!
لله مطـوىٌّ عـلى زفَـراتهِ | لم يقضِ من ظمأ ولا هو ينْقعُ
قرُبت أمانىُّ النفـوس وعنـدَه | أمـلٌ تخُبُّ(٢) به الركابُ وتوضِعُ
ونأتْ مَطارحُ قلبـه عن سمعـه | فالعـاذلون بهنّ حَسرَى(٣) ظُلَّـعُ(٤)
ما خاف فى ظُلَمِ الصبابةِ ضلّةً | إلا ودلّتْـه البـروقُ اللُّمَّـعُ
فى الظاعنين من الحِمَى ظبىٌ له الـ | أحشاءُ مرعًى والمآقى مكرَعُ

---

(١) آمد : بلد قديم حصين يحيط بأكثره نهر الدجلة كالهلال . (٢) الخبب والإيضاع : ضربان من السير . (٣) حسرى : معياة . (٤) الظلع : التى فى مشيها غمز يشبه العرج .

ممنوعُ أطرافِ الجمال، رقيبُــه حذِرٌ عليـه، والغَيــورُ البرقُـعُ
عهِـدَ الحبائلَ صائداتٍ شِبهَهُ وارتابَ، فهو لكلِّ حبلٍ يقطعُ
لم يـدرِ حامِي سِربهِ أنَّى اذا حُرِمَ الكلامُ له، لسانى الإصبعُ
وإذا الطُّيوف الى المضاجع أُرسِلت بتحيـةٍ منه فعيـنى تسـمعُ
ويح الألى انتجعوا الغمامَ وعندهم بين المحاجرِ ديمـةٌ (١) ما تُقلِعُ
لجئوا الى عزِّ الخدور وفى الحشا بيتٌ أعزُّ من الخـدور وأمنعُ
هــل فى قبابهم اللواتى رفَّعـوا مبنيَّـةٌ أطنابُهنَّ الأضـلُعُ؟!
لهمُ مَصيفٌ فى الفؤاد ولو سُقِى ماءَ الوصـال لكان فيـه مَربَعُ
يا كاسرَ النَّجلاءِ تُرسِـل نظـرةً خَطفا كلحظ الريمِ (٢) وهو مروَّعُ
لسوى أسنَّتك المِجنُّ مضـاعَفٌ ولغير أسهمك السـوابغُ (٣) تُصنَعُ
لى حيـلةٌ فى كلِّ رامٍ مُغرِضٍ (٤) لو أنه فى غـير قوسـك ينزِعُ
أطيِبْ بأطلالِ "الأراك" ونفحةٍ باتت بمسراها الرجالُ تَضَـوَّعُ
ومواقفٍ لم ألقَ مولًى راحمـا فيهـا ولم أظفر بخِـلٍّ يشـفعُ
لولا الذين البيــدُ من أوطانهم ما كان يملِكنى الفضـاءُ البلقعُ (٥)
آنستُ من أطلالهم ما أوحشوا وحفِظتُ من أيَّامهم ما ضيَّعوا

(١) الديمة: المطرة الدائمة. (٢) الريم — ويهمز — الغزال. (٣) السوابغ: الدروع. (٤) المغرض: الذى يصيب الغرض وهو الهدف. (٥) البلقع: القفر.

ورضيتُ بالمُهْـدِى إلىّ نسيمَهم   إن المحب بما تيسَّر يَقنَعُ
ولقد حللتُ حُبَى الظلام بفتيـةٍ   أَلِفَتْ وجوهَهم النجـومُ الطُّلَّعُ
قَرَوُا الهمومَ جسومَهم ونفوسَهم   وبطونُهـا بسـواهمُ ما تشبعُ
وسَرَوا بأشباحٍ تجاوَزها الردى   إذ لم يكن فيهـا له مستمتَعُ
لاقتْ بهم خُوصُ(١) المهارَى مثلما   لاقى بأربَعِها الثرى واليَرْمَعُ(٢)
فى حيثُ لا زَجَلُ(٣) الحُداة مردَّدٌ   خوفَ الهلاك ولا الحنينُ مرجَّعُ
قلِقَت بهـم قلقَ اللديغ كأنمـا   ظنَّت سياطَهُمُ أراقمَ تلسَـعُ
قتَـل الدُّءوبُ لحومَها بشحومِها   فتشابهت(٤) أثباجهـا(٥) والأنسُـعُ(٦)
متباريات بالنَّـجاء(٧) كأنمـا   وضَعت رهونا سُوقُها والأذرعُ
وإلى "عميد الدولة" اعتسفت بنا   أنضاؤها(٨) حتى هناها المربَعُ
من عنده الظلُّ الظليلُ ومنهلُ الـ   ـعذب المصفَّق والجنابُ الممرِعُ
والغـادياتُ الساريـاتُ بريقُهـا   ولِبانُهـا يسق الرجاءَ ويُرضِـعُ
ما زال يُفهمنـا العـلاءُ صنيعَه   حتى علمنـا ما الأغرُّ الأروعُ

(١) خوص : جمع أخوص وخوصاء وهى التى غارت عينها . والمهارى : جمع مهرية وهى الإبل المنسوبة الى مهرة بن حيدان وهى نجائب تسبق الخيل . (٢) اليرمع : حصى بيض تلمع وهى رخوة إذا فتت انفتت . (٣) الزجل : الصـوت . (٤) فى الأصل "فتشابهن" . (٥) أثباج : جمع ثبج وهو ما بين الكاهل الى الظهر . (٦) أنسع : جمع نسع وهو المفصل بين الكف والساعد ، والساق والقدم (٧) النجاء : السير السريع . (٨) أنضاء : جمع نضو وهو المعيا المهزول من السير .

يخشى سهامَ الذمّ فهو مسالما ... ومحاربا بنواله يتدرّعُ
غرسَ الصنائعَ فاجتنى ثمراتِها ... شكرا، وكلُّ حاصدٌ ما يزرعُ
عيدانُ مجدٍ لا تلين لغامزٍ ... وجبالُ عزٍّ مَرْوُها (١) ما يُقرَعُ
ومناقبٌ يقضى لها متعنّتٌ ... فى حكمه ويجيزها (٢) متتبّعُ
كم أزمةٍ خرِستْ رواعدُ سُحبها ... وسحابةٍ فيها خطيبٌ مِصقَعُ
وإذا المطالبُ باللئام تعثّرت ... ظلّت مواهبُه بهنّ تُدعدِعُ (٣)
تبِعوا مساعيَهُ فلمّا أبصروا ... بُعدَ المسافة أفردوه وودّعوا
إنّ المعالىَ صعبةٌ لا تُمتطى ... والمأثُراتُ ثنيّةٌ (٤) ما تُطلَعُ
يقف الثناءُ عليه وقفةَ حائرٍ ... ممّا تسُنُّ له يداه وتشرَعُ
إن قصّرت مُدّاحه عن وصفه ... فعجائب البحرين ما لا تُجمعُ
قلِقُ اللواحظ أو تقرَّ بزائرٍ ... كالمضرحىِّ (٥) لصيده يتوقّعُ
فهناك أبلجُ ما وراء لثامهِ ... ملآنُ من ماء البشاشةِ مُترَعُ
هو قِبلةُ المجد التى ما مِلّةٌ ... إلا وتسجُدُ نحوها أو تركعُ
تتناسب الأهواءُ فى تفضيله ... والقولُ فى أديانها يتنوّعُ

---

(١) المرو : حجارة براقة صلبة ، واحدها مروة. (٢) فى الأصل «ويجيرها» وهو تصحيف.

(٣) تدعدع : تقول لها : دع دع وهى كلمة – ساكنة الآخر – تقال للعاثر بمعنى قم وانتعش ، كما يقال : لعا.

(٤) الثنية : طريق العقبة وهى المرقى الصعب فى الجبال. (٥) المضرحى : الصقر ، أو النسر الطويل الجناح ، وكلاهما مشهور بحدة البصر.

عِلمًا بأن الشمس ما فى عينها ... رمدٌ ولا ثوبُ السماء مرقّعُ

يا دهرُ لا تعرِض لمن آراؤه ... فى مَفصِل الجُلَّى تحُزُّ وتقطعُ

لطُفت وجلَّ فعالها ولطالما ... نزحَ النجيعَ (١) من العروق المِبْضَعُ (٢)

وله عزائمُ ضاق عنها ذَرعهُ ... كالسيل غصَّ به الطريقُ المَهيعُ (٣)

شوسٌ (٤) إذا استدعتْ أنابيبَ القنا ... أبصرتَها من سُرعة تتزعزعُ

إياك تحتُ فى جوانبِ كُدْيةٍ (٥) ... بالحارِشينَ (٦) ضِبابُها لا تُخدعُ

أنسيتَ إذ قارعتَه عن مجده ... فرجعتَ مفلولا وأنفُك أجدعُ (٧)

أيّامَ جاهدَ فى أبيه بهمّةٍ ... هجعَ الظلام وعينُها ماتهجعُ

حتى اطمأنَّ من الوزارة نافرٌ ... وثنى إليه لِيتُها (٨) والأَخدعُ (٩)

واسترجعتْ عذراء لم ينعَمْ بها ... بعلٌ كما ارتجع الوديعةَ مودعُ

ومشى أمام جيادهِ مستقبِلا ... من كان أمسِ وراءهنّ يُشيّعُ

بالرفق تحطُّ الوعولُ (١٠) من الذُرى ... ويصاد يَربوعُ (١١) الفلا المتقصّعُ (١٢)

هذا أميرُ المؤمنين وظنّه ... بالغيب مِرآةٌ تضىء وتلمعُ

---

(١) النجيع : الدم . (٢) المبضع : المشرط . (٣) المهيع : الواسع .

(٤) شوس : جمع أشوس وشوساء وهو الجرئ على القتال الشديد . (٥) الكدية : الأرض الغليظة يحفرها الضب . (٦) الحارش : صائد الضب من كديته التى حفرها . (٧) أجدع : مقطوع . (٨) الليت : صفحة العنق . (٩) الأخدع : عرق فى الرقبة .

(١٠) وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (١١) اليربوع : حيوان أشبه بالفأر إلا أنه كبير عنه قصير اليدين . (١٢) المتقصع : الداخل فى القاصعاء وهى جحر اليربوع .

لما تنسّم من شمائل عِطْفـه ... ارجَ الكفاية فانثنى يتضـوّعُ،

ناجاه بالوادى المقـدّس نابذا ... كَلِمًا تلين لها القلوبُ وتخشعُ

وكساه من حُلل الدِّمَقْس(١) جلاببا ... كالروض بل منه أغضُّ وأنصعُ

فكأنها نُسِجَت بجنّـةِ عبقرٍ(٢) ... أو ظـلَّ يرقُمها الربيعُ ويطبَعُ

لو أنها دِمَنٌ أقامت بينها ... وُرْقُ الحمائم تستهِلّ وتسجَعُ

إن أُكملتْ حسنا فقد زُرَّت على ... جسـدٍ يكلَّل بالعـلا ويرصَّعُ

وأعاضه من تاج "فارسَ" عِمّةً ... إذ عنـده تاجُ الأعارب أرفعُ

كالليـل إلا أنها قد طُـرِّزت ... شـفقا على آفاقها يتشعشعُ

ما أشرقُ الألوان إلا سُـودُها ... ولأجل ذا لونُ الشبيبة أسـفعُ(٣)

أمثالُها فـوق الرءوس وهـذه ... فوق الرزانةِ والحصانة(٤) توضـعُ

وحباه من قُبِّ العتاقِ(٥) بضامرٍ ... كالذئب زعزعَ مَنكِبَيْه مَطمَعُ

لا تُثبِت العينانِ أين مقـرُّه ... فى الأرض لولا نقعُـه(٦) المترفّـعُ

يقظانُ تحسَب سَرجَه ولجامَـه ... فى لُجّـة أمواجُها تتدفّـعُ

يخطو فيختصر البعيدَ من المَدى ... بقـوائم مثـلِ البليـغ تُوقّـعُ

بالسـبق منفـردٌ بلَى فى متنه ... منـه الى طُـرُق المعالى أسرعُ

(١) الدمقس : الحرير . (٢) عبقر : موضع تنسب اليه الجن . (٣) الأسفع : الأسود . (٤) كذا فى الأصل ويحتمل أن تكون «الحصافة» . (٥) قب العتاق : الخيل الضامرة البطن ، واحدها : أقب وقباء . (٦) النقع : الغبار .

إن الخليفة للزمان وأهله	طَودٌ من الحَدَثانِ لا يتضعضعُ
هو فى الدجى بدرٌ ينير وفى الضحى	شمسٌ لها فى كل أفقٍ مطلعُ
و"بنو جَهِيرٍ" دوحةٌ فى ملكه	أفنانُها وغصونُها تتفرّعُ
بوزيرها وعميدها وزعيمها	و"جهيرها" أبدا يُضَرُّ ويُنفَعُ
القارحُ[1] الموفى عليها سابقٌ	ورَباعُها[2] وثَنِيُّها[3] والمُجذِعُ[4]
كلٌّ له يومَ الفخار مناقبٌ	ثمّ الأكابرُ فضلُها لا يُدفَعُ
لله أربعةٌ بهم هذا الورى	وكذا حكَوْا أن الطبائع أربعُ
"أحمدُ بن محمدِ بنِ محمدٍ"	وعُلاكَ منصتةٌ تجيبُ وتسمعُ،
لا كان هذا الدهرُ إن عطاءَهُ	بالله يسمُجُ فى العقول ويفظُعُ
ما بال أقوامٍ به لو أُنصِفوا	رُدّوا على باب النجاح ودُفِّعوا
ما كان قطُّ لهم على دَرَج العلا	مرقًى ولا عند الصنيعة موضعُ
وأرى المعايشَ بينهم مقسومةً	كالغُنم[5] يُخمَسُ[6] تارة أو يُربَعُ
وأعابهم[7] نفرٌ بلا سببٍ سوى	أنَّ المعايبَ بين قومٍ تجمعُ

---

(١) القارح : من الخيل بمنزلة البازل من الإبل . (٢) الرباع : — من الخيل — ما استتم السنة الرابعة . (٣) الثنى : — من الخيل — ما استتم السنة الثالثة .
(٤) المجذع : الذى صار جذعا وهو ما قبل الثنى . (٥) فى الأصل « كالغيم » وهو تصحيف .
(٦) يربع ويخمس : يؤخذ ربعه وخمسه . (٧) كذا بالأصل ، والوارد فى المعاجم « عاب » بغير التعدية بالهمزة ، ولعلها « قد عابهم نفر ... الخ » .

أُذادُ عن بَرْدِ الحياض ومثلُهم　　يُدعَى إلى العَذبِ الزلالِ فيكرَعُ

فٱبذُرْ عوارفَكَ الجسامَ بتُربةٍ　　يزكو بها ثمرُ الجميلِ ويونعُ

هذا مقالى إن هززت فعنده　　ما يَحسُنُ المطبوعُ والمتطبِّعُ

ويدى إذا ٱستخدمتَها وبسطتَها　　حسدتْ أناملَها الرياحُ الشُّرَّعُ

ما بى إلى الشفعاء عندك حاجةٌ　　ولسانُ فضلك شافعٌ ومشفِّعُ

✦ ✦ ✦

وقال يودّعه عند توجُّهِهِ فى الرسالة إلى خراسان :

من رأى المجدَ يُثير القِلاصا (١)　　والعُلا تُزجى العِتاقَ (٢) الخِماصا (٣)؟!

والقِبابَ البيضَ قد وعَدُوها　　بالمعالى فٱستطالتْ خِراصا (٤)

"بعميد الدولةِ" الأرضُ تُطوَى　　حين (٥) لا ترجو النجومُ خَلاصا

وبِجاحُ السعى بين يديه　　تشترى الآمالَ منه رِخاصا

مذ رأيناهُ سحابا عجِبنا　　كيف يحتلُّ ويأوى العِراصا (٦)

كرَمٌ فاضَ فما ٱختصَّ أرضا　　دون أرضٍ بنداه ٱختصاصا

من يحبّ العزّ يدأبْ اليه　　وكذا من طلب الدُّرَّ غاصا

قرّت الأعينُ بالقربِ منه　　فأراد البعدُ منها القِصاصا

---

(١) القلاص : جمع قلوص وهى الشابة من الإبل . (٢) العتاق : الخيل النجيبة . (٣) الخماص : الضامرة البطن . (٤) خراص : جمع خريص وهو السحاب . (٥) فى الأصل «حيث» . (٦) العراص : جمع عرصة وهى ساحة الدار .

لو ملكنا الأرضَ أو لو أطقنا　　لسَـــددنا برُباهـا الخصَـاصا(١)

وعقَلنـا النـاجيـاتِ(٢) خــلاءً　　وربَطنا المُقْــرَباتِ(٣) آرتهاصـا(٤)

فهِـمتْ ما حمَلتْ فى ذُراهـا　　من جمالٍ فآرتقصنَ آرتقاصا

ماجدٌ إن خاف أسهـمَ ذمٍّ　　لبس الجـودَ عليـه دِلاصا(٥)

أدواتُ الفخــرِ ألِفنَ فيـه　　حسَبا عِـدًّا(٦) وعِرقا مُصاصا(٧)

رُبَّ عزمٍ إن يُحكِّمْ(٨) [به] لم　　تجد الأقـدارُ عنـه مَناصـا

ساهرُ القلب اذا رامَ عُظمَى　　إن كَرَى النـومِ للأعينِ حاصـا(٩)

قذفتْ منـــه الليـالى بقِــرنٍ　　تنكُص الأبطالُ عنـه آنتكاصا(١٠)

محسـنٌ بالرأى ضربا وطعنـا　　يُخجل البيضَ ويُخزى الخِراصا(١١)

ساحر الألفـاظ لوشـاء ظبيـا(١٢)　　أسر الوحش بهنَّ آقتناصـا

كلمـا أبصـرَه حاسـدوه　　كُلِّلتْ تلك العيـونُ حُصَاصـا(١٣)

كشـعاع الشمسِ ترجع عنـه　　مَضرِحيّـاتُ(١٤) العيـون عِماصا

---

(١) الخصاص : كل خرق أو خلل فى باب أو غيره، — والمراد : كل ما انفـرج من الأرض، وفى الأصل : «الخضاص» وهو تصحيف. (٢) الناجيات : الإبل تنجو بصاحبها. (٣) المقربات : الخيل التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها. (٤) الأرتهاص : الرص وذلك بأن يكون بعضها بجانب بعض. (٥) الدلاص : الدرع الملساء اللينة وجمعها دلاص أيضا وقيل : دلص — بضم الدال واللام —. (٦) العد : القديم. (٧) المصاص : الخالص من كل شىء. (٨) ليست بالأصل. (٩) حاص : خاط. (١٠) القرن : الشجاع؛ والانتكاص : الرجوع. (١١) الخراص : الرماح. (١٢) كذا فى الأصل ولو خيرنا لقلنا «صيدا» ليكون المعنى أعم. (١٣) الحصاص : داء يتناثر منـه الشعر — والمراد به هنا تناثر شـعر أهداب العيون لشدة ما يبهرها من الضوء —. (١٤) المضرحى : الصقر أو النسر — وكلاهما يوصف بحدة البصر —.

ففداه كلُّ جَهمِ المُحيّا (١) ... مانعٌ عسجدَه (٢) والرَّصاصا

كالشّموسِ (٣) الصَّعبِ إن ذلّلوه ... زادهم ذُعرا ولجَّ قِماصا

مستهامٌ بالغواني اذا ما ... صقلتْ خدًّا وأرختْ عِقاصا (٤)

أين تبغي؟ قد زحَمتَ الثريّا ... في مَداها وانتعلتَ النِّشاصا (٥)

غايةٌ لو ذو جَناحٍ اليها ... طار لاعتاصت عليه اعتياصا (٦)

أنتمُ آلُ "جَهيرٍ" عديدٌ ... لا رأتْ فيه البنانُ انتقاصا

كلّما قيل: الرحيلُ قريبٌ ... غَصَّ بالبارد حَلْقي اغتصاصا

وأرى قلبي سيقتصُّ، إمّا ... سرتَ، آثارَ المطيِّ اقتصاصا

اقضِ في أمري بما أنتَ قاضٍ ... فبإنعامك أرجو الخَلاصا

ردَّك الله إلينا سليما ... بك أيامُ الزمان تَواصَى (٧)

✦ ✦ ✦

وقال يمدحُه عندَ عودهِ من هذهِ السَّفرة ، وقد صاهرَ نظامَ المُلك في شعبان سنة اثنتين وستين [بعد الأربعمائة] :

اذا نثرَ الناسُ "الهِرَقْلِيَّةَ" (٨) الصُّفْرا ... نثرتُ على عليائك الحمدَ والشُّكرا

(١) الجهم : العابس غير الطلق . (٢) العسجد : الذهب . (٣) الشموس : الأبي الممتنع . (٤) عقاص : جمع عقصة — بكسر العين — وهي الضفيرة . (٥) النشاص : السحاب . (٦) اعتاص : صعب واشتد . (٧) يريد : تتواصى أي يوصي بعضها بعضا ، ويقال : تواصى النبت أي اتصل بعضه ببعض . (٨) الهرقلية : دنانير منسوبة الى هرقل ملك الروم .

وصغتُ من الذهن المصفّى بدائعا (١) … أقرِّط أسماعَ الرُّواةِ بها شَذْرا (٢)
فلا تحسبَنَّ الدُّرّ فى البحرِ وحدَه … فقد تُخرِج الأفواهُ من لفظها دُرَّا
ومن كان جسمَ المكرمات وروحَها … تحلَّى ثناءً لا لُجَيْنا (٣) ولا تِبرا
يُحيَّا بريحانِ المحامدِ سمعُه … ويكفيه أن كانت مناقبه عِطرا
ولست براضٍ غيرَ وصفك تحفةً … ولا قاضيا إلا بمدحتك النَّذرا
بلغتَ "عميدَ الدولة" الغايةَ التى … ركائبُ أبناءِ المنى دونها حَسرَى (٤)
وما زلتَ تُغلى (٥) المجدَ حتى جعلتَه … عليك حبيسا لا يباعُ ولا يُشرى
وكم طالبٍ فيه نصيبا وإنه … لَيقبِضُ كفَّيه إذا عرَف السِّعرا
تطيعك فى المعروف نفسٌ حييَّة … إذا سُئلتْ جدواك تستقبحُ العُذرا
أظنُّك فى الدنيا تُريد زهادةً … فلستَ بمستبقٍ لعاقبةٍ ذُخرا
وقد كانت النَّعماءُ جادت بنفسها … فأنشأتَها فى عصرك النشأةَ الأخرى
مواهبُ يُعطين الغنىَّ على الغِنَى … مَزيدا ويتركن الفقيرَ كمن أثرى
يوافين (٦) سرًّا والسحابُ برعدها … تبوح بما توليه إن أرسلتْ قَطرا
فدًى لك صيفىُّ الغمامة فى الندى … يَظُنّ سؤالَ السائلين به مكرا
اذا حامت الآمالُ حول حياضه … سمعن بها من كلِّ ناحيةٍ زَجرا

(١) فى الأصل «وضعت» وهو تصحيف . (٢) الشذر : اللؤلؤ الصغير وهو أيضا الذهب .
(٣) اللجين : الفضة . (٤) حسرى : كايلة معياة . (٥) فى الأصل «تعلى» .
(٦) فى الأصل «توافيك» وهو تحريف .

أَلستَ من القوم الذين نداهُمُ حبائلُهم ، والراغبون بها أسرى
يبيتون فى المشتى خِماصًا (١) وعندهم من الزاد فضلاتٌ تُصان لمن يُقرى (٢)
خشَوا أن يضِلَّ الضيفُ عنهم فرفَّعوا من النار فى الظلماء ألويةً حُمرا
أفادوا الذى شاءوا وأفنَوه عاجلا فقد جمعتْ أيديهم العُسرَ واليُسرا
تواليك حبّاتُ القلوب كأنما خُلقتَ سرورا فى الضمائر أو سِرّا
فإن كانت العينان داعيةَ الهوى فقد أبصرتْ من شخصك الشمسَ والبدرا
وإن كان للنفس الطروبِ تُتيِّمٌ فأجدرُ أن تَهوَى خلائقَك الزُّهرا
فقد جنَح الأعداءُ للسِّلم رغبةً إليك، وأىّ الناس لا يعشق البِرّا؟
فأما سَقام الحاسدين فما له شفاءٌ وقد كادتهُمُ نِعَمٌ تَترى
تساوت يداك بسطةً وسماحةً فلم تفخر اليمنى بفضل على اليسرى
ومعتركٍ للقوم مزّقتَ جمعَه بحدٍّ لسانٍ يُحسن الكرّ والفرّا
وفحشاء أدّتها إليك جهالةٌ جعلتَ رِتاجَ (٣) الحلم من دونها سِترا
سما بك فوق العزّ قلبٌ مشيَّعٌ (٤) اذا ركب الأهوالَ لم يستشر فكرا
وهمّةُ وثّابٍ على كلّ ذِروةٍ ينال على أكتادها (٥) النَّهىَ والأمرا
ألا ربَّ ساعٍ فى مَداك كَبَتْ به مطاياه أو قالت له رِجلُه : عَثْرا

(١) الخماص : الجياع . (٢) يقرى : يضاف . (٣) الرتاج : الباب العظيم المغلق ، وفى الأصل «رباح» وهو تصحيف . (٤) المشيع : الشجاع . (٥) الأكتاد : الأكتاف .

وملتمِسٍ فى عـدِّ فضـلك غايةً   ومن يَشبرُ[1] الخضراءَ أو ينزِف البحرا؟!

خذوا عن غُبار الأعوجيَّات[2] جانبـا   و إلا فقـد ضيعتمُ خَلفها الحُضرا

وخلُّوا لهـذا البـازِلِ[3] القَرمِ شَـولَه[4]   فإنكمُ لم تحذقوا الحَـذْر والخَطْـرا

فتًى سالَبَ الأعداء حِرصا على العـلا   فأَجلَوا له عنهـا وما عَقَـد الأُزْرا[5]

وهـل يُعجب الروضُ المنوَّرُ أعينا   رعَتْ فى محيّاه الطـلاقةَ والبِشرا

كأنَّ الحيـاءَ أنهلَّ فى وجَناته   فكانَ لهـا ماءً وكانت له غُـدْرا[6]

تحـدِّثه الغيبَ الخـفىَّ ظنـونُه   فتحسـبُها قد أودِعتْ صُحُفا تُقرا

وقالوا : هو الغيث الذى يغمُرُ[7] الربَى   فقلت لهـم : ما زدتمونى به خُبرا

فقالوا : هـو الليثُ المعفِّر قِـرنَهُ   فقلت : بحـقِّ الله أيُّهـما أجرا؟[8]

حلفت بهـا تَهـوِى على ثَفِناتهـا[9]   من الأينِ[10] مرخاةً أزِمَّتُهـا صُعرا[11]،

تجـرِّر أذيالَ الرياح وراءَها   إذا كتبتْ سطرا محتْ قبلَه سطرا،

تنَزَّهُ عن حَمل الأوانِس كالدُّمى   وتحمِل فى كِيرانهـا[12] الشُّـعثَ والغُـبْرا،

إلى حيث لا تُجزَى بحسن صنيعهـا   إذا ما قضَوا نُسكا جزَوها به نَحـرا،

---

(١) يشبر : يقيس بالشبر . (٢) الأعوجيات : النجائب من الإبل المنسوبة الى أعوج وهو فحل ، والحضر : العدو . (٣) البازل القرم : الفحل الكريم . (٤) الشول : جمع شائلة — وهى من الإبل — : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها .
(٥) أزر : جمع إزار وهو معروف . (٦) غدر : جمع غدير وهو النهر . (٧) فى الأصل : «يعمر» وهو تصحيف . (٨) يريد أجرأ . (٩) ثفنات : جمع ثفنة وهى ما يقع على الأرض من البعير اذا استناخ . (١٠) الأين . الجهد . (١١) صعرا . مائلة .
(١٢) كيران : جمع كور وهو الرحل .

وبالبيت محفـوفا بمن طاف حـوله إطافة سِمطَىْ لؤلؤ قـلّدا نحـرا،
تُفـاضُ سجـوفُ الرَّقـم(١) فى جنباته على مائلٍ تَعَرّى السيوفُ ولا يعرى،
حمًى لا يخـاف الطـيرُ فى شجـراته قنيصا ولا تخشى الظبـاءُ به ذُعرا،
وبالحجـرِ الملثـومِ سمعـا وطاعـة ونعـلم أنّ ما يملك النفـع والضـرا،:
لأنت إذا صَكّوا القِداح على العلا أحظُّهـمُ سهـما وأسرعُهـم قَمـرا(٢)
وأعلاهُـمُ كعبا وأحلاهُمُ جَنًى وأوفاهُـمُ عهـدا وأرفعُهم ذِكرا
كفاكَ نجاحُ السعى فى كلّ مطلب هممتَ به أن تزجُرَ الأُدْمَ(٣) والعُفرا
بعـزمٍ كما أطلقت أُنشـوطةَ الحُبَى وجِدٍّ كما نفَّـرتَ عن مَربأ صَـقرا
رأيتـك طـودا للخليفـة شامخا وسيفا على شانيه يختصر العمـرا
إذا عرَضتْ حَوجاءُ كنتَ قضاءَها وإن طرَقتْ غَمّـاءُ سَـدّ بك الثغرا
دعاك لأمرٍ ليس يُحكِم فتـلَه سـواك وهِجِّيراك(٤) أن تُبرمَ الأمرا
فأرسلتَهـا من « بابلٍ » وكأنما تُقلقِلُ من تحت السروج قَطًا كُدْرا
صدمتَ بها الأجبالَ والقُـرُّ(٥) كالحٌ تجلّلهـا ثلجا وتُنعلهـا صخـرا
تذكَّرُ مَرعًى « بالعـراقِ » وموردا وهل ينفع المشـتاقَ ترديدُه الذكرا

---

(١) سجوف الرقم . ستائر الخز . (٢) قمرا : مصدر قره — بفتح الميم — لاعبه فى القمار فغلبه .

(٣) الأدم والعفر : — من الخيل والنوق والظباء — البيض والتى لونها كلون العفر وهو التراب .

(٤) هجيراك : بمعنى دأبك وشأنك . (٥) القر . البرد .

إذا رَبأتْ (١) فى قُنَّـةٍ (٢) خِلت أنها   خُدارِيَّةُ (٣) العِقبانِ طالبـةٌ وَكرا
فزاحمن فيها الشُّهب حتى طمعن أن   يحلِّين منهنّ القلائدَ والعُـذْرا (٤)
بكلِّ منيفٍ يقصُــر الطــيرُ دونه   ولا تجـد النكباءُ من فوقه مجرى
وطـودٍ بحـولىّ الجليـدِ معمَّمٍ   كما زار لونُ الشيب فى هامةٍ شَعرا
كأنا كشــطنا عنــه جِـلدةَ بازلٍ (٥)   كسا شحمُه جنبيــه والمتنَ والظهرا
أقامت به الأنواءُ تُهـدى لك القِرى   ولم تقتنــع بالمـاء فاحتلبت دَرًّا
فرشنَ بكافورِ السماء لك الربَى   فشابهنَــه لونا وخالفنَــه قِشرا
اذا خلَصت منها الجيادُ رأيتها   وما خالطت لونا محجَّلةً غُرًّا
وقاسمها بُعـدُ المدى فى جسومها   فأفنى بها (٦) شـطرا وأبقى لها شـطرا
ولما دَحَت قُود (٧) الهضاب وراءَها   ورنّحها طـولُ القيادِ لها سُكرا،
رمتْ صحصحانَ (٨) "الرِّىّ" (٩) منها بأعين   تردّد فى أعطافه نظـرا شَزرا (١٠)
هناك دعا داعٍ من الله مسمِعٌ   فلبَّاك من ضمَّتْ معالمُها طُـرًّا
يحيُّون ميمـونَ النقيبــةِ ماجدا   ويَلقون بالتعظيم أعظمَهم قـدرا

---

(١) ربأت : اتخذت مربأ . (٢) القنة ؛ رأس الجبل . (٣) الخدارية : العقاب السوداء . (٤) العذر : جمع عذار وهو ما سال من اللجام على خد الفرس . (٥) البازل : الجمل المسن . (٦) فى الأصل «به» وهو غير واضح . (٧) قود . جمع قائد ؛ وهو المستطيل من الجبل على وجه الأرض . (٨) الصحصحان . ما آستوى من الأرض . (٩) الرى : بلدة بفارس ، — والنسبة اليها : رازى . (١٠) النظر الشزر : أن يكون بجانب العين كنظر الغضبان .

ولاقيتَ ربَّ التاج يرفعُ حُجْبَهُ ويطرُد، ما ناجيتـه، التيهَ والكِبرا
وحاورتَه حتى شغفتَ فؤادَه ألا ربّما كان البيانُ هو السحرا
رأى فيك ما يهواه مجدا وسؤددا فما كنت إلا فى مجالسه صدرا
وحسبُك فخرا ان تجهّزتَ غاديا فقضّيتَ أوطار النبوة من "كِسرى"
مليكٌ حمى الرحمنُ بيضةَ مُلكه فما فى الورى من يستطيع لها كسرا
كتائبُه فى كلّ شرق ومغرب مدرّعةٌ فتحا، مؤيّدةٌ نصرا
كفاه "نظامُ الملك" أكبرَ همّه وأتعبَ فى آرائه السرَّ والجهرا
همامٌ إذا ما هزَّ فى الخطب رأيَهُ فلا عجبٌ أن يُخجل البيضَ والسُّمرا (١)
إذا هو أمضى نعمةً قد تعنّست (٢) تخيّرَ أُخرى من مواهبه بِكرا
ومن رأيه الميمونِ عقدُ حبالهِ بحبلك حتى قد شددتَ به أَزْرا
لئن كنتَ أنت "المشترِى" فى سمائه علوًّا لقد قارنتَ فى أفقهِ "الشِّعْرَى"
فأصبحتُما "كالفرقدَيْن" تناسُبًا فأكرِمْ بذا حَموًا وأكرم بذا صِهرا
وقضّيتَ ما قضّيتَ ثم عطفتَها تَبارَى كما ينسابُ فى الشَّعَر المِدرى (٣)
وأُبتَ كما آبَ الربيعُ الى الثرى يَخيط على أعطافهِ حُلَلا خُضرا
ففى كلّ يوم ما أغبَّ مبشّر يؤدّى إلى "بغدادَ" من قربك البُشرى

(١) البيض والسمر : السيوف والرماح . (٢) تعنست : طال مكثها بلا زواج حتى خرجت من عداد الأبكار . (٣) المدرى : المشط .

ولما اطمأنّت فى "جَلُولاء"(١) عالجتْ ... بذاك النسيمِ الرطبِ أكبادَها الحرّى

فأقسمتَ لا تنفكّ تحت لُبــودِها(٢) ... إلى أن توافى حَلبةَ(٣) القصْرِ والقصرا

وعُجتَ بهــا تطوى منــازلَ أربعــا ... إلى منزلٍ، يا بعدَ ذلك من مَسرَى!

ولله فينــا نِعــمةٌ إثرَ نعــمةٍ ... وعَــوْدك محروسا هو النعمة الكبرى

فلا كان يومٌ لستَ فى صــدره ضُحًى ... ولا كان ليــلٌ لستَ فى عَجْزه فجرا

* * *

وقال يمدحُه ويهنئــه بالنيروز الفارسىّ، وأهــدَى إليــه كُتُبًا عِوض الدرهم والدينار :

وددتُ التصابى فيك إذ كان عاذرى ... وعاديتُ حلمى إذ غدا عنك زاجرى

ومالى سوى قلبٍ يضلّ ويهتدى ... فإما الهوى فيــه وإما بَصائرى

وإنى لأدرِى أنمــا الغُنْــجُ(٤) واللَّمَى(٥) ... وبيضُ الطُّلَى(٦) هنّ القذى(٧) فى المحاجرِ(٨)

ولكنّهــا نفسٌ تروضُ طباعَها ... بما حملته من عذاب الجآذرِ(٩)

عدِمتُ فؤادى يبتغى الآنَ رشدَه ... فهــلّا قُبيل الحبّ كان مشاورى!

---

(١) جلولاء : قرية بفارس على بعد سبعة فراسخ من بغداد . (٢) لبود : جمع لبد، وهو ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج . (٣) الحلبة : محلة واسعة فى شرقى بغداد ؛ والقصر : اسم لجملة مواضع ؛ فنها : قصر الأحرية فى نواحى بغداد ؛ وقصر أم حبيب بنت الرشيد من الجانب الشرقى من بغداد .
(٤) الغنج : الدلال . (٥) اللمى : سمرة فى باطن الشفة — وهى مستحسنة عند العرب — .
(٦) الطلى : الأعناق . واحدها : طليــة . (٧) القــذى : ما يقع فى العين فيوجعها .
(٨) محاجر : جمع محجر وهو مادار بالعين . (٩) الجآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية .

فما بالنا نُعطَى الدنيَّة فى الهوى — وفى الروع لا نعطَى ظُلامةَ ثائرِ

كأنا جميمُ(١) الروض يقطُف نَوْرَه الـظـ — ـباءُ ولا يحـلو لأُسْـدٍ خوادرِ(٢)

وإنّ انقيادى طوعَ ما أنا كارهٌ — يدلّك أنّ المرءَ ليس بقادرِ

لواحظُنا تجنى ولا علمَ عندَها — وأنفسُنا مأخوذةٌ بالجرائرِ

ولم أرَ أغبَى من نفوسٍ عفائفٍ — تصدّق أخبارَ العيون الفواجرِ

ومن كانت الأجفانُ حُجّابَ قلبه — أَذِنّ على أحشائه للفواقرِ(٣)

اذا لم أفز منكم بوعدٍ فنظرةٍ — اليكم، فما نفعى بسمعى وناظرى؟!

وما زال لى عند الظباء ظُلامةٌ — تُردُّ الى قاضٍ من الحبّ جائرِ

لعمرُك مابى فى الصبابة حَيرةٌ — تقسّم فكرى بين ناهٍ وآمرِ

تصاممتُ عن عذل العذول لأنه احـ — ـتجاجٌ لسالٍ واعتذارٌ لعاذرِ

وكيف بنسيانى الذى حفظ الصّبا — وبات به طيفُ الخيال مسامرى

بلى إنّ بَردَ اليأس يطفئُ حُرقةً — ولو سُقيت منه قلوبُ الهواجرِ

وإنّا اذا ضلّت من "الحَزْنِ" نفحةٌ — فزِعنا الى نِشْدانها بالمناخرِ

أصعّد أنفاسى اذا ما تمرّغت — على تُربه هوجُ(٤) الرياح الخواطرِ

---

(١) الجميم : النبت الناهض المنتشر . (٢) الخادر : اللازم لعرينه والمقيم به .

(٣) الفواقر : جمع فاقرة وهى الداهية التى تقصم الظهر . (٤) هوج : جمع هوجاء، وهى الريح الشديدة التى تقتلع البيوت .

وأذكرُ يوما قصّر الوصلُ عمرَه ... كأنا ٱلتقينا منه في ظلّ طائرِ

متى غنّت الورقاءُ كانت مدامتى ... دموعى ، وزفراتى حنين مَزاهرى (١)

خليلىّ هذا الحُلمُ قد أطلق الأسى ... وبثّ حُبولَ (٢) الشوق بين الضمائر

ولم يبق في الأحشاء إلا صُبابة (٣) ... من الصبر تجرى في الدموع البوادرِ

فَلَيّا بأعناقِ المطىِّ فربّما ... أصبنا الأمانى في صدور الأباعرِ

وإن لم يكن في ربّة الخدر مَطمعٌ ... قنعنا بآثار الرسوم الدوائرِ (٤)

مَرابط أفراس ومَبرك هَجمةٍ (٥) ... وملعب ولدان ومجلس سامرِ

وسُفعٍ (٦) أثافٍ (٧) كأنّ رمادَها ... حمائمُ لكن هنّ غيرُ طوائرِ

ويا حبّذا تلك النُّؤىّ (٨) وليتها ... تروح خلاخيلى وتغدو أساورى

اذا أنتَ لم تحفَظ عهودَ منازلٍ ... فلستَ لعهد النازلين بذاكرِ

سقاها الذى أضحت ينابيعُ فضلِه ... تَمُدُّ شآبيبَ الغيوثِ البواكرِ

بجُودُ "عميد الدولة" العُشبُ والحيا ... ومقتَرحُ الراجى وزادُ المسافرِ

كُفيتَ به أن تطلبَ الرزقَ جاهدا ... على زعمهم بالسعى أو بالمقادرِ

---

(١) مزاهر : جمع مزهر وهو العود . (٢) حبول : جمع حبل وهو معروف والمراد الحبائل . (٣) الصبابة : البقية . (٤) الدوائر : البوالى . (٥) الهجمة : قطيع من الإبل ما بين السبعين والمائة . (٦) سفع : جمع أسفع وسفعاء وهى السوداء . (٧) الأثافى : جمع أثفية وهى ثلاثة أحجار توضع عليها القدر . (٨) النؤى : جمع نؤى وهو الحفير حول الخيمة يمنع عنها السيل .

تَظَلُّ قَلوصُ الجُودِ (١) ترقُص تحتَهُ — اذا حُدِيتْ يوما بنغمة شاكرِ

تحدَّثْ ولا تَحرَجْ (٢) بكلّ عجيبةٍ — من البحر أو تلك الخلال الزواهرِ

فما ذاق طعمَ الرىِّ من لم تُسَقِّه — أناملُه من صوبها المتواترِ

وكم من كسيرٍ لليالى قد ٱلتقت — عليه أياديه ٱلتقاءَ الجبائرِ (٣)

ومنتهِب الجدوى يُريك سحابُه — زمانَ الربيع السكبِ فى شهر "ناجرِ" (٤)

يسابقُ بالفعلِ المقالَ كأنه — يرى الوعدَ فنًّا من مِطال الضمائرِ

فأنت تراه ماطرا غيرَ بارقٍ — ولست تراه بارقا غيرَ ماطرِ

مواهبُ سمّاها العفاةُ صنائعا — وهنّ نجومٌ فى سماء المآثرِ

ملوم على بذل البضائع فى الندى — وما تاجرٌ فى المكرُمات بخاسرِ

قَطوبٌ وأطرافُ القيانِ عوابثٌ — ضحوكٌ وأطرافُ القنا فى الحناجرِ

به ٱزدانت الدنيا لنا وتلفّتت — الينا الليالى بالخدود النواضرِ

تعلّمت الأيامُ منه بشاشةً — أعادت إلى الدهرِ هَشَّ المكاسرِ (٥)

يذيبُ السؤالُ شحمةَ الرفدِ عنده — وهل يجُد العنقودُ فى كفّ عاصرِ

أبَى أن تهُزَّ العنجُهيّةُ (٦) عِطفَهُ — يقيناً بأنّ الكبرَ إحدى الكبائرِ

ولا عيبَ فى أخلاقه غيرَ أنها — فرائدُ دُرّ مالها من نظائرِ

(١) القلوص : الفتية من الإبل . (٢) تحرج : تأثم . (٣) الجبائر : جمع جبيرة وهى عيدان تجبر بها العظام . (٤) ناجر : الشهر الواقع فى صميم الحر . (٥) المكاسر : غضون الوجه . (٦) العنجهية : الجفاء والكبر والعظمة .

وما النّاسُ إلا كالبحور فبعضُها عقيمٌ وبعضٌ معدنٌ للجواهرِ
فتعسًا لأقدام السُّعاةِ وراءه ألم ينتهوا عنه بأول عاثرِ!
يُقِرُّ له بالفضل كلُّ منازع إذا قيل يومَ الجمع: هل من مُفاخرِ؟
أخو الحزم ليست فى نواحيه فرصةٌ لنُهزةِ مغتالٍ ونَفثةِ ساحر
اذا ركَضتْ آراؤه خلفَ فائتٍ تدارك منه غائبا مثل حاضرِ
متى تأتِه مستشفعا بصنيعِهِ اليك تقد لاقيته بأواصرِ
تتبّع أوساطَ الأمور مجانبا تورُّطَ عجلان ووَنيةَ قاصرِ
وقد علم النُّزّاعُ أن ديارَه اذا انتجعوها نِعم دارُ المُهاجرِ
تسلّوا عن الأوطان بالأبطح الذى يلائم مَرعاه لبادٍ وحاضرِ
يطاول بالأقلام ما تبلغ القنا ويفضُل أفعالَ الظُّبا بالمخاصرِ (١)
من العصبةِ الغُرِّ الذين سعودُهم بآرائهم لا بالنجوم السوائرِ
فوارسُ هيجاءٍ وقولٍ، ركوبهم ظهورُ الجيادِ أو ظهورُ المنابرِ
يظن الضيوفُ أن دارهمُ «مِنًى» ودهرَهُمُ عيدٌ لعُظم المناحرِ
وما أوقدوا النيرانَ إلا ليفضَحوا بها الليلَ إن أخفى مسالكَ زائرِ
وقد علمتْ تلك (٢) المكارم والعلا وقد ولدتهم أنها غيرُ عاقرِ

(١) مخاصر: جمع مخصرة وهى عصا صغيرة يشير بها الملك. (٢) فى الأصل: «أن»، وفى مختارات البارودى «تلك» فرجحناها لوضوح المعنى بها.

أيا "شرفَ الدين" المشرِّف عصرِه ومن حلَّ فيه ، بالعطايا البواهرِ (١)

تناولَ "بنيروز" الأكاسرِ غبطةً تضاحك أفـواهَ الأمانى الفواغرِ

هو اليومُ لا فى حُلّة الصيف رافلٌ ولا فى سرابيـل الشـتاء بخاطرِ

يكاد لسانَا طِيبـهِ واعتـدالهِ يُبينان أنّ الدهرَ ليس بجائرِ

ولما رأيتُ المـال عندك هيّنـا جعلتُ هـداياه رياضَ الدفاترِ

فإنك (٢) من حمـد الرجال وشكرِهم كثيرُ (٣) الكنوزِ واللُّهَى (٤) والذخائرِ

⁂

وقال يمدحُه، ويشكرُه على تعهّدِه بالعيادةِ من ألمٍ نالَه :

أبَى اللهُ إلا أن تجـودَ وتُنعِـما خلائقُـك اللائى تَفيضُ تكرُّما

لك المثَـلُ الأعلى بكلِّ فضيـلةٍ إذا ملأ الراوى بها النّجدَ أتهـما

لآلىءُ من بحـر الفضائلِ إن بدت لغائصِها صـلّى عليها وسلّما

ولـو ملَكتْها الغانياتُ بحيـلةٍ لزنَّ بهـا جِيـدا وحلَّين معصـما

وكم لك فى غُمّاتِهـا من عزيمـةٍ تُسابق بالنصـر الخميسَ العرمرَما (٥)

يُفـلّل حدّاها الحسـامَ مصمِّما ويُخجِل عِطفاها الوشـيجَ (٦) مقوَّما

وما الجـودُ إلا ما قتلتَ به اللُّهَى (٤) فلم تُبـق دينارا ولم تُبـق درهمـا

---

(١) كذا فى مختارات البارودى ، وفى الأصل : «الطواهر» ولعلها "الفواهر" . (٢) فى الأصل : «فان يك» وبها لايستقيم المعنى فرجحنا ماوضعناه . (٣) فى الأصل هكذا «كبير» (٤) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا . (٥) العرمرم : الكثير . (٦) الوشيج : شجر الرماح .

فما يتعاطاك السحابُ اذا همى ⁂ ولا البحرُ يحكى ضَفَّتيك و إن طما

وهل يقدِر الأقوامُ أن يتكلَّفوا ⁂ مكارمَ قد أعيتْ "سماكا" و"مِرزَما"[1]

نهضتَ بأثقالِ المعالى ولو دُعِى ⁂ إلى حملها العَودُ[2] الدِّيافىُّ[3] أرزما[4]

فسيّان من يبغى عُلاك وطالبٌ ⁂ ليبلغَ أسبابَ السمواتِ سُلَّما

وما المدحُ مستوفٍ علاك وإنما ⁂ حقيقٌ على المنطيق أن يتكلَّما

ألم ترَ أنّ الأرضَ رحبٌ فسيحةٌ ⁂ ونحن نوليّها قلائصَ[5] سُهَّما[6]

أنتى[7] "عميدَ الدولة" المِنَّةُ التى ⁂ نفختَ بها رُوحا وأحييتَ أعظما

كأنّ الرسولَ المُسمِعى نغماتِها ⁂ رسولٌ تلا وَحْيًا من الله مُحكَما

فأُلبِستُ منها صِحّةً هى جُنَّتى ⁂ إذا ما قِسِىُّ الدهرِ فوّقن أسهُما

ودارتْ [بها][8] كأسُ الشفاء وعُلِّقتْ ⁂ علَّى رُقًى منها تُداوى المتيَّما

فقد كدتُ فى عَجزى عن الشكرِ أن أرى ⁂ لسانىَ مجروما[9] وقلبى مُفحَما

ولكنّها ريحُ الثناءِ إذا جرت ⁂ بذكرِك لم أملِكْ لسانا ولا فما

وأفضالُك الروضُ الربيعىُّ إن دعا ⁂ بزَهرته وُرقَ الحمام ترنُّما

---

(١) السماك والمرزم : كوكبان من أنواء المطر . (٢) العود : الجمل الشديد .

(٣) الديافى : منسوب إلى ضرب من إبل قرية بالشام يقال لها دياف ، وأهلها نبط الشام .

(٤) أرزم : صات من ثقل ما يحمله . (٥) القلائص : الفتيات من النوق . (٦) السهم : الهزيلة المتغيرة اللون . (٧) فى الأصل : « أسنى » . (٨) ليست بالأصل .

(٩) المجروم : المقطوع .

فلا ضحِك الإصباحُ إلا تحلّتهُ ... ببهجتِك الغزاءِ ثغرا ومبسِما
ولا دجتِ الظلماءُ إلا أعرتَها ... شمائلَك الغُرَّ اللوامعَ أنجُما
تطيعك أيام الزمان مصيخةً(١) ... بأسماعِها حتى تقول وتَرسُما
ستأتيك من مدحى قوافٍ بديعةٌ ... ينافس فيها الجاهلىُّ المُخضرما(٢)
وإنى بمنثورِ الكلام لعالِمٌ ... ولكنَّ حسنَ الدرّ فى أن يُنظَّما

وقال يمدحُه :

أبَيْنا أن نطيعَكمُ أبَيْنا ... فلا تُهدوا نصيحتكم إلينا
ركبنا فى الهوى خطَرا فإما ... لنا ما قد كسَبنا أو علينا
فما تسآلكم عن كلِّ صبٍّ ... كأنَّ لكم على العشاق دَينا!
ولو لم يَرضَ ربُّك ما رضينا ... لَما أنشا لنا قلبا وعينا
بنفسى رامياتٌ ليس تفنَى ... نُصولُ سِهامهنّ اذا رمينا
كأنّهمُ أعدّوا للرزايا ... بكلِّ كحيلةٍ زيرا(٣) وقَينا(٤)
تعوَّضنَ الخيامَ من المطايا ... وحسبُك بالخيام قِلًى(٥) وبَينا
ولوّينَ البنانَ فقلتُ زجرا ... بميعادى وآمالى لوَينا
عجائبُ فى الصبابة لو عقلنا ... نحبُّ محاسنا فتصير حَيْنا

(١) مصيخة : مصغية . (٢) المخضرم : الذى عاش فى الجاهلية والإسلام . (٣) الزير : الذى يحب مجالسة النساء ومحادثتهن . (٤) القين : العبد . (٥) القلى : البغض .

نسائلُ عن ثُمامات "بُحزَوى"(١) وبانُ "الرمل" يعلم مَن عَنَينا
وقد كُشِفَ الغِطاءُ فما نبالى أصرَّحْنا بذكركِ أم كَنَينا
ولو أنى أنادى : يا "سُليمَى" لقالوا : ما أردتَ سوى "لُبَينَى"
ألا لله طيفٌ منكِ يسقى بكاسات الردى زُورا ومَينا
مطيَّته طَوالَ الدهرِ جفنى فكيف شكا اليكِ وَجًى(٢) وأينا(٣)
فأمسينا كأنا ما آفترقنا وأصبحنا كأنا ما آلتقينا
ولولا نُورُ أزهرَ شمَّرِىٍّ(٤) تبلَّج(٥) فى الظلام لما آهتدينا
"عميد الدولة" المعطِى القوافى رُهونَ سِباقهنَّ اذا جَرَينا
فتًى يبنى على الغُلَواء(٦) بيتا اذا نزل المقصِّر بينَ بينا
يقول لإبله : مُوتى هُزالاً ولا تَرعَىْ بأكناف الهوَينَى
إذا ما السُّحبُ بالأمواهِ سَحَّتْ تهلَّل عسجدا(٧) وهَمى لُجينا(٨)
بكلِّ قرارةٍ وبكلِّ ربعٍ رياضٌ من نداه قد آنتشينا
غصونُ مكارمٍ قَيظا وقُرًّا(٩) نُصيب بها ثمارا يُجتَنَينا
وما سلبَ الشتاءُ الأرضَ إلا تسربلنَ المحامدَ فاكتسينا
جرَى والسابقُون إلى المعالى فجاء فُوَيقها وأتَوا دُوَينا

(١) الثمام : نبت ضعيف له خوص . (٢) الوجى : الحفا . (٣) الأين : التعب والنصب . (٤) الشمرى : الماضى فى الأمور المجرب . (٥) تبلج : أضاء . (٦) الغلواء : الغلو فى الشىء . (٧) العسجد : الذهب . (٨) اللجين : الفضة . (٩) القر : البرد .

وكتب إليه وقد عَرَض عليه تقليدَ عملٍ من أعمالِ العراقِ لم يُرضِـه، ويزرى على جماعةٍ من العمال :

قــد حصَلنا من المعــاش كما قيـ ـل قديما : لا عطرَ بعد عَروسِ (١)
ذهبَ القــومُ بالأطايبِ منــه ودُعينــا الى الدّنىّ الخســيسِ
لا جميــلٌ بمثله يحسُن الذكـ ـرُ ولا عامرٌ خرابُ الكيسِ
واذا ما عدِمتُ فى الأمر هــذيـ ـن فسيّانِ نهضــتى وجلوسى
عُرِضَت قبلَنــا "تَبــالةُ" (٢) "للحجّا ج" فأعتافهــا بوجهٍ عَبــوسِ
وتولّى أمرَ "العــراقين" صالِ نارَحربٍ تُزْرى بحربِ "البسوسِ" (٣)
جلســةٌ فى الجحيم أحرَى وأولى من رحيــلٍ يُفضِى إلى تدنيسِ
ففــرارا من المــذلّة فى "آ دمَ" كان الفــرارُ من "إبليسِ"
أتــرانى مزاحمًــا لأناسٍ قُلِّدوهــا بالســيف والدبّوسِ
بين ذى عُجْــمة وآخرَ منقــو صٍ وذى جِنَّــةٍ وذى تمييسِ (٤)
وبطينٍ وأبرصٍ وهمــا دا ءانِ غضّــا من قــدرِ كلّ رئيسِ

---

(١) مثل يضرب لمن لا يؤخر عنه نفيس . (٢) يشير الشاعر الى تولية الحجاج بن يوسف الثقفىّ على تبالة وهى أول عمل وليه فسار اليها ، فلما قرب منها قال للدليل : أين تبالة ؟ فقال : تسترها هذه الأكمة ، فقال : لا أرانى أميرا على موضع تستره عنى أكمة ؛ أهون بها ، وكر راجعا ، فقيل فى ذلك : أهون من تبالة على الحجاج . (٣) أنظر صفحة ٣ شرح ١ (٤) التمييس : التلبيس .

معشر ليس يبـلغ الذمُّ فيهـم حدَّه إن وصـفتهم بتيـوسِ
غايةُ العـلمِ عنـدهم وتمامُ الـ ـفضل حسنُ المركوب والملبوسِ
ما آفتخار الفتى بثـوبٍ جديدٍ وهو من تحته بعِـرضٍ لبيسِ؟! (١)
والغـنَى ليس بالُّلجَيْن (٢) وبالتبْـ ـر ولكن بعـزّةٍ فى النفـوسِ
عادة للزمان يجـرى عليهـا أن تصير الأذنابُ فوق الرءوسِ
قد حويتُ الذى به ينجح السعـ ـىُ فمن لى بحظِّى المنحـوسِ
وإذا صحَّ لى هوى "شرف الديـ ـن" تولَّى النعيمُ قتـلَ البـوسِ
قـد توثَّقتُ يا صروفَ الليـالى من أياديه فآحمُقى أو كِيسى (٣)
لىَ ما شئتُ روضـةٌ وغديرٌ ومِراحٌ من ربعـهِ المأنوسِ

وقال يمدحُه ويهنِّئه بعيد الأضحى والمهرجان :

يا صِحـابى وأينَ منِّىَ صَحـبى صرَعتهـم عيونُ ذاك السِّربِ
يومَ أبدَوا تلك الوجوهَ علمنـا أنمـا يُشهرَ السلاحُ لحَـربِ
لحظـاتٌ أسماؤهنّ آسـتعارا تٌ وما هنّ غـير طعنٍ وضربِ
إن أُجبْ داعىَ الهوى غيرَ راضٍ فالصـدَى (٤) بالنـداءِ كُرْهًـا يلبِّى

(١) اللبيس : الخلق الممزق . (٢) اللجين : الفضة . (٣) كيسى : أى كونى كيسة ذات عقل . (٤) الصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت فيه بمثل صوته .

هل أرى فى السهادِ صُبحًا بعينى   من أرى فى الرقاد ليـلا بقلبى
أمـلٌ كاذبٌ : قِطافُ ثمارٍ   من غصونٍ ملتفـةٍ بالعصْبِ (١)
كلّما رنّح النسيمُ فـروعَ الـ   ـبان هزّت أعطـافَها بالعُجبِ
إنَّ روضَ الخـدودِ ليس لرعيٍ   وخمـورَ الثغور ليست لشُربِ
أرِنى مِيتـةً تطيبُ بهـا النفـ   ـسُ وقتـلًا يلذُّ غـيرَ الحبِّ
لا تَزُلْ بى عن "العقيقِ" ففيه   وطـرِى إن قضَـيتهُ أو نحبى
أجمـلٌ ألّا أزورَ ديارا   يوم بانوا دفنتُ فيهـا لـبّى!
لا رعيتُ السوامَ إن قلتُ للصُّحـ   ـبةِ : خِفّى عنه، وللعيس : هُبّى
وقفـةٌ بالركابِ تجمعُ فيهـا   فرحـةٌ لى وراحةٌ للرَّكْبِ
فى كِناس (٢) "الأَرْطَى" (٣) شبيهةُ لعسا (٤)   ءَ حَماها العفافُ مثـلَ الحُجْبِ
يُتمارَى أهـذه من نِتـاج الـ   ـوحش أم تلك من بناتِ العُربِ؟!
قبلما ٱستضحكتْ لنا ما طمعنا   أن نرى الدُّرَّ فى الزلال العذبِ
طلعتْ وِجهـةً وقابلهـا البـد   رُ فسوَّت ما بين شرقٍ وغربِ
كلُّ شىءٍ حسبتُه من تجنّيـ   ـها سوى عدّها الصبابةَ ذنبى
وسـدادٌ رأىُ العـذول ولكن   ليس يُعفِى الغرامُ من قال : حَسبى!

---

(١) العصب : ضرب من الثياب يصبغ ثم ينسج .   (٢) الكناس : بيت الظبى .
(٣) الأرطى : شجر ثمره كالعناب .   (٤) اللعساء : التى فى شفتها سواد — وهو مستحسن عند العرب — .

ربّما أقلع المتيَّمُ بالعذ … رِ وزاد آستهامةً بالعتبِ
مثلما آزداد فى الندى "شرفُ الـ … ـدين" لجَاجًا على الملام الصعبِ
مشرق الوجه باذل الفم بالنّيـ … ـل، وحسنُ الغديرِ زهرُ العُشبِ
كاد أن يرفع الموازين إعلا … مًا لنا أن ماله للنهبِ
واهب الخُـرَّد[1] العطابيلِ[2] والكو[3] … مِ المطافيـلِ[4] والعتاقِ[5] القُبِّ[6]
وبُدورِ[7] النُّضار أعجلها الطا … لبَ تبرا عن سبكها والضربِ
شرفٌ صـغَّر الذى عظَّمـوه … من كرامٍ أخبارُهم فى الكُتْبِ
غمس الشكر فى سلاف أياديـ … ـه فحيّاه باللسان الرَّطْبِ
لا سقى الله معشرا وهو فيهـم … لِمَ يرجُون بارقاتِ السُّحبِ!!
عرفت فضـله الرجالُ فألقت … بالمقاليـدِ للخُشاشِ[8] النَّـدبِ[9]
طبعوا بَهرجَ[10] المعالى ليحكو … هُ وليس النبىُّ كالمتنبّى
من له رِحلتا "قريش" الى المجـ … ـد تؤوبان من علاءٍ بكسبِ
كيف لا يملأُ الحقائبَ شكرا … وهو فى متجَـر المكارم يُربى

---

(١) خرد : جمع خريدة وهى المرأة الحيية . (٢) عطابيل جمع عطبول : وهى المرأة الجميلة الطويلة . (٣) كوم : جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٤) مطافيل : جمع مطفل وهى ذات الطفل . (٥) العتاق : الخيل النجيبة . (٦) القب : جمع أقب وقباء وهى الفرس الضامرة البطن . (٧) بدور : جمع بدرة وهى كيس توضع فيه النقود . (٨) الخشاش : الشجاع ، وفى الأصل «الحشاش» وهو تصحيف . (٩) الندب : الماضى السريع الى الفضائل .
(١٠) البهرج : الزائف .

شنّ غاراتِه على عازبِ (١) السـؤ ... دِ ما يقـترِحْ يحـوز ويَسبي

همـمٌ لا ترى العـلوّ علوّا ... أو تُدلّى على النجـوم الشُّهبِ

طاعنـاتٌ فروعُها فى الدّرارِى (٢) ... ضـاربـاتٌ عروقُهـا فى التُّربِ

سابقاتٌ وفـدَ الرياح اذا يو ... مُ رِهانٍ أجراهما من مَهَبِّ

شرفٌ دلّ حاسدُوه عليـه ... ودليـلُ القِـرَى نُباحُ الكلبِ

إنّ هـذا الهمامَ قـد عطّل الرمـ ... ـحَ وأبدَى كَهامـةً (٣) فى العضبِ (٤)

صـقَل الرأىَ بالتجاربِ حـتى ... هو أنقى متنٍ (٥) وأذلقُ (٦) غربِ (٧)

وحَمى فى رِباعـه غابةَ الليـ ... ـث بتـدبيره وبيتَ الضبِّ

ذو هبـاتٍ يُدنى لمحتلبِ (٨) الخيـ ... ـرِ لَبـونًا (٩) تدرُّ من غير عَصبِ (١٠)

من صريحٍ يعطيك زبدًا بلا مخـ ... ـضٍ ويُغنيك عن تعنّى الوَطبِ (١١)

ومتى يعـترضه محتطبُ الشـ ... ـرّ يجـدْ عنـده وَقـودَ الحـربِ

أسمرا (١٢) كالرشاءِ (١٣) يُرسِـله الرا ... مُحُ (١٤) فى كلّ طعنـةٍ كالجُبِّ

وغَموضَ الحدين من جوهر الـ ... ـموت مُوَلّى على النفوس لغصبِ

---

(١) العازب : الشارد . (٢) الدرارى : النجوم . (٣) الكهامة : الكلل ، يقال : سيف كهام أى كليل غير قاطع . (٤) العضب : السيف القاطع . (٥) المتن : الظهر . (٦) أذلق : أحدّ . (٧) الغرب : الحد . (٨) فى الأصل : «لمجتلب» ، وهو تصحيف . (٩) اللبون : الغزيرة اللبن . (١٠) العصب : شدّ فخذى الناقة لتدر . (١١) الوطب : إناء يحلب فيه . (١٢) الأسمر : الرمح . (١٣) الرشاء : الحبل . (١٤) الرامح : حامل الرمح .

وسَبوحاً(١) قَوداءَ(٢) تحتلب الجر ... يةَ فى حافرٍ كمثلِ القعبِ(٣)

لوذعىٌّ تهيج منه الأعادى ... قانئَ الظُّفر من فؤادٍ وخِلْبِ(٤)

عنده للأمور أشفَى دواءٍ ... وعلاجُ الشئون خيرُ الطِّبِّ

أبدا حزمُهُ برغم الليالى ... غُدَّةٌ أمسكتْ لَهاةَ(٥) الخَطْبِ

هو إما الذُّعافُ(٦) رقرقه الصِّلُّ(٧) ... لحاويهِ أو هِناءُ(٨) النُّقْبِ(٩)

تقتضى المشكلاتُ منه مقالا ... يتولَّى حكَّ القلوب الجُربِ

حِكَمٌ لو أصابها حىٌّ "عدوا(١٠) ... نَ" آذعوها "لعامرِ بنِ الظَّرْبِ"

إنما أنت يا "محمدُ" للنا ... سِ شبيهُ المبعوثِ من "آل كعبِ"

ذاك كان الربيعَ إذ قَحط الـ ... ـدِّينُ وأنت الربيعُ عام الجدبِ

أطلعَ الله للخلافةِ نجما ... منك عن سعدك المخلَّد يُنبى

دولةٌ مذ دُعيتَ فيها "عميدا" ... غَنِيتْ عن عمودها والطُّنْبِ(١١)

فلها السَّرحَ بالبسالةِ يحمِى ... ولها الفىءَ بالأمانةِ يجبى

وإذا رايةٌ أُمدّتْ بإقبا ... لك سارت(١٢) منصورةً بالرُّعبِ

---

(١) السبوح : الفرس . (٢) القوداء : المنقادة الذلول . (٣) القعب : القدح الضخم الغليظ ، ويقال : حافر مقعب أى مدوّر كالقعب . (٤) الخلب : حجاب الكبد أو هو غلاف البطن . (٥) اللهاة : لحمة معترضة فى أعلى سقف الحلق . (٦) الذعاف : السم . (٧) الصل : الثعبان . (٨) الهناء : القطران . (٩) النقب : الجرب .
(١٠) عدوان : قبيلة من العرب منها عامر بن الظارب — بكسر الراء وسكنت هنا للضرورة — وهو من حكماء العرب المشهورين ويقال : إنه أول من قرعت له العصا . (١١) الطنب : حبل يشد به سرادق البيت . (١٢) كذا فى الأصل ، وفى مختارات البارودى : « صارت » .

كيفَ لم تلبَسِ السِّوارَ حُلِيًّا في يدٍ أُولعت بكشفِ الكربِ

قرَّ عينا بمهرجانٍ وعيـدٍ أتحفا بالحبيبِ نفسَ المحبِّ

لم يُطقْ واحدٌ قضاءَ أياديـ ـك فوافاك مستغيثا بِتِربِ (١)

حَوْلُ هذا مستوفِزٌ لرحيـلٍ وشتاءٍ، وطَوْلُ هـذا لقُربِ

جُمعا في غِـلالةٍ (٢) نسجِ "أيلو لَ" (٣)، لهـا رقةُ الفؤادِ الصبِّ

فتلقَّ السرورَ من كلِّ وادٍ وتملَّ النعـيمَ من كلِّ شِعْبِ (٤)

كلَّما جادت الليـالي بفنٍّ منه صابت أيامُهنَّ بضربِ

لستُ فيـه أُهدِي هديةَ مثلي بل هداياىَ شكرُ عبـدٍ لربِّ

أنا لولاك لم أحُكْ بُردةَ الشِّعـ ـرِ ولا كان لؤلُئي للثَّقبِ

غـيرَ أنى إذا زجرتُ القوافي فيك خبَّت على طريقٍ لَحْبِ (٥)

والمديحُ العتيقُ (٦) للعِـرضِ واقٍ والمديحُ الهجينُ (٧) بعضُ الثَّلبِ

قلَّ نفعي بمـا حويتُ فيا ليـ ـتَ ذوى الجهلِ يستبيحونَ سَلْبي

انظُرِ المنهـلَ المصفَّقَ مورو دًا فأطويهِ جازئا (٨) بالرَّطْبِ (٩)

لمَ يستنزلُ الزمانُ جدودي وهي من عزِّك المنيعِ بهَضْبِ (١٠)

---

(١) الترب : من يولد معك في سنك . (٢) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب .
(٣) أيلول : اسم شهر من شهور السنة الرومية . (٤) الشعب : الطريق في الجبل . (٥) اللحب : الواسع الواضح . (٦) العتيق : الكريم . (٧) الهجين : غير الأصيل .
(٨) جازئا : مكتفيا . (٩) الرطب : العشب الأخضر . (١٠) الهضب : الجبل .

أتُرانى مثلَ الكواكب، أبطا هُنَّ سيرا مادار حولَ القُطبِ!
إنها عقبــةٌ لضيقٍ تجــلَّى ثم تُفضى الى مجالٍ رَحيبِ

✦✦✦

وقال يمدحه :

ما فاز بالحمــدِ ولا نالَهْ من عشِقتْ راحتُــه مالَهْ
لا والذى يرضَى لمعــروفهِ أن يفتح السائلُ أقفالَهْ
ترِبُ المعالى من له فى النَّدَى بادرةٌ تُخرِسُ سُـؤَّالَهْ
يفـاجئُ الراجى بأوطارِه كأنّه وســوَس آمالَهْ
مُنْيتُــهُ للطارق المجتـــدى أن يدرُجَ الأرضَ فتُطوَى لَهْ
مثل "عميدِ الدولةِ" المرتقِى بحيثُ أرسَى المجــدُ أجبالَهْ
ذو الرأى قد شـــدَّ حيازيمَهُ (١) يصـارع الدهرَ وأهــوالَهْ
اذا عَرا خطبٌ تصـدَّى له يوقدُ فى جُنحيْه أجــذالَهْ (٢)
مُصيبُ سهم الظنِّ لا ينطوى غيبُ غــدٍ عنــه اذا خالَهْ
كأنَّ فى جنبيــه ماويَّةً (٣) تريه ممـا غاب أشــكالَهْ
بازلُ (٤) عامين ارتضَى وخدَه فى طَـرْقه العـزَّ وإقبـالَهْ (٥)

---

(١) حيازيم : جمع حيزوم وهو وسط الصدر، أو ما يشد عليه الحزام . (٢) أجذال : جمع جذل وهو أصل الشجرة وغيرها . (٣) الماوية : المرآة . (٤) البازل : الجمل المسن .
(٥) كذا بالأصل ، ويحتمل أن تكون « وإرقاله » معطوفة على قوله : وخده ، والوخد والإرقال : ضربان من السير السريع .

لا يشهدُ المغنمَ إلا لكى … يقسمَ فى الغازين أنفالَهْ (١)

إذا زعيمُ الجيش حامَى على … مرباعه (٢) أنهبَ أموالَهْ

فعادةُ الجود وإسرافُه … قد كثَّرا بالشكر إقلالَهْ

سامٍ اذا تهتَ عليه وإن … وادعتَه طاطا شِملالَهْ (٣)

كأنما أقسمَ حبُّ العلا … عليه : أن يُتعب عُذّالَهْ

فلا يَنُوا (٤) عنه عتابا ولا … أفواهُهم تزجُر أفعالَهْ

كم قد عرتْه من يدٍ أتلفتْ … درهمَه فيه ومثقالَهْ

خرَّق (٥) حتى حقروا عنده … مَنْ وزَنَ المالَ ومَن كالَهْ

مشتبهُ الأطرافِ ، أعمامُه … يظنُّها القائفُ (٦) أخوالَهْ

إن جذَب الفخرُ بأبرادِهم (٧) … فكلُّهم يسحبُ سِربالَهْ

فى كلِّ جمعٍ صالحٍ هاتفٌ … ما يأتلى يضربُ أمثالَهْ

أما ترى الرقشاءَ (٨) فى كفِّه … كأنها سمراءُ (٩) ذبَّالَهْ (١٠)!

اذا تثنّتْ فوق قرطاسِها … رأيتَها بالفضلِ مختالَهْ

---

(١) الأنفال : الغنائم . (٢) المرباع : ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية .
(٣) الشملال : الناقة السريعة الخفيفة ، والمعنى أنه ينيخها كناية عن تواضعه لمن يوادعه . (٤) ينوا : يفتروا . (٥) كذا بالأصل ولعلها « خرق » بمعنى توسع فى العطاء . (٦) القائف : الذى يعرف النسب بفراسته . (٧) أبراد : جمع برد وهو الثوب . (٨) الرقشاء : الحية — والمراد بها القلم على التشبيه — . (٩) يريد بالسمراء قناة الرمح . (١٠) ذبالة : دقيقة .

فتارةً تشفيني بدرياقِها وتارةً بالسُّمّ قتّالَهْ
ينفُثُ فى أطرافِها رُقيةً تعالجُ العِيَّ وأغلالَهْ
قدصيَّرت "سحبانَ" فى "وائلٍ" كأنّه عجماءُ صلصالَهْ (١)
لا رجعتْ نُعماه حسرى كما راجعَ هذا القلبُ بلبالَهْ
عاودَه من دائه نكسُهُ من بعد أن شارف إبلالَهْ
ولو صحا طورا لعنّفتُه فى حبّه بيضاءَ مِكسالَهْ
أو رشأً قد تمّوا وجهَه فجاء مثلَ البدر فى الهالَهْ
أبعْدَ ما عمّم كافورُهُ رأسى وأعفى الرأسَ صقّالَهْ؟،
أجيبُ طيفا زار، عن زورةٍ وأسأل الربعَ وأطلالَهْ
ويطرُدُ التحصيلَ من خاطرى صهباءُ أو صفراءُ سلسالَهْ
وليس يخذُنى بالهِدانِ الذى (٢) هجوعُه يألفُ آصالَهْ
لا يترجّى الضيفُ إمراعَهُ ولا يخاف الجارُ إمحالَهْ
لكنّه الأشعثُ (٣) فى سِربهِ يحدو إلى العلياء أجمالَهْ (٤)
يبيت ضبُّ القاع من خوفهِ مستثفرا (٥) دهماءَ شوّالَهْ

---

(١) العجماء : البهيمة ، والصلصالة : المصوتة . (٢) الهدان : الوخم الثقيل .
(٣) الأشعث : المغبر شعر الرأس . (٤) أجمال : جمع جمل وهو معروف .
(٥) مستثفرا : أى واضعا تحت ذنبه ، والدهماء الشوالة : العقرب ، لأنها تشول بذنبها أى ترفعه .
وتزعم العرب أن الضب يستثفر العقرب فاذا أدخل الحارش يده فى جحره لصيده لسعته .

أشهى له من قَينةٍ(١) مطربٍ … عناقُهُ جرداءَ(٢) صهّالَهْ

قد عاشر الوحش بأخلاقه … وباين الحىّ وجُهّالَهْ

كلٌّ له فى سعيه مَذهبٌ … وكلُّ عيشٍ فله آلَهْ

وهذه الأيامُ إن حُقّقت … شرّابةٌ للخلق أكّالَهْ

✦✦✦

وقال فيه ولم يتمها :

أكرِمْ بوجه الراكبِ المُعنِقِ(٣) … يخبرُنا : أنّا غدًا نلتقى

حجابُ قلبى فُزْ به خِلعةً … فتحفةُ البشرى على الشيّقِ

تُراهُمُ زمّوا بحملِ الصّدى … رسالةَ العانى الى المطلَقِ؟

واستفهموا الطيفَ وقالوا له : … تعلَمُ(٤) من عشّاقنا مَن بقِى؟

أنا الذى ضمّتْ غداةَ "النقا" … حبائلُ الأسرِ ولم أُعتقِ

وكلّما أثبتَ راميهمُ … أسهمَه قلتُ له : فَوِّقِ(٥)

ما أحذقَ الطاهى الذى عندكم … أنضجَ بالنار ولم يُحرقِ

ليس الحِمى إلا بسُكّانِه … والشمسُ منها بهجةُ المَشرقِ

---

(١) القينة : المغنية . (٢) الجرداء : الفرس قصيرة الشعر . (٣) المعنق : الذى يسير العنق وهو ضرب من السير السريع . (٤) يريد : أتعلم فحذف حرف الاستفهام . (٥) فوق السهم : سدده .

على عَقْرِ البُدْنِ (١) إن أصبحت ... خيامُهم وهى رُبَى "الأبرقِ"

مثـل الأداحى (٢) وبيضاتُها ... تُحضَنُ بالأبيض والأزرقِ (٣)

يا ماتح (٤) المـاءِ عدمتَ الرِّوَى ... من جَفْرِ (٥) هذا القَلبِ كم تستقِى ! !

من شيمة المـاءِ انحدارٌ فلِمْ ... ماءُ فـؤادى أبدا يرتـقِى

تحسبُ فى أجفانىَ السُّحبَ أو ... جودَ "عميدِ الدولة" المغـدقِ

⁂

وقال فيه أيضا :

لستُ أقضى إذا رأيتُـك نَذرا ... غيرَ نثرى عليـك حمـدا وشكرا

وثناءٌ إذا تلقَّطـه السمـ ... ـعُ تحلَّى فى موضع القُـرط (٦) دُرَّا

مالىءٌ قلبَ من يواليـك إطـربا ... وأذنَ الذى يعاديك وَقْـرا (٧)

ليس لى من فضيلةٍ فيـه إلا ... أننى أُلبِس القـلائدَ نحـرا

أتاـقَّ بحسن أخلاقـك الغُـ ... ـرِّ شبيهاتهنّ وجهـا أغرَّا

فكأنى إذا تمضمضَ بالمـد ... ح لسانى أديرُ فى الفمِ خمـرا

كلُّ هـذا جَهدُ المقلِّ وما قـ ... ـصَّر من يبتنى لمجـدك ذِكرا

---

(١) بدن : جمع بدنة وهى الناقة تقدّم للنحر . (٢) أداحى : جمع أدحى وهو مجثم النعامة تبيض فيه . (٣) الأبيض والأزرق : يراد بهما ريش جناحى النعامة . (٤) الماتح : مستخرج الماء من البئر . (٥) الجفر : البئر الواسعة . (٦) القرط : الحلق . (٧) الوقر : الصمم .

لا يزور الرقادُ عينا إذا سِر ت ولا يسكن الفؤادُ الصدرا
كيف لا تقشعِرُّ أرضٌ إذا أع رضتَ عنها وآستأنستْ بك أخرى
تستطيل الأوقاتَ حتى ترى السا عةَ حَوْلا وتحسَب اليومَ شهرا
لو أطاقت سعيا إذا زُلتَ عنها لغدت فى أوائل الركب حسرى (١)
أنت روحٌ لها ولا يعمُر الجث مانُ إلا ما دام للروح وَكرا
إنما تعدَم البلادُ متى غب تَ ضياءَ الآفاق شمسًا وبدرا
وسحابا للجود يرعُد وعدا ثم ينَدى كفًا ويَبرُق بِشرا (٢)
فاذا ما أقمتَ أصبحنَ خُضرا واذا ما ظعنتَ أمسين غُبْرا
نغفِرُ الصدَّ للحبيب ولا نق بلُ منه على التباعُد عُذرا
يتمنَّى المحبُّ قربا ووصلا فاذا فاته فقربا وهجرا
لا ترُعنا بغُربةٍ (٣) بعدُ ، إنّا ليس نُعطَى على التفرّق صبرا
إن سقانا إيابُك اليومَ حُلوا فبما أسقت النوى أمسِ مُرّا
غيرَ أنّا إذا السلامةُ حاطتْ ك وسِعنا الزمانَ عفوا وغَفْرا

(١) حسرى : معيية .
(٢) فى الأصل : « نشرا » .
(٣) فى الأصل « لا شرعنا بعزمة » والسياق بها غير ملتئم .

⁂

وقال يمدحُهُ، ويهنئه بعَوده من خراسان، وهى آخرُ شعرٍ قاله رحمه الله :

ماذا يَعيبُ رجالُ الحىّ فى النادى   سوى جنونى على أُدمانةِ[1] الوادى؟!
نَعَمْ هى الزادُ مشـغوفٌ بهِ سَغِبٌ[2]   والماءُ حامت عليه غُلَّة الصادى
يا صاحبى أنتَ يومَ الرَّوعِ تُنجدُنى   فكيف يوم النوى حرَّمتَ إنجادى
وما سلكتُ فِجاجَ الحبِّ معـتزما   حتى ضمِنتُ ولو بالنفس إسعادى
من أين تعـلمُ أنّ البـينَ وخزتَه   فى القلبِ أسلمُ منها ضربةُ الهادى[3]!
لادَرَّ دَرُّك إن ورَّيتَ عن خبرى   إذا وصلتَ وإن أشمتَّ حُسّادى
قُلْ للقيمين " بالبطحاءِ " إنَّ لكم   " بالرقمتين " أسـيرا ماله فادى
بين العواذل تطويه وتنشُره   مثـلَ المريضِ طريحا بين عُوَّادِ
ليتَ الملامةَ سـدَّت كلَّ سامعةٍ   فلم تجـد مسلَكا أُرجوزةُ الحادى
أكلِّف القلبَ أن يهوَى وأُلزمه   صبرا، وذلك جمعٌ بين أضـدادِ
وأكتُم الركبَ أسرارى وأسألهم   حاجاتِ نفسى، لقد أتعبتُ رُوّادى
هل مدلجٌ[4] عنـده من مُبكرٍ خبرٌ   وكيف يعـلم حالَ الرائح الغـادى؟
وإن رويتُ أحاديثَ الذين نأَوا   فعَنْ نسيم الصَّبا والبرقِ إسنادى

---

(١) الأدمانة : الظبيـة التى أشرب لونها بياضا . (٢) السغب : الجائع .

(٣) الهـادى : العنق . (٤) المدلج : السائر بالليل ، والمبكر السائر فى بكرة النهار .

قالوا: تعوّضْ بغِزلان "النقا" بدلا   أمقنعى شِـبْـهُ أجيادٍ لأجيادِ؟

إن الظبـاءَ التى هام الفؤادُ بهـا   يرعَيْنَ ما بين أحشاءٍ وأكبادِ

سَكَنَّ من أنفس العُشّاق فى حَرَمٍ   فليس يطمع فيهـا حبلُ صـيّادِ

هيهات لا ذقتُ حُلوا من كلامكمُ   قـد بان غدركمُ فى وجه ميعادى

ولا جعلتُ الّتى وِرْدى وقد ضمِنتْ   غمامةُ الجود إصـدارى و إيرادى

فى "شرف الدين" عن معروفكم عِوضٌ   كـرامةُ الجارِ والإيثـارُ بالزادِ

للطارقِ الحكمُ فى أعناقِ هَجمتِـه [١]   ولو تقرّاه [٢] ذئبُ الرَّدهـةِ [٣] العادى

نادتْ : هلمّ الى الشّيزَى [٤] مكارمُهُ   فئبنَ فى الليـلِ عن نارٍ ووقّادِ

يَشفين من قَرمِ [٥] الضِّيفانِ عند فتًى   لا يزجرُ السيفَ عن عُرقوبِ مِقحادِ [٦]

مباحُ أفنيةِ المعـروفِ ليس له   بابٌ يعـالجه العـافى بمِقـلادِ [٧]

فلا وكاء [٨] على عينٍ ولا ورِقٍ [٩]   ولا رِعاء [٢٠] لأزرابٍ [١١] وأذوادِ [١٢]

أجدَى فلم يرَ ذُخرا فى خزائنــه   إلا قنـاطيرَ من شكرٍ وإحمـادِ

فى كلِّ يومٍ يُرينـا من مواهبــه   بِرًّا غَريبا وفضـلا غيرَ مُعتـادِ

---

(١) الهجمة : من الإبل ما بين الأربعين الى المائة فاذا بلغت المائة فهى "هنيدة" .
(٢) تقراه : طلب قراه . (٣) الردهة : القرة فى الصخرة . (٤) الشيزى : القصعة . (٥) القرم : شدة النهم الى أكل اللحم . (٦) المقحاد : الناقة العظيمة السنام . (٧) المقلاد : المفتاح . (٨) الوكاء : حبل تربط به القربة . (٩) العين والورق : الذهب والفضة . (١٠) رعاء : جمع راع . (١١) أزراب : جمع زرب وهو موضع الماشية . (١٢) أذواد : جمع ذود وهى الإبل .

شريعةٌ فى النّدى ضلوا فدلّهمُ ... على مناهجها خِرّيتُها الهادى (١)
قاضى اللُّبانةِ لم يفطِن لها أملٌ ... كأنّه لهوى العافى بمرصادِ
له قِبابٌ بطيب الذكرِ شيّدها ... فما دُعِمنَ بأطنابٍ وأوتادِ
يا بحرُ إن شئتَ أن تحكى مواهبَهُ ... فدع مُخُوفَيكَ من هَيجٍ وإزبادِ
قد ساجَمَ (٢) العارضَ (٣) الهامى وزايدَه ... حتى آستغاث بإبراقٍ وإرعادِ
لله أىّ زلالٍ فى مَزَادتِهِ (٤) ... والظّمءُ يَخلِطُ فُرّاطاً (٥) بوُرّادِ
أُنظر اليه ترى من شأنِه عجباً ... زِىَّ الملوكِ على أخلاقِ زُهّادِ
إن قال قومٌ : له مِثلٌ، يقلْ لهمُ ... مَن ماثلوه به : جئتم بإلحادِ
لا تكذِبُنّ فهذا الشخصُ من نفرٍ ... لم يخلُقِ اللهُ منهم غيرَ آحادِ
شرائطُ المجد كلٌّ فيه قد جُمِعتْ ... جمعَ حروفِ التهجّى فى "أبى جادِ"
أرِحْ بنانَك من حُسبانِ سؤدده ... إن الكواكبَ لا تُحصَى بأعدادِ
وهل يفوت المعالى من أحاط بها ... بنفسه وبآباءٍ وأجدادِ؟
اذا الفخارُ رمَى الفُتيا الى حَكَمٍ ... وافَى ينافر أمجاداً بأمجادِ
على المهابةِ قد زُرّت بنائقُه (٦) ... كأنّه لابسٌ لِبداتِ آسادِ

(١) الخريت : الدليل . (٢) ساجمه : عارضه فى انسجامه . (٣) العارض : السحاب المعترض . (٤) المزادة : وعاء يحمل فيه الماء . (٥) فراط : جمع فارط وهو الذى يتقدم القوم الى الورد لإصلاح الحوض . (٦) البنيقة : زيق القميص الذى ينفتح على النحر .

لذاك صُعِّرَ خدٌّ غيرُ منعفرٍ — له وخرَّ جبينٌ غيرُ سجّادِ

تطأطأ المجدُ حتى صار فارسَه — ثم آشمخرَّ فلم يلطأ(١) لصعّادِ

فكيف لا ترهبُ الأعداء نقمتَه — وبطشُها كصنيع الريح في "عادِ"

صوارمٌ من صواب الرأى يطبعها — وصانعُ المكرِ يكسوها بأغمادِ

اذا آنتُضين وما يَظهرنَ من لَطَفٍ — فرّقن ما بين أرواح وأجسادِ

وللمكايد سيفٌ غيرُ منثلمٍ — وللخدائع رمحٌ غيرُ منآدِ(٢)

فى أيّما جانبٍ من حزمه نظروا — لم يجدوا مطلعا فيه لأفنادِ(٣)

تخافُ عزمتَه الإبلُ التى خُلقتْ — أخفافهنّ لتهجيرٍ(٤) وإسآدِ

وتتقيه العِتاق القُبُّ(٥) سائمةً — تطويحَها بين أتهامٍ وأنجادِ

أليس ناظمها عِقدا له طَرَفٌ — "بالرىّ" والطرفُ الأقصى "ببغدادِ"

مكلَّفات بساطَ الدوّ(٦) تمسحه — بأسؤقٍ وبأعناقٍ وأعضادِ

كأنّ آثارَ ماداست حوافرُها — دراهمٌ بَدَدٌ(٧) فى كفّ نقّادِ

طورا تَسامَى على يافوخ(٨) شاهقةٍ — بها السمواتُ ظُنّتْ ذاتَ أعمادِ

---

(١) يلطأ : يلصق بالأرض . (٢) المنآد : المنثنى . (٣) أفناد : جمع فند وهو الكذب . (٤) التهجير : السير فى وقت الهجيرة ، والإسآد : السير بالليل . (٥) القب : الخيل الضامرة البطون ، واحدها أقب وقباء . (٦) الدوّ : المفازة . (٧) بدد : متفرقة . (٨) اليافوخ : الموضع الذى يتحرك من الطفل فى أعلى الرأس .

وتارةً ترتمى فى صفصفٍ[1] قُـذُفٍ[2]   للآلِ[3] يُكذب فيــه كلُّ مُرتادِ

حتّى شَتَيْنَ "بنيسابورَ" باليــةً   إلا عِظاما مُواراةً بأجــلادِ

فى شَتوةٍ شَمِطَ الليـلُ البهيمُ بها   تُضاحِك الريحَ ماهبّتْ بصَــرّادِ[4]

كأنَّ فى أرضها أنساجَ قِبْطِيـةٍ[5]   أو السماءَ آســتعارت بَرْسَ[6] نجّادِ

يا من يشاوَرُ فى قُربٍ وفى بُعُدٍ   ومن يُعَــدُّ لإصلاحٍ وإفسادِ،

إن الامامَ مذ آستَرعاك دولتَـهُ   غَنِى برأيك عن تجهيزِ أجنادِ

إن مرِضَتْ ليـلةٌ عُمْىٌ كواكبُها   قــدحتَ فيها بزَنْدٍ غيرِ صَلّادِ[7]

فهذه الأرضُ قد عَجّت بدعوته،   فى كلّ قُطرٍ خطيبٌ فوق أعوادِ

عـونٌ من الله لم يَشهد وقيعتَـه   إلا كتائبُ توفيــقٍ وإرشادِ

وحسنُ تدبـيرك المُردِى أعادِيَهُ   مقــرَّنين[8] بأغــلالٍ وأصــفادِ

فأىُّ فــظٍّ عليهـا غيرُ منعطفٍ   وأى صعبٍ حرونٍ غيرُ منقادِ

وفى "خراسانَ" قد شِيدتْ مآثره   أرّخَهــا صيتُها تاريخَ ميــلادِ

بين الخليفــةِ والمَلْكِ المطيــعِ له   أبــرمتَ وصــلةَ أولادٍ لأولادِ

---

(١) الصفصف : المطمئن من الأرض . (٢) قذف : بعيد يتقاذف بمن يسلكه .

(٣) الآل : السراب ، وفى الأصــل « الأهل » وهو تحريف ؛ و يكذب : يسوء سيره .

(٤) الصراد : الريح الباردة . (٥) القبطيــة : ثياب من كتّان تنسج بمصر منسوبة الى القبط على غير القياس . (٦) البرس : القطن . (٧) الصلاد : — من الزناد — غير المورى . (٨) مقرنين : مشدودين بالقرن وهو الحبل .

شمسٌ وبدرٌ لويتَ العَقْـدَ بينهما ... لولا الشريعـةُ لم يـوثَق بإشهادِ
فليس كالصِّهرِ فى سهلٍ ولا جبل ... وليس كالحمـو فى حَضَرٍ ولا بادِ
فياله شـرفا أحرزتَ غايتَــه ... فلم تدع فضـلةً فيــه لمرتادِ
وما بلوغُــك فى العلياء آخرَها ... بمـانعٍ كَرَّةَ المســتأنِف البادى
تسومنى أن أُنـيرَ(١) القولَ فيك وما ... يُغنى المرقَّشُ(٢) من تفـويفِ(٣) أبرادِ
بل كلُّ مدحِك أمرٌ ليس من حِيَلى ... وكنْهُ وصفك ثِقلٌ ليس فى آدى(٤)
إنَّ القوافى و إن جاشت غواربُها(٥) ... لا يُسْتطاع بها تحـويلُ أطوادِ
فإن رضيتَ بميسـورى فهاءِ حُلًى ... مَصُوغة بين أفكارى و إنشادى
فلن تعوزَ يدَ الغوَّاص من صدفى ... فـريدةٌ وُسِّطتْ فى سِلك عقَّادِ
أُعابُ بالشـعر لا أبغى به عِوضا ... ولا يُعـاب أناسٌ غيرُ أجـوادِ
لكنَّنى فى أناسٍ إن سألتُهـمُ ... لم يعرفوا الفرق بين الظاء والضادِ
ما دمتَ سمعا وعينا فى الزمان لنا ... فكـلُّ أيامِــه أيامُ أعياد

✣

وقال يمدحُ زعيمَ الرؤساء أخاه وهو يتولَّى الديوان :

صـبَّحها الدمـعُ ومسَّاها الأرقْ ... هل بين هـذين بقاءٌ للحَـدَقْ؟!
لا متعـةٌ بالظـبى عَنَّ غاديا ... ولا خِداعا بالخيـال إن طَـرَقْ

(١) أنير : أجعل له نيرا وهو هدب الثوب ولحمته ، فاذا نسج من نيرين كان أصفق . (٢) المرقش : المزخرف . (٣) التفويف : تخطيط الثوب . (٤) الآد : القوة . (٥) الغارب : معظم الماء .

إن ضحك البرقُ من "الحَزْنِ" رنا أو فاحت الريحُ من "الغور" نشِقْ

كم ذا على التعليل تحيا مهجةٌ بمُدِيتَيْ بينٍ وهجرٍ تُعتَرَقْ (١)

ليت الذى عَذَّبَ إذ لم يُعفِه من مسّه بالضُّرِّ وانَى ورَفَقْ

ميّالةَ الأعطافِ، ما فاتك من غصونِ بانات "الحمى" إلا الورَقْ

لو ثبتَ السهمُ الذى أرسلتِه فى القلبِ وافقتُك لكن قد مرَقْ

جمعتم السرّاءَ والضرّاءَ لى فأنتمُ كالماءِ رِىٌّ وشَرَقْ

كان اتفاقا ولَعِى بِسِربكم وشرُّ أحداثِ الليالى ما اتفقْ

لم أدرِ أنّ من حُداة ظُعْنِكم (٢) أو سائقيهنّ غرابا قد نعَقْ

هبْ أنّ طَرفى أسرَته بينكم حبائلٌ، فانظر عُيَيْناتِ الخَرِقْ (٣)

وخُذْ لمن عَنَتْ منى سِمةً لألأةَ البدرِ إذا البدرُ اتسقْ (٤)

ولا تَعَرَّضْ لعلاجى إنما يَشفِى من الحبّ الذى يَشفِى الوَلَقْ (٥)

علَّ الغرامَ نازلٌ عن صهوتى إن لِمّتى (٦) الدهماءُ (٧) شِيبت بالبَلَقْ (٨)

يصنعُ لونُ الشّيبِ بالشباب ما يصنع بالجلدةِ توليعُ (٩) البَهَقْ (١٠)

---

(١) تعترق : يؤخذ ما عليها من اللحم نهشا . (٢) ظعن : جمع ظعينة وهى الإبل التى يحمل عليها . (٣) الخرق : ولد الظبية . (٤) اتسق : انتظم واستوى . (٥) الولق : الجنون . (٦) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٧) الدهماء : السوداء . (٨) البلق : سواد وبياض . (٩) التوليع : البرص . (١٠) البهق : بياض يظهر على بشرة الجسد .

قلتُ : ظـلامٌ طلعتْ أنجُـمُـهُ　　فما ٱعتذارى إن بدا ضوءُ الفَلَقْ (١)

أليس بَرْدُ اليأسِ لو وَسِـعْتُهُ (٢)　　أطفأ من تسـويف آمالى حُرَقْ

مهلا فما دون الأمانى هَضبةٌ　　تزداد بالحرص ٱرتفاعا وزَلَقْ

لو جُلتَ حولَ الفـلَك الدّوّار لم　　يزددْ نقـيرا (٣) فوق ما اللهُ رزَقْ

عش بطفيفِ القوتِ سَدّ جَوعةٍ　　والقطرةِ الكدراء والثـوبِ المِزَقْ (٤)

وساوِ ربَّ التـاج فى سلطانهِ　　من يُعتِـق الأطماعَ منهنّ عَتَـقْ

وعاشر النـاسَ بلا تصـنُّعٍ　　لا جفوة الهَجرِ ولا زُور المَلَقْ

وٱدعُ "زعيمَ الرؤساء"، يستجبْ　　أروعُ نهّاضٌ بما جلَّ ودقْ

لا تطمع الأنفالُ (٥) أن تؤوده (٦)　　والدرُّ فى اللُّجة لا يخشى الغـرَقْ

أضحت صروفُ الدهرِ فى سطوتهِ　　ملزوزةً (٧) لــزَّ البِطان (٨) بالحِـلَقْ (٩)

معتــدل الشيمة حتى إبْـلُهُ　　سِيرتُها بين الرسـيم والعَنَـقْ (١٠)

لا شَـيبة الحِلمِ كسته وَنيـةً (١١)　　ولا شبابُ السنّ أعطاه النَّزَقْ

---

(١) الفلق : الصباح — والمراد من كل ما تقدم وصف ٱشتعال الرأس بالشيب .
(٢) وسعته : أطقته .　(٣) النقير : النكتة فى ظهر النواة .　(٤) المزق : جمع مزقة وهى القطعة من الثوب ، و يقال : ثوب مزق باعتبار أجزائه .　(٥) كذا فى الأصل ، ويحتمل أن تكون " الأثقال " ؛ والأنفال : جمع نفل وهو ما يفعل مما لا يجب فعله من العطاء .
(٦) تؤوده : تثقله .　(٧) ملزوزة : ملاصقة .　(٨) البطان : حزام القتب يجعل تحت بطن الدابة .　(٩) حلق : جمع حلقة وهى كل ما استدار .　(١٠) الرسيم والعنق : ضربان من السير .　(١١) الونية : الفتور والضعف .

قُضِى لــه بالسـبق فى وِلاده … والمهرُ بالعِتق يُرى فيه السبَقْ

رقَى المعالى رتبـةً فرتبـةً … كالعِقـد يعلو نظمه على نسَـقْ

يبسِم بِشـرا مازجَه هيبـةً … تطلُّعَ النَّصلِ(١) من الغِمد الخَلَقْ

لم تُمطر السحبُ ولكن خجِلتْ … من جوده حتى نضحن بالعَـرَقْ

وأينَ منها راحــةٌ مَصيفُها … مثـلُ الشتاء يهمُر الماءَ الغدِقْ

كالخمـر للشارب كيف شاءها … تصـرَّفت مصطبَحا ومغتبَـق

ما زال يُغلى الحمـدَ بآبتياعه … حتى غلا فى كلّ سـوقٍ ونفَقْ

وكلّما أسـرف فى صِفاته … مادحُه ، قالت معاليه : صـدَقْ

شـمائلٌ وبهجـةٌ مومـوقـةٌ(٢) … والحسنُ بالأخلاقِ ثم بالخَـلَقْ

نصرا "أبا القاسم" قد تبرّجَتْ … أمُّ اللُّهَيْم(٣) حـاملا بنتَ طَبَـقْ(٤)

فى مثلها رأيُك أذكَى زَندَهُ(٥) … أو تجلى عنها دُجُنّات(٦) الغَسَـقْ

سـهلٌ على رأيك وهو ساحرٌ … تقويمُ ما آعوجَّ ورتقُ ما آنفتَقْ

قد أمكنتك فآنتهزها فرصـةٌ … بالشكر، والشكـر لذيذُ المعتنَقْ

"بنى جَـهيرٍ" أنتمُ دِرعى، إذا … رمَى الزمانُ بدواهيـه رشَـقْ

رميتُ من دون الأنام مِقودى … إليكـمُ طوعا وقطّعتُ العُـلَقْ

(١) النصل : حد السيف . (٢) موموقة : محبوبة . (٣) أم اللهيم : الداهية .
(٤) بنت طبق : الداهية أيضا — والمعنى أن الداهية تستتبع الداهية . (٥) أذكى : أثار .
(٦) دجنات الغسق : ظلمات الليل .

فلا أكون بينكم "عُطاردا" لقربه من كُرة "الشمس" احترق

لا رعَت الأحداثُ فى حِماكُمُ ولا رأت نجومُها ذاك الأفُقْ

إن حزتم العلياء عن آخرها بسعيكم فهو دُوينَ المستحق

✦ ✦ ✦

وقال يمدحُه أيضا، ويهنئه بالنيروز :

وعيشِكم لا وِرد الحُوَّمُ مناهلا غُدرانُها تبسِمُ

ولا رعت هُمَّلُ(١) أبصارِهم فى روضةٍ نُوّارُها أسهمُ

رويدكم إن الهوى مَعرَكٌ يُعدَم فيه الأجرُ والمغنَمُ

وإنما تأويلُنا أنه يحِلُّ للمضطرّ ما يحرُمُ

إنّ أبيّاتِ النفوس، التى أحلَى مناها الحادثُ الأعظمُ

تخوضُها فى غَمراتِ الهوى لأنه ينذُرُ فيها الدّمُ

من ذا الذى أفتَى عيونَ المها بأنّ ما تُتلِف لا يُغرَمُ!

ساروا بقلبي دون جسمى فما تغنى الجلدةُ والأعظُمُ

وآستعذبوا ظلمى فمن أجلهم أستغفر اللهَ لمن يظلِمُ

ما ضرّهم لو سفَروا ريثما يَقْبَل عُذرى فيهم اللوّمُ

قال لىَ الأحورُ من بينهم وما به الأجرُ ولا المأثمُ: ،

---

(١) الهمل : جمع هامل وهو المتروك فى المرعى ليلا ونهارا .

داؤك هذا مَن جناه ومَن   يُبرئه؟ قلتُ : الذى تعلَمُ!

كم فى خيام البَدوِ من ظبيةٍ   سِوارها يُشبعه المِعصمُ

حاذرت العينَ فما إن تُرَى   وخافت السمعَ فما تبغمُ (١)

لو فاخرتْ فى الليل بدرَ الدجى   لكان بالفضل لها يُحكمُ

لأنها قد فتنَتْ قومَها   والبدرُ لم تُفتَن به الأنجمُ

ما أصعبَ الإذنَ على منزلٍ   بوّابُهُ الخطّىّ (٢) واللّهذَمُ (٣)

لا برِح الوسمىّ (٤) عن أرضهم   ولا نأى عن جوّها المِرزَمُ (٥)،

أو أُبصرَ الكُثبانَ (٦) قد ظُلّلَتْ (٧)   رَقْمًا (٨) كما يصطنع المُحرِمُ

وبلّغ اللهُ المنَى فتيةً   نديمُهم فى الصبح لا يندمُ

عاطيتهم صهباءَ (٩) داريّةً (١٠)   قالوا : وأين الصابُ والعلقمُ

عزّوا فلو تفقِد أذوادُهم (١١)   حاميَها خفّرها (١٢) الميسمُ (١٣)

---

(١) بغمت الظبية : صاتت . (٢) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين واليه تنسب الرماح لأنه مبيعها لا منبتها ، يقال رماح خطية على الوصف ، و رماح الخط على الإضافة — . (٣) اللهذم : القاطع من السيوف . (٤) الوسمى : أول المطر . (٥) المرزم : كوكب من أنواء المطر . (٦) كثبان : جمع كثيب وهو التل من الرمل . (٧) فى الأصل « طلت » وهو تحريف . (٨) الرقم : ضرب مخطط من الوشى أو الخز . (٩) الصهباء : الخمر . (١٠) الدارية : منسوبة الى دارين وهى فرضه بالبحرين يحمل اليها المسك من الهند . (١١) الأذاود : الإبل . (١٢) خفرها : آمنها وحماها . (١٣) الميسم : العلامة يعلم بها الحيوان .

وهى على عزتها بينهم ... يُبَغَتُ(١) فيها الفَذُّ(٢) والتوأمُ
ما تبرح الأكوارُ(٣) معمورةً ... بهم ونيرانُ الوغى تُضرَمُ
سقيًا لهم لو أنّ أُمّاتِهم ... لا تُطعَم الثُّكلَ ولا تُعقَمُ
تودُّ ذاتُ الحمل لو أنها ... يوما بأمثالهم تُتئِمُ(٤)
فلست أدرى أَنجبوا شيمةً ... أم شِنشِنٌ(٥) ورّثهم "أخزمُ"؟!
بل من "زعيم الرؤساء" اقتنوا ... مكارمَ الأخلاق لا منهمُ
إن تُسئل العلياءُ عن نفسها ... تقلْ: "أبو القاسِم" بى أعلمُ!!
قد أُنزلتْ فيه العلا سُورةً ... دقّت معانيها فما تُفهمُ
كأنّما فى صدر ديوانه ... "داودُ" فى محرابه يحكُمُ
بلاغةٌ من حسن إيضاحها ... لا تُشكل الخطَّ ولا تُعجَمُ
والفصلُ أن يُنشَرَ قرطاسُهُ ... وتنبَه المُرّيّةُ(٦) النُّوَّمُ
إذا تحدّى الغيبَ أفكارُه ... فليس بابٌ دونها مُبهَمُ
كُفيتِ يا سُحْبُ فلا تنصَبى(٧) ... حسْبُ الثرى تيّارُه الخضرِمُ(٨)

---

(١) فى الأصل "يعبث" والمعنى بها غير واضح . ولعل ما رجحناه هو الصواب . (٢) الفذ : الفرد ، والتوأم : ما ولد مع آخر . (٣) أكوار : جمع كور وهو الرحل . (٤) تتئم : تأتى بتوأمين فى بطن . (٥) الشنشن : العادة ، والمثل « شنشنة أعرفها من أخزم » .
(٦) المرية : منسوبة الى مرة بن ذهل أحد أجداد الممدوح لقوله فى موضع آخر :

يا بنى مرة بن ذهل أبوكم ... ما أبوكم وجدكم أى جد

— والمراد بهذه النسبة الأقلام — . (٧) تنصبى : تجهدى . (٨) الخضرم : العظيم .

قد علمَ العُشبُ وضيفُ القِرَى ... أيكما فى الأزمةِ الأكرمُ

تطاولى يا هضَباتِ المُنَى ... فهو الى ذِروتك السُّلَّمُ

محسَّدٌ يغيظ أقلامَه ... على يديه الرمحُ والمِخذَمُ (١)

وما الذى بينهما جامعٌ ... هذان بؤسَى ، وهما أنعمُ

ليس بمحتاجٍ إلى شِكّةٍ (٢) ... سلاحُه من ذاته الضيغمُ (٣)

إنّ قِداحَ النَّبع (٤) مبريّةٌ ... لغير مَنْ وَقْصتُه (٥) شَيْهَمُ (٦)

وهو إذا هزَّ قنا كيدِه ... شاطَ (٧) عليها البطلُ المعلَّمُ (٨)

وقالت الدرعُ لمجتابها (٩) : ... ما هزَّ إلا القدرُ المبرَمُ

وما كُلومُ (١٠) الدهر محذورةٌ ... ورأيُه الأعلى لها مرهَمُ

ولو تشاءُ اصطنعتْ خيلُه ... وليمةً يشهدُها القَشعمُ (١١)

قد صُبغتْ بالنقع (١٢) ألوانُها ... فاشتبه الأشهبُ (١٣) والأدهمُ (١٤)

من أسرةٍ بيتُ معاليهمُ ... يزوره الكافرُ والمسلمُ

مستلَمُ الأركان ، طُوّافُهُ ... بمجدهم لبَّوا كما أنعموا

---

(١) المخذم : السيف القاطع . (٢) الشكة : السلاح . (٣) الضيغم : الأسد .
(٤) النبع : شجر تتخذ منه السهام . (٥) الوقصة : دق العنق وكسره . (٦) الشيهم : القنفذ الذى عظم شوكه . (٧) شاط : هلك . (٨) المعلم : المميز بعلامة تبينه .
(٩) المجتاب : اللابس ، وفى الأصل : « لمحتابها » وهو تصحيف . (١٠) كلوم : جمع كلم وهو الجرح . (١١) القشعم : النسر الكبير . (١٢) النقع : غبار الحرب .
(١٣) الأشهب : الجواد الأبيض . (١٤) الأدهم : الجواد الأسود .

شُـيِّد بالإحسان بنيانُهُ ... فكلُّ بيتٍ غيره يهــدَمُ
يزدحِم الوفــدُ بأرجائه ... فعامُهــم أجمعــه مَوسِمُ
لـو نحِتَتْ صخـرتَه آلةٌ ... لاَستُنبِطتْ فى تُربهِ "زمزمُ"
يا خاتم الأجواد قولى الذى ... به الكلامُ المصطفَى يُختَمُ
بـدُرٍّ أوصافِك أمددتَنى ... فيـه فما بالِىَ لا أنظِـمُ؟!
تحيّـة "النيروز" مفروضة ... بقــدرِ ما يملكه المعـدِمُ
تُهدَى إلى مثلك فى مثله الـ ... أشـعَارُ لا الدينارُ والدرهمُ

✧ ✧ ✧

وقال يمدحُه فى العيدِ والمِهرَجان :

نظرتُ ولم أبغِ إلا شــفائى ... فداويتُ سُــقما بداءٍ عَياءِ
تراءت وبرقُعها كفُّها ... لعينٍ مبرقَعــةٍ بالبكاءِ
فكانت لنا فتنةٌ ضوعفت ... بحسن المغطَّى وحسنِ الغِطاءِ
تقــول وقــد لُمتُهـا فى البعا ... دِ: هل تسكن الشمسُ غيرَ السماءِ؟
وما زال تَسبي ــ وما إن ترا ... كَ ــ قلوبَ الرجال جسومُ النساءِ
وما زلتُ أجزَع من بينهــم ... فعلَّمنى الصـبرَ طولُ الجفاءِ
وإنّى من لاعجاتِ(١) الهـوى ... على مثل صدرِ القناة انثنائى

---

(١) اللاعجة : الحرقة .

أصومُ وما ماؤكم للورودِ وأعشو وما ناركم للصِّلاءِ

ومن يَصْدَ (١) يخدعه لمعُ السرابِ ويغرُرْه خُلَّبُ برقٍ خَواءِ (٢)

ولله موقفُنا ، والعتا بُ ينبُتُ فى الخدِّ وردَ الحياءِ!

وقد أترع الحسنُ فيه غديرا إليه ورود العيون الظِّماءِ

وطَرفِى يتبعُ هُوجَ (٣) الرياح عساهنّ يرفعن سجْفَ (٤) الخباءِ (٥)

أتنجو بجسمك فوق الركاب وتنبِذُ قلبك بين الظِّباءِ؟

وعهدى بحلمك لا يُستطار برسمٍ مُحيلٍ (٦) وربعٍ قِواءِ

تلفّتُ عن لَعَسٍ "بالحمى" وتُعرِضُ عن كَحَلٍ "بالجواءِ"

ولولا خيانةُ لونِ العذارِ لبعتُ عُلوقَ (٧) الهوى بالغلاءِ

وربَّ ليالٍ سحبتُ الشبابَ بأعطافهنّ كسَحْبى ردائى

فلو كنتُ أملكُ أمرى اشتريـ ـتُ ذاك الظلامَ بهذا الضياءِ

وقالوا : أصبتَ بعصرِ الصِّبا ومن لم يشِبْ لم يفُزْ بالبقاءِ

وما منبتُ العزِّ إلا ظهورُ نواعجَ (٨) منعَلةٍ بالنَّجاءِ

يخلّفن خلفِىَ دارَ الهوان مُناخا ومضْطَرَبا للبطاءِ

---

(١) يصدى : يعطش . (٢) الخواء : الخالى من المطر . (٣) هوج : جمع هوجاء وهى الريح الشديدة التى تقتلع البيوت . (٤) السجف : الستر . (٥) الخباء : البيت من وبر وصوف . (٦) المحيل والقواء : العافى . (٧) علوق : جمع علق وهو الشىء النفيس .

(٨) نواعج : جمع ناعجة وهى الناقة البيضاء ، والنجاء : السرعة فى السير .

أقـرُّ بعرضِيَ عمّن ترى — من النافقاءِ إلى القاصعاءِ (١)

ولستُ وإن كنتُ ربَّ القريضِ — كمن يستجيب القِرى بالعُواءِ

عدمتُ معاشرَ لا يفرقـو — ن بين الصّهيلِ وبين الرُّغاءِ (٢)

إذا صافحتني أكفُّ اللئامِ — لطمتُ بهن خـدودَ الرجاءِ

وقِدما عصرتُ وجوهَ الرجالِ — فـلم أر فيهنَّ وجها بماءِ

ولولا الجنابُ "الزعيميُّ" ما — مشَى الوعدُ فى طُرُقاتِ الوفاءِ

ولكن بجود "أبى قاسمٍ" — عُمـرنَ المكارمَ بعـد العفاءِ

له فى المعالى انتساب الصريحِ — إذا غيرُه عُـدّ فى الأدعيـاءِ

أغرّ تضىء به المكرماتُ — وتفترُّ عنـه ثغورُ العـلاءِ

وترعَى العيونُ إذا لاحظتْـ — ـهُ فى روض رونقِـه والرُّواءِ

إذا شِمتَ بارقَـه فالتّـلا — عُ تشرق مثلَ حلوق الإضاءِ (٣)

من القومِ قد طُبعوا فى الندى — على سِـكّة الغادياتِ الرِّواءِ (٤)

يَعُـدُّ ابتياعَ بسـيرِ الثناء — بجزل العطاء من الكيمياءِ

تـدِرّ يداه بـلا حالبٍ — إذا التمس الزُّبدَ مخضُ السِّقاءِ

(١) الناقفاء : آخر جحر اليربوع الذى يحفره ولا ينفذه ولكنه يرققه حتى اذا أحس بصيده مرق منه والقاصعاء : أوّل جحره الذى يحفره ، وكان الأحق أن يقول الشاعر : من القاصعاء الى النافقاء .

(٢) الصهيل : صوت الخيل ، والرغاء : صوت الإبل . (٣) الإضاء : الغدران واحدها : أضاة .

(٤) الغاديات : السحب التى تنشأ غدوة .

ويهتزُّ عند هبوبِ السؤال آهـ ... تزازَ الأراكةِ بالجربياءِ (١)
فتُضحي مكارمُه كالمطيّ ... ونغمةُ سائله كالحُداءِ
خلائقُ من منـدلٍ مُثّلتْ ... وزِيدَ عليها بخورُ الثناءِ
يكاد المدامُ وصفوُ الغما ... مِ يُعصَر من طِيبها والصفاءِ
كأنّ الحُـبَى يومَ تعقادِها ... عليه، على "يذبُلٍ" أو "حِراءِ" (٢)
يلاقى الخطوبَ اذا مارستْه ... بباعٍ رحيبٍ وصدرٍ فضاءِ
وعزمٍ كما صفّقت بالجنا ... حِ شَغواءُ مصبوبةٌ فى الهواءِ (٣)
تراه فتنظرُ عزما وحزما ... وحلما قد آئتلفتْ فى وِعاءِ
وما أسرَ الطَّرفَ مثلُ آمرئٍ ... يبارزُ لامحَه بالبهاءِ
عليه شواهدُ منه آغتدتْ ... عن الشاهدِين له فى غَناءِ
وفى رونق السيف للناظرين ... دليلٌ على حدّه والمَضاءِ
وقد يُعرفُ العِتقُ قبلَ الفرار (٤) ... ويُحكَم بالسّبق قبلَ الجِراءِ
وما رغبةُ الركب يهديهمُ ... ضياؤك فى رايةٍ أو لواءِ
لك الخيرُ من قائلٍ فاعلٍ ... بنَى بالمكارمِ أعلَى بِناءِ
نذرتَ اذا نلتَ هامَ الأمو ... رِ أن لا تُوشَّحَ بالكبرياءِ

(١) الجربياء: ريح الشمال الباردة. (٢) يذبل وحراء: جبلان. (٣) الشغواء: العقاب.

(٤) الفرار: — مثلثة — الكشف عن أسنان الدابة ليعرف كم سنها، وفى الأمثال « إن الجواد عينه فراره » يعنى تعرف الجودة فى عينه كما تعرف سن الدابة اذا فرت أسنانها.

فلو رِزقُ نفسِك أمسى اليك — لما زدتَها فوق هذا السَّناءِ
فـفى كلّ شيء وجدنا مِراءً — ولم نرَ فيك لهم من مِراءِ
لذلك حنّت قَـلوصى (١) إليـ — ـك حتّى أناخت بهـذا الفِناءِ
ولولاك كانت كأُرجوحـةٍ — تَقلقَـلُ بين الضّحَى والمَساءِ
إذا زمَّهـا نجـمُ ذا بالشُّعا — ع تخطَّمها شمسُ ذا بالهَباءِ
وكم لى "ببغـدادَ" من كاشحٍ — يسائل فى ربعكم : ما ثوائى؟!
فقلت : مقيمٌ يجيبُ المنَى — ويجمـع بين الغِنى والغَنـاءِ
لدى ماجدٍ دلوُه فى السـما — ح تتبعُهـا يدُه فى الرِّشاءِ (٢)
إذا خاضت النِّقسَ (٣) أقلامهُ — كَفَيْنَ الذوابلَ (٤) خوضَ الدماءِ
دعا الرؤساءُ زعيمًا بـه — فكان لشـدّتهم والرَّخاءِ
وبعدَ التجارب قد أحمَـدوا — سجاياه، والحمدُ بعد البلاءِ
سقَى اللهُ دارَك ماءَ النعيم — وطـرَّزها برياض البهاءِ
ودارت عليك كئوسُ السرو — ر يَغـرِفنَ من مُترَعاتٍ مِلاءِ
وهُنئتَ بالعيـدِ والمِهرجانِ ، — وسـعدُهما سائقٌ بالهناءِ
وجَدناهما فَعَـلا ما تحبُّ — وما تبتـغى بخُلوصِ الدُّعاءِ

---

(١) القلوص : الشابة من الإبل . (٢) الرشاء : حبل الدلو . (٣) النقس : المِداد .
(٤) الذوابل : الرماح .

✦✦✦

وقال وقد سأله بعضُ رؤساء العصرِ نظمَ قصيدةٍ تتضمّن مدحَ نظامِ المُلك أبى علىّ الحسن بن إسحاق، وأغراضا له :

ليتَ الهوى يصرفه الراقِ ... إما بحَيْنٍ (١) أو بإفراقِ (٢)

رشفُ الثنايا والتزام الطُّلَى (٣) ... — إن أمكنا — أخلاطُ درياقِ (٤)

يا قارعا بالعذل سمعى ومن ... ورائه قلبٌ بأغلاقِ

من أوجب التوبةَ من خمرةٍ ... يعصرها من لحظه الساقى؟

كم "بالكثيب الفرْدِ" من نابلٍ (٥) ... أسهمهُ ليست بأفواقِ (٦)

وقامةٍ تحسبها غصنَها الـ ... ـورقاءُ لو كانت بأوراقِ

وظبيةٍ تنطح قنّاصها ... من فاحمٍ (٧) جَعدٍ بأرواقِ (٨)

من كُنْسِها (٩) صدرى ومن روضها ... قلبى ومن غُدرانها ماقى (١٠)

مأسورةٍ بالصون فى خدرها ... تحكُمُ فى أسرٍ وإطلاقِ

منّاعةٍ بالحسن أجفانَنا ... أن يتقاربن لإطراق

---

(١) الحين : الهلاك والموت . (٢) الإفراق : الإفاقة من المرض . (٣) الطلى : الأعناق، واحدها : طلية . (٤) الدرياق : الدواء . (٥) النابل : الرامى بالنبل . (٦) أفواق : جمع فوق وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . (٧) الفاحم الجعد : الشعر الأسود المتقبض الملتوى . (٨) أرواق : جمع روق وهو القرن . (٩) كنس : جمع كناس وهو بيت الظبية . (١٠) الماق : طرف العين مما يلى الأنف .

كأنما الأعين إذ أُبرزت　　من خِدرها ليست بأطباقِ
أغفلتُ ماحازته من مهجتى　　مخافةً أن تذكُرَ الباقى
وليــلةٍ بالهجرِ مُدّتْ فما　　يُفنِى مداها سعىُ مشــتاقِ
كان شــرابى وقِيانى بها[(١)]　　دمعى ووُرقا ذات أطــواقِ
حتّى محا الصبحُ سوادَ الدُّجَى　　كِلمَّــةٍ[(٢)] فى يدِ حــلّاقِ
قلتُ وأطــرافُ القنا شُخَّصٌ　　ترمقــنى عن زُرقِ أحداقِ:
لا أطلبُ الهــدنةَ فيهــا ولو　　قامت بها الحــربُ على ساقِ
ومِن "نظام المُلك" لى جُنَّةٌ[(٣)]　　حصــينةٌ ما مثلُهــا واقِ
نِعمَ الحِمَى إن عَرضَت خُطَّةٌ[(٤)]　　قــد لفَّها الليــلُ بسوّاقِ
يعتصم الخائفُ من أمنــهِ　　فى قُلّــتَىْ[(٥)] عهــدٍ وميثاقِ
لا يهجُــم السخطُ على حِلمِهِ　　إن عــثَّرَ الأخمَصُ[(٦)] بالساقِ
ولا يُهــزُّ الكبرُ أعطافَهَ　　وهو على طودِ العــلا راقِ
فى لفظه والخطِّ منــدوحةٌ　　عن صــارم الحــدَّين ذَلّاقِ[(٧)]
مثلُ سلاحِ الليث مستودَعٌ　　فى الكفِّ أو ما بين أشداقِ

---

(١) قيان : جمع قينة وهى المغنية .　(٢) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .
(٣) الجنة : كل ما وقى من السلاح .　(٤) الخطة : الأمر المشكل العظيم الذى لا يهتدى له .
(٥) القلة : أعلى الجبل .　(٦) الأخمص : باطن القدم .　(٧) الذلاق : الماضى .

أبلجُ فضّاحُ سنا نورِه   لسُنّة (١) البدر بإشراقِ
ذو بهجةٍ غرّاءَ ميمونةٍ   زيّنها ديباجُ أخلاقِ
يُحُلُّ ما يبديه من بِشره   عَقْدَ لسان الهائب اللاقى
أبوابهُ للوفد مفتوحةٌ   كأنها أجفانُ عُشّاقِ
تستغلق الرهنَ أفاويقُهُ (٢)   إن جُعِلَ القَمْرُ (٣) لسبّاقِ
مسافةُ العلياء إن أُقصِيتْ   فهو بها "عمرُو بن برّاقِ" (٤)
والعيس عيسٌ (٥) فاذا زرنه   فإنها أسبابُ أرزاقِ
كم عنده للحمد والشكر من   مواسمٍ قُمْنَ وأسواقِ
يأنَفُ أن يُمطر شؤبوبُه   إلا بأذهاب (٦) وأوراقِ
تهلُّلٌ وَسْميُّه (٧) موعدٌ   يُولِى بهامى الجودِ غَيداقِ (٨)
والسُّحبُ لا تعطيك معروفَها   إلا بإرعادٍ وإبراقِ
ليس يخيبُ الظنُّ فيه ولا   يعودُ راجيه بإخفاقِ
أضحت صروفُ الدهر مأسورةً   "للحسن القَرْمِ (٩) ابن إسحاقِ"

---

(١) السنة : الوجه ، وقيل : دائرته ، وقيل : صورته ، وقيل : الجبهة والجبينان . (٢) الأفاويق : السحاب يمطر ساعة بعد ساعة . (٣) القمر : الغلبة فى لعب القمار . (٤) عمرو بن براق . من العدائين المشهورين بالعدو والسبق . (٥) فى الأصل : « والعيش عيش » وهو تصحيف . (٦) أذهاب : جمع ذهب . وأوراق : جمع ورق وهى الفضة . (٧) الوسمى : أول المطر ، ويليه الولى . (٨) الغيداق : الكثير المتدفق . (٩) القرم : السيد العظيم .

قد صـيَّرَ المالَ على حبّـه   طُعمـةَ إتلافٍ وإنفاقِ
إذا صروفُ الدهرِ زعزعنه   صـادفن قلبا غيرَ خفّاقِ
أوامرٌ تمـلؤها طـاعـةً   أهـلُ أقالـيم وآفاقِ
مابين "جَيْحونَ" "فقالى قَلا"   وبين إشـآم و إعـراقِ
وعزمةٌ عنها صدورُ القنـا   تهـتزُّ من خوفٍ وإشـفاقِ
تُضحى قسىُّ "التُّرك" من ثِقلها   تئنُّ في نزعٍ(١) وإغراقِ(٢)
والسيـفُ ممّـا كلّفتْ حدَّه   يكْمُنُ في أغمـادِ أعنـاقِ
قـد حصّن الملكَ بآرائه   في شـاهقِ الأقطـارِ مِزلاقِ
في كلِّ يومٍ بأراضي العـدا   سَجْـلُ(٣) دمٍ بالطعن مُهراقِ(٤)
مثل "بني الأصفر"(٥) أودى بهم   أروعُ يُردى كلَّ مرّاقِ
من تُلَّ(٦) منهـم فلذئبِ الفلا   ومن نجـا فـرَّ بأرماقِ
بوقعـةٍ أُطعِمَ فيهـا الردى   أرواحَ كُفّارٍ وفُسّاقِ
كم من يدٍ بالقـاعِ(٧) مبريّةٍ   وهامةٍ بالشِّـعبِ(٨) أفـلاقِ(٩)

(١) النزع : جذب وتر القـوس .   (٢) الإغراق : استيفاء حد القـوس .
(٣) السجل : الدلو .   (٤) مهراق : مصبوب .   (٥) بنو الأصفر : الروم .
(٦) تل : صرع .   (٧) القاع : المطمئن من الأرض .   (٨) الشعب : الطـريق في الجبـل ، أو هو ما انفرج بين الجبلين .   (٩) أفلاق : جمع فلق وهو الجزء من الشيء المشقوق .

ذاق مليكُ "الروم" من صابها (١) ما لم يكن قبلُ بذوّاقِ
إن لم تكن لاقيتَ أبطالَها كنتَ بإقبالك كاللاقى
والشمسُ لا يمنعها بُعدُها من فعل إنماء وإحراقِ
أيا "قِوامَ الدّين" دعوى امرئ لسانُه ليس بمذّاقِ (٢)
اللهَ فى غرسك لا تُذوِه من بعد إثمارٍ وإيراقِ
بك استقامت عُوجُ أفنانه (٣) ومدَّ فى النُّعمى بأعراقِ
وعبدِ قِنٍّ (٤) لك لم يلتمس من رقِّهِ (٥) راحةَ إعتاقِ
مذ سار عن رَبعكَ، أحشاؤه والقلبُ أُثفيّةُ (٦) أشواقِ
ما اعتاض من عزّك إلا كما يُعتاضُ عن سيفٍ بمخراقِ (٧)
تلطّف الحسّادُ فى سِحرهم حتى رأوا بالنأى إقلاقى
إن سرّهم فَرْى فمن بعدِه يسوءهم كرّى وإعناقى (٨)
ما كنتُ من قبلهم خائفا بينَ غرابٍ غيرِ نغّاقِ (٩)

---

(١) الصاب : نبات مر الطعم ، أو هو عصير شجر مر . (٢) المذاق : الكذاب . (٣) الأفنان : الأغصان ، واحدها فنن . (٤) القن : الخالص العبودة ، وهو الذى ملك هو وأبوه ، أو هو الذى ولد عندك ولا تستطيع إخراجه عنك ، ويقال : عبد قن — بالنعت — ، وعبدقن — بالإضافة — . (٥) فى الأصل : «رقة» وهو تصحيف . (٦) الأثفية : أحد الثلاثة الأحجار التى توضع عليها القدر ، وفى الأصل هكذا : «أثفية» . (٧) المخراق : منديل يلف ويضرب به . (٨) الإعناق : السير السريع الفسيح . (٩) النغاق : النعاب الصائح ؛ مثل النعاق — بالمهملة — .

مَن فيهـمُ يبلغُ شأوى ومَن ... يحمِل إن حُمِّـلَ أوساقى؟ (١)
أشعتُ إحسانك لى أوّلا ... فآجعل بثانى الطَّولِ (٢) تَصداق
حاشا أياديك وما خوّلتْ ... أن أكتسى أثوابَ إملاقِ

وقال يمدحُ أبا القاسم بن رضوان :

تفيض نفـوسٌ بأوصابها ... وتكتم عوّادُها ما بها
وما أنصفتْ مهجةٌ تشتكِى ... هواها إلى غيـر أحبابها
ألا أربى لوعـةٌ فى الحشا ... وليس الهوى بعضَ أسبابها
ومن شرفِ الحبِّ أن الرجا ... لَ تشرِى أذاه بألبابها
وفى السِّرب مُثْرِيةٌ بالجمالِ ... تُقسِّـمه بين أترابها (٣)
فللبـدر ما فوق أزرارها ... وللغصن ما تحت جِلبابها
كأنى ذَعرتُ بها فى الخِبا (٤) ... ءِ وحشيّةً (٥) عنـد مِحرابها
أتبّعهـا نظـرا معجلا ... يعثِّر عيـنى بهُدّابها (٦)
متى شاء يقطِف وردَ الخدود ... وقَتْـهُ الأكفُّ بعنّابها

---

(١) فى الأصل « أوثاق » وهو تحريف . (٢) فى الأصل هكذا "بثاى" .
(٣) أتراب : جمع ترب وهو من ولد معك فى سنك . (٤) الخباء : بيت يتخذ من صوف أو وبر . (٥) الوحشية : الظبية . (٦) الهداب : الخيوط التى تبقى فى طرف الثوب من عرضه دون حاشيته ، أو هو طرف الثوب مما يلى طرته .

كفانىَ من وصـلها ذكرةٌ   تمـرُّ على بَرْد أنيابهـا
وأن تتلألأ بروقُ "الحمى"   وإن أضرمتنى بإلهابها
وكم ناحلٍ بين تلك الخيـا   م تحسـبه بعضَ أطنابهـا (١)
فمن مخبرٌ حاسـدى أننى   وهبتُ الأمانى لطُلّابهـا؟
فإن عرَضتْ نفسَها لم تجد   فؤادىَ من بعض خُطّابهـا
يسُـرُّ الغطارفةَ الأكرميـ   ـن قَرعُ مديحى لأبوابهـا
فهاهى من قبل رفع الحجاب   يضاحكنى بشـرُ حُجّابهـا
أنزّه قَعْبىَ (٢) عن خَلّهـا   وآنَفُ من مخضِ أوطابهـا (٣)
وأعلم أن ثيابَ العفا   ف أجمـلُ زِىٍّ لمجتابهـا (٤)
عدلتُ السرابَ بأوراقهـا (٥)   ولمـعَ البروق بأذهابهـا (٦)
ولو شـئتُ أرسـلتُها غارةً   تعـود الىَّ بأسـلابها
ولكننى عائفٌ شهدَها   فكيف أنافسُ فى صابهـا (٧)
تذِلُّ الرجالُ لأطماعهـا   كذلِّ العبيـد لأربابهـا
فلا تقطِفنّ ثمـارَ المُـنى   فبئسَ (٨) عُصـارةُ أعنابهـا

(١) أطناب: جمع طنب وهو حبل الخيمة . (٢) القعب: إناء يحلب فيه . (٣) أوطاب: جمع وطب وهو سقاء اللبن . (٤) المجتاب: اللابس . (٥) أوراق: جمع ورق وهو الفضة . (٦) أذهاب: جمع ذهب . (٧) الصاب: شجر مر، أو هو عصير شجر مر . (٨) فى الأصل: « فيأس » وهو تحريف .

وعُجْ بالأجلّ "أبى قاسم" لتأتى المكارمَ من بابها
فنعمَ الرياضُ لمرتادِها ونعمَ الديارُ لمنتابها
وأوديةٌ من يَرِدْ ماءَها يرَ السُّحبَ من بعض شُرَّابها
الى كعبة الجود من راحتيه تُشدّ الرحالُ بأقتابها (١)
مناقبُ مثلُ عِدادِ الرمالِ تكُدُّ أناملَ حُسّابها
وتُتعبُ ألسنَ دُرّاسِها وتُفنى قراطيسَ (٢) كُتّابها
تجاوزتَ حدّ صفاتِ البليغ فمادحُها مثلُ مُغتابها
يذُمُّ البضائعَ ما لم يُعِدَّ من الشكر أوفرَ أكسابها
تظُنُّ بأفواه مُدّاحِه عُقارا تدارُ بأكوابها (٣)
تُصافحُ منه أكفُّ الرجاء برطبِ الأنامل وهّابها
كأنّ السؤالَ على رِفده قِداحٌ تفوز بأنصابها
إذا آشتكت الأرضُ داءَ المحو لِ داوى رُباها بإخصابها (٤)
من العصبة المدركين العُلا بأحسابها وبأنسابها
أجاروا على الدهرِ من صَرفهِ وجاروا على الأُسْد فى غابها
وساسوا ولاءَ قلوبِ الرجال بإرغابها ثم إرهابها

(١) أقتاب : جمع قتب وهو إكاف (برذعة) على قدر سنام البعير (٢) القرطاس : الصحيفة .
(٣) أكواب : جمع كوب وهو قدح لا عروة له . (٤) فى الأصل : « باحصابها »
وهو تصحيف .

كنوزُ محامدها والثناءِ … عليها ذخائرُ أعقابها
ولم تلبَس الرُّبْطَ (١) إلا رأيتَ … محاسنَها نقشَ أثوابها
تعجَّبُ من حُسن بهجاتها … الى أن ترى حسنَ آدابها
وإنَّ مكارمَ أخلاقها … تقوم مقاماتِ ألقابها
تمَلَّ بأيّام هذا الزمان … تجرُّ ذلاذلَ (٢) جلبابها
مقامَ السواد لأبصارها … ومثلَ النُّخاع لأصلابها
إذا أنت أفنيتَ أيّامَها … توالت عليك بأحقابها

✧ ✧ ✧

وقال يمدحه أيضا :

النجاءَ النجاءَ من أرضِ "نجدِ" … قبلَ أن يعلَقَ الفؤادُ بوجدِ
إنّ ذاك الثرى لَيُنبتُ شوقا … فى حشا ميِّت اللُّبانات (٣) صَلدِ (٤)
كم خلىٍّ غدا إليه وأمسى … وهو يَهذِى "بعَلوةٍ" أو "بهندِ"
وظباءٍ فيه تُلاقِى المُوالى … والمُعادى من الجَمال بجُندِ
بشتيتٍ من المباسم يُغرى … وسَقامٍ من المحاجر يُعدى
وبنانٍ لولا اللطافةُ ظُنَّتْ … لجناياتها براثنَ (٥) أُسْدِ

---

(١) الربط : جمع ريطة وهى كل ملاءة ليست ذات لفقين . (٢) الذلاذل : جمع ذلذل وهو أسفل القميص الطويل . (٣) اللبانة : الحاجة والمأرب . (٤) الصلد : الصلب .
(٥) براثن : جمع برثن وهو من السباع والطير بمنزلة الإصبع من الإنسان .

وحـديثٍ إذا سمعناه لم نـد ــرِ بخمرٍ نضَحتَنا أم بشهـدِ ؟
أنِفتْ من براقـع الخـزِّ والقـ ـزِّ خدودٌ قـد برقعوها بوردِ
وغنُوا عن خدورهم مذ تغطَّوا عن محبيهم ببعـدٍ وصـدِّ
أمُقاما "بعالجٍ"، والمطايا عَرضَ "يبرينَ" بالظعائن تَخدى؟ ! (١)
لا "الحمَى" بعـدكم مُناخٌ ولا ما ءُ "اللوى" إذا هجرتموه بوِرْدِ
والفـؤادُ الذى عهدتم جَموحا راضـه طولُ جَـوْركم والتعدّى
ما تُريدون من دلائلِ شـوقٍ غيرَ هـذا الذى أُجِنُّ وأُبدى
كبِدٌ كلّما وضعتُ عليها راحتى، قيلَ : أنت قادحُ زَندِ
وجفونٌ جرينَ مدًّا، وماءُ الـ ـبحـر يرتاحُ بين جزرٍ ومدِّ
يا بنى "مُرّةَ بن ذُهـلٍ" أبوكم ما أبوكـم وجَدُّكم أىّ جَدِّ
غُرَرٌ فى وجوهِ "بكرٍ"، و"بكرٌ" شامةٌ عمّمت رءوسَ "مَعـدِّ"
من شبابٍ فى الحِلم مثلِ كُهولٍ وكُهـولٍ نزّاقـةٍ مثـلِ مُردِ
أنا منكم إذا انتهينا إلى العـر ـقِ التففنا التفافَ بانٍ بَرَنْدِ
نسبٌ ليس بيننا فيـه فـرقٌ غـير عيشَىْ حضارةٍ وتبـدّى
لكم الرمحُ والسّنانُ وعنـدى ما تحبُّـون من بيانٍ ومجـدِ
خلِّصـونى من ظَبيكم أو أنادى بالذى يُنقـذ الأسارَى ويفـدى

(١) الظعائن : الهوادج فيها النساء . وتخدى : تسرع .

"بأبى القاسم" الذى غرس الأفـ ضال فى ربوتَىْ ثناء وحمـدِ
كلمـا هبّ للســؤال نسيمٌ فـوق أغصانه انتــثرن برفـدِ
فى يديه غمـامتان لظـلٍّ ولقَطرٍ من غير برقٍ ورعـدِ
أذِنَ البشــرُ للعفـاة عليـه حين ناداهم القُطـوبُ بردِّ
واصطفى المكرُماتِ حتى لقلنا: أبِــرقٍّ إنتاجُها أم بعَقــدِ؟!
فَــرقُ ما بينَــه وبين ســواه فَــرقُ ما بين لُجِّ بحرٍ وثَمْــدِ (١)
أىُّ عُشبٍ فى ذلك الأبطحِ السهـ ـلِ وماءٍ لمَــرتَــعٍ ولــوِردِ؟
لا تــراه إلّا على كاهلِ العـز مِ يســوق العُــلا بجَــدٍّ وجِدِّ (٢)
كم عــدوٍّ أماتــه بوعيدِ وولىٍّ أحيـاه منـه بوعــدِ
لستَ تدرى أمِن زخارفِ روضٍ صاغــه الله أم لآلئِ عِقــدِ؟!
وبحسن الفعـال ينتسب القــو مُ إلى المجــد لا بقَبْــلٍ وبَعدِ
مُطلِعٌ، فى دُجى الخطوبِ إذا أظـ لمنَ، من رأيــه كواكبَ سَـعدِ
عــزماتٌ لا تسـتجيب لراقٍ وحــلومٌ لا تُسـتثار بحِقــدِ
ومَضاءٌ لو أنه كان للسيـ ـفِ لما هوَّمتْ ظُباه بغِمدِ (٣)
قــد رأينا فيــه عجائبَ منهـ ـنّ ثمـارٌ يُجنَيْن من عُودِ "هِنـدِ"

(١) الثمد : الماء القليل . (٢) الجد — بالفتح — : الحظ ، — وبالكسر — : الاجتهاد فى الأمر . (٣) هومت : نامت .

أســرَ الناس بالعوارف، والنّعـ حَمى على الحرّ مثــلُ رِبقةِ[1] قِـدِّ[2]
ليس يَرضَى من الملابس إلّا ما يُنير[3] الثناءُ فيــه ويُســدى
أبدا تســأل النواظرُ عنــه أبشكرٍ قد اكتسى أم بــبُردِ!!
أحصِ ما شئتَ من حصًى وقُطارٍ فمعاليــه ليس تُحصَى بعَـدِّ
وعيونُ الحسّادِ إن نظــرَته فبصُــورٍ[4] من المساءة رُمْــدِ
يا أعاديه لو عُددتم "كيأجو ج" رماكم من كيده خَلفَ سـدِّ
وســواء إذا جرى فى مَــداه أبأخلاقــه جرى أم بجُــردِ[5]
قَصَــبٌ للسباق ليس يُصَلِّيـ[6] ـها خوافى النسور إلا بكدِّ
زادك الله ما تشاءُ مَزيدا سـيلُه غيرُ واقفٍ عنـد حدِّ
فى ربيعٍ نظيرِ جنّاتِ "عَدنٍ" وديارٍ جميعُها دارُ خُــلدِ
إن أغِبْ عنك فاللسانُ بشكرى غــيرُ ناءٍ ولا الفــؤادُ بمجــدى
وهما الأصغران لولاهمــا كا ن البرايا أمثالَ صُحْــرٍ[7] ورُبْدِ[8]
أُخبُرِ النــاسَ تَقْلِهُم[9] أو تصِلهُــم هــل يحاز الدينــار إلا بنقــدِ؟!

(١) الربقة : العروة . (٢) القد : قيد يقد من جلد يشدّ به الأسير . (٣) أنار الثوب : جعل له نيرا ، وهو ما اجتمع من خيوطه ، وأســداه : جعل له سدى وهو ما مد من خيوطه .
(٤) الصــور : المائلة . (٥) الجرد : الخيل قصيرة الشعر ، واحدها : أجرد وجرداء .
(٦) يصليها : تأتى ثانية لها . (٧) الصحر : ما اغبر لونها فى حمرة ، واحدها أصحر وصحراء . يقال : حمار أصحر وأتان صحراء . (٨) الربد : ما اسـود لونها مع تنقيطه بحمرة ، واحدها أربد وربداء . (٩) تقلهم : تبغضهم وتجفوهم من : قلا يقلو وقلى يقلى ، وهو من حديث أبى الدرداء : "وجدت الناس أخبر تقله" أى جرب الناس تبغضهم ، والهاء فى "تقله" للسكت .

وقال يرثى أبا منصور بن يوسف ، ويعزّى عنه أبا القاسم بن رضوان صهرَه :

لا قَبِلنا فى ذا المصابِ عـزاءَ   أحسنَ الدهرُ بعـدَها أو أساءَ
إن نهينا فيــه عن الدمـع مآقا (١)   أو خفَضنا النحيبَ كان رياءَ
حسراتٍ يا نفسِ تفنيكِ بالصبـ   ـر وحزنًا يقلقـلُ الأحشاءَ
ووجيبًا (٢) ملءَ الضلوع إذا فا   ض إلى المقلتين صار بكاءَ
فزفـيرا بين الجـوانح يفتضُّ متى شاء عَـبرةً عـذراءَ
وحنينا يشـوقُ فاقـدةَ النيـ (٣)   ـبِ فتنسَى صريفَها (٤) والرُّغاءَ (٥)
ومُناخا من لوعـةٍ واكتئاب   يستجيبُ الحمامـةَ الـورقاءَ
ودموعا يخجلن من شَـبَه الما   ءِ فيُصبَغن بالحياءِ دماءَ
من عيونٍ قد كنّ قبلُ عيونا   ثم صارت بفقـده أنـواءَ (٦)
ملقياتِ العُوّار (٧) فيهنّ سجلا (٨)   جاعلاتِ القذى لهنّ رِشاءَ (٩)
وإذا ما الأُسَى (١٠) أشرنَ على القلـ   ـبِ بيأسٍ فاستفهموا البُرَحاءَ (١١)
يفقِد الناسُ ــ قد علمنا ــ عظيما   وخطيرا منهم وليسوا سَـواءَ

(١) المآق : طرف العين مما يلى الأنف . (٢) الوجيب : خفقان القلب . (٣) نيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة . (٤) الصريف : صرير ناب البعير . (٥) الرغاء : صوت ذوات الخف . (٦) الأنواء : الأمطار . (٧) العوار : ما ينزع من لحم العين بعد ما يذر عليه الذرور . (٨) السجل : الدلو . (٩) الرشاء : حبل الدلو . (١٠) الأسى : جمع أسوة وهى القدوة . (١١) البرحاء : شدة الحزن .

كيف نسلو من فارقَ المجدَ والسؤ   دَدَ والحزمَ والنّدى والعلاءَ

والسجايا الذى إذا افتخر الـدُّ   رُ ادّعاها مَلاسةً وصفاءَ

والمحيّا الذى له تشخص الأبـ   ـصارُ حُسنا وبهجةً وضياءَ

والأيادى البيضَ المصالحةَ الإعـ   ـدامِ حتى تُحيلَه إثراءَ

والمعالى المحلّقاتِ مع النّسـ[1]   ـرَيْنِ يُشرقن بكرةً ومساءَ

ووقارا لو أنه أدّبَ الهو   جَ[2] من العاصفاتِ عُدنَ رُخاءَ[3]

خرِستْ ألسن النُّعاةِ[4] وودّت   كل أُذْنٍ لو غودرت صمّاءَ

جهلوا أنهم نعوا مُهجةَ المجـ   ـدِ المصفّى والعزّةَ القعساءَ[5]

حين قالوا — وليتهم كتموا الحا   دث عنّا أو جمجموا الأنباءَ — :

طعنتْ "بابن يوسفٍ" قُلُصُ[6] الأيّا   مِ تطوِى الإدلاجَ[7] والإسراءَ[8]

ليس تلوِى على مُناخٍ ولا تطـ   ـلُبُ وِردا ولا تطيعُ حُداءَ

بعد ما كنّ كالعبيدِ من الطا   عةِ والسمعِ، والليالى إماءَ

زينةُ الدين عُرّىَ الدينُ منها   وحُلِىُّ الدنيا جفا الأعضاءَ

لو أرادت عِرشُ المكارم بعلًا   عدِمتْ بعد فقدِه الأكفاءَ

---

(١) النسران: كوكبان، يقال لأحدهما: النسر الطائر، وللآخر: النسر الواقع. (٢) الهوج: الرياح التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت، واحدها: هوجاء. (٣) الرخاء: الريح اللينة. (٤) فى الأصل "البغاة" وهو تصحيف. (٥) القعساء: الثابتة الممتنعة. (٦) قلص: جمع قلوص وهى الفتية من الإبل. (٧) الإدلاج: السير آخر الليل. (٨) الإسراء: السير أول الليل.

من إذا ما الحقوق لله نادت   قاضيا راعيا أجاب النداءَ
وإذا ما إليه مُدَّتْ يدُ البِرِّ أهان البيضاءَ والصفراءَ (١)
من تردّى بهيبةٍ رأت التصريحَ عجزا فأومأت إيماءَ
يُوقِدُ القومُ نارهم فى جدالٍ   فاذا قال أخمدوا الضوضاءَ
من يكن أيتمَ الدرارِى اذا ما   ت فهذا قد أيتمَ الفقراءَ
ما درى حاملوه أنهُمُ عنهم   هُمْ أزالوا الأظلالَ والأفياءَ
أدرَجوا فى الرِّداء نَصلا (٢) ولفُّوا   فى السَّحولِىِّ (٣) صَعدةً (٤) صمّاءَ
يُودِعون الثرى – كما حكمَ اللهُ – بكُرهٍ غمامةً غرّاءَ
ولو آن الخيارَ أضحى إليهم   ما أحلُّوا الغمامَ إلا السماءَ
يا لها من مصيبةٍ عمّت العالَمَ طرّا وخصّت العظماءَ
ما علمنا الضرّاءَ أحيت فعاثت   فى الورى أم أماتت السرّاءَ؟
غيرَ أنّا نرى لها كلَّ نفسٍ   لهفاتٍ تَنفّسُ الصُّعَداءَ (٥)
ما رأينا يوما كيوم تولّيتَ يؤمُّ الأمواتَ والأحياءَ
يَتبَعُ الناسُ ذلك النورَ أرسالًا (٦) كما يتبعُ الخميسُ (٧) اللواءَ

---

(١) البيضاء والصفراء : الفضة والذهب .   (٢) النصل : السيف .   (٣) سحول : موضع باليمن تنسج فيه الثياب ، يقال : ثياب سحولية بالفتح والضم – والفتح أشهر – .   (٤) الصعدة الصماء : قناة الرمح المستوية الصلبة .   (٥) الصعداء : تنفس طويل من هم أوتعب .   (٦) الأرسال : الجماعات واحدها : رسل – بكسر الراء – .   (٧) الخميس : الجيش – لأنه خمس فرق – .

أرجُلٌ فى الصَّـعيد تنتعلُ التُّر   ب وهامٌ[1] تعـمَّمُ الحصْباءَ[2]

فتظَـنَّى[3] الحِمامُ أنـك أزجيـ   ـتَ إليـه كتيبةً[4] شهباءَ

أو مشتْ نحـوه القبائلُ يطلُبْـ   ـن إليه بأن يكنَّ الفِـداءَ

أنت من معشرٍ أبىَ طيِّبُ الذكـ   ـر عليهم أن يُشمتوا الأعداءَ

فهـمُ كالأنام يبلُون أجسا   مًا ولكن يخلَّدون ثناءَ

لم يُطيقـوا أن يدفعوا نوب الأيّـامِ عنهـم فسيَّروا الأسماءَ

عُقِلتْ فـوق تُربك السحبُ إما   ماخضًا[5] بالقُطارِ أو عُشراءَ[6]

تارةً بالضَّريبِ[7] ترغُـو وطـو   را بزُلالٍ يفجّـرُ الأطْباءَ[8]

فاغراتِ الأفواهِ تحسَبها طا   لَ سُراها فأكثرتْ ثُوَباءَ[9]

فهى تَسـقِى ثراك قَطـرا ومن زا   رك يَسـقِى ترحُّما ودُعاءَ

كلُّنا للرّدى ولم تُخـلَق الأعـ   ـلالُ إلّا ما بيننا سـفراءَ

واذا كانت الحيـاةُ هى الدا   ءَ المعـنَّى فقد عدِمنا الشفاءَ

إنما هـذه الأمانىُّ فى النفْـ   ـس سَرابٌ لا يَنقَـعُ الأظماءَ

---

(١) هام : جمع هامة وهى الرأس . (٢) الحصباء : الحصى . (٣) تظنى بمعنى ظن .
(٤) الكتيبة : الفـرقة من الجيش ، و يقـال : كتيبة شهباء لبياض سيوفها وكثرة سلاحها .
(٥) الماخض : — بغير هاء — هى التى دنا ولادها . (٦) العشراء : التى مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية . (٧) الضريب . اللبن يحلب من عدة لقاح فى إناء . (٨) أطباء : جمع طبى — بكسر وسكون — حلمة الضرع . (٩) الثوباء : التثاؤب .

وأُسـودُ الأيامِ لا ترتضى الأجـ ـسامَ قوتاً وتأكلُ الحَـوْباءَ (١)

كم بُزاةٍ شُهْبٍ تَحصَّنُ بالجـ ـوّ فتهـوِى إلى الثرى أَصـداءَ (٢)

غبَرت هـذه الليالى فلو يُسـ ـئلن أنكرن ما دها "الأذواءَ" (٣)

نحن فى عَتبها الذى ليس يُجدى مثـلُ من حكَّ جِـلدةً جَرباءَ

كلَّما كُرِّر المـلامُ عليها فى الإساءات زادها إغراءَ

جَـلَدًا أيُّها الأجلُّ أبو "القا سم"، والعَـوْدُ يحمِـل الأعباءَ (٤)

أبدا أنت فى النوائب لبا سٌ من الصبر نَثرةً حَصداءَ (٥)

خُلُقٌ فيك أن تُنجِّى من الكر ب نفـوسا وتكشِفَ الغمّاءَ

ما كرِهتَ الأقدارَ قـطُّ ولو جا ءت ببؤسَى ولا ذممتَ القضاءَ

ولك العـزّة التى دونها السيـ ـف نفاذا وجُرأةً ومضاءَ (٦)

وفَعـالٌ اذا وزنّاه بالوعـ ـدِ اذا قلتَ لم نجـد إقـواءَ (٧) (٨)

أُحرُس الأقربين يحرسُك اللّـ ـهُ وراعِ الأهلينَ والأبناءَ

فالجيـادُ العِتاقُ لا تَبـلغُ الغا يةَ حتّى تستصحبَ الأفلاءَ (٩)

---

(١) الحوباء : النفس . (٢) أصـداء : جمع صدى وهو الجسد بعـد الموت .

(٣) الأذواء : ملوك اليمن — لإضافة "ذو" فى الغالب الى أسمائهـم وهى تلزم الإعراب ؛ يقال : مرذو يزن ، ورأيت ذا يزن ، وسيف بن ذى يزن . (٤) العود : الجمـل المسن .

(٥) النثرة الحصداء : الدرع المحكمة السرد . (٦) فى الأصـل « نفادا » وهو تصحيف .

(٧) الفعال : الكرم . (٨) الإقواء : الاختلاف ، وأصله — فى الشعر — اختلاف حركة الروى .

(٩) أفلاء : جمع فلو وهو المهر اذا فطم أو بلغ السنة .

وظباءُ الفلاةِ إن راعها القا ... نُص زفّت فأستدنت الأطلاءَ (١)

وجديرٌ بمن شرى عُقَق المجـ ... ـد فأعلى أن يُحرز العلياءَ

* * *

وقال يرثى أبا نصر بن حميلة صاحب الديوان :

كلّ يومٍ خِلٌّ يُرحّلُ عنّا ... وديارٌ معطّلاتٌ ومغنَى (٢)

وحبيبٌ فريسةٌ للمنايا ... بجتويهِ (٣) كأنه ليس منّا

أعلمتْنا مَصيرَنا حادثاتٌ ... لو عملنا يوما بما قد علمنا

هذه الأرضُ أمُّنا وأبونا ... حملتْنا بالكُرهِ ظَهرا وبطنا

إنما المرءُ فوقها هو لفظٌ ... فاذا صار تحتها فهْو معنى

لو رجَعنا إلى اليقين علمنا ... أننا فى الدُّنا (٤) نُشيِّدُ سجنا

إنما العيشُ منزلٌ فيه بابا ... ن، دخلنا من ذا ومن ذا خرَجنا

مثلما تسرحُ السَّوامُ الى المر ... عَى وتُثْنَى عنه غدونا ورُحنا

وضروبُ الأطيار لو طرن ماطِر ... نَ فلا بدَّ أن يراجِعنَ وَكْنا (٥)

يحسَبُ الهِمُّ (٦) عمرَه كلَّ حولٍ ... فاذا آستكثر الحسابَ تمنَّى

---

(١) زفت : أسرعت فى عدوها ، وفى الأصل «وقت» وهو تصحيف ؛ والأطلاء : جمع طلى وهو ولد الظبية . (٢) المغنى : المنزل . (٣) بجتويه : يجفوه . (٤) الدنا : جمع الدنيا وهى واحدة فاذا جمعت فباعتبار أقسامها . (٥) الوكن : العش — كالوكر — .

(٦) الهم : الشيخ الفانى .

كُلُّ شيء يُحصيه عدٌّ ولو كا ... ن كثيرا من رملِ "يبرينَ"[١] يفنى
والليالى لنا مطايا إذا خبّـ ... ـت بنا نحو غايةٍ بلّغتنا
مبتدانا ومنتهانا سواءٌ ... فلماذا من الأخير عجِبنا
فوُجدنا من بعد ما قد عُدِمنا ... وعُدمنا من بعدِ ما قد وُجدنا
والأريبُ اللبيبُ من وعظتْـه ... ألسنٌ فى مواضع الموتِ لُكنا[٢]
قد رأينا وقد سمعنا لو آنّ الـ ... ـنّفسَ ترضَى عينا وتأمن أُذنا
وكأنّا لغير ذاك خُلقنا ... أو سوانا بغير ذلك يُعنَى
كلّما حُقّق الشفاءُ لفنٍّ ... من سَقام الأيام أحدثْنَ فنّا
ليس ندرِى متى نُقاد لعقرٍ ... فبما تَعرِفُ الحُشاشاتُ أمْنا
كلُّنا نجعلُ الظنونَ يقينا ... ويقينُ الأمور يُجعَلُ ظنّا
خُدَعاتٌ من الزمان إذا أبـ ... ـكين عينا منهنّ أضحكن سنّا
كلُّ يومٍ تأتى به يومُ نحرٍ ... و"مِنًى" حيثُ شاء سهلا وحَزنا[٣]
ليس يُغنِى عن النفوس فداءٌ ... فضَياعٌ نَعقُّهُ[٤] عنهنّ بُدْنا[٥]
والمليكُ الهمامُ بالجحفلِ المجـ[٦] ... ـرِ لسمعِ الردَى يُقعقِع شَنّا[٧]

---

(١) يبرين : موضع مشهور بكثرة رماله . (٢) لكن : جمع ألكن وهو العى الذى ثقل لسانه .
(٣) الحزن : الوعر من الأرض — وهو ضد السهل — . (٤) نعق : نذبح عنها فداء لها .
(٥) بدن : جمع بدنة وهى الناقة تقدم للنحر . (٦) الجحفل المجر : الجيش العظيم بكثرته .
(٧) الشن : القربة البالية .

لو درتْ هـذه الحمائمُ ما ند   رى لمـا رجَّعتْ على الغصن لحْنا

طايِعَ الأسهمِ الصوائبِ لم يخـ   ـلقْ لأهـدافهنّ عَمْــدا مِجنّاً (١)

نتــوارى بالسـابرىِّ (٢) ونَنْسَى   من وراء الضلوعِ ضربا وطعنا

غَشِيَ الدهرُ أهــلَه بجنـودٍ   أسَرتْهُ وليس يعــرِفُ منّـا

بين بُلْقٍ (٣) منـه يُغِير بهـا الصبـ   ـحُ وأخرَى دُهْمٍ (٤) توافيك وَهْنا

هو إما روحُ الحياة وإلا   لحيـاةٌ تظـلُّ فيهـا مُعنَّى

وكأنّ المنـونَ حادى ركاب   ردّ ظُعْنـا (٥) عنــه وقدّم ظُعْنا

مَوردٌ غصّ بالزحـامِ فـلولا   سـبقُ من جاء قبلَنا لورَدنا

وأرَى الدهرَ مُفردا وهو فى حا   لٍ يشُنّ الغـاراتِ هَنّاً وهنّـا

كصَفاةِ (٦) المسيلِ لا ترَهَبُ الليـ   ـثَ ولا ترحم الغـزالَ الأغنّا

ما عليهِ لو أنه كان أبـقَى   من "أبى نصير" المهذبِ رُكنا!

والدا للصــغيرِ برًّا وللــتِّرْ   بِ (٧) أخًا مشفقا وللأكبرِ آبنا

غُصُنٌ إن ذوَى فقد كان منه   ثمـراتُ الخـلائق الغُـرِّ تُجْنَى

---

(١) المجن : كل ما وارى من سلاح . (٢) السابرى : الثوب الجيـد — منسوب الى سابور على غير القياس — وسابور بلدة مشهورة بعمل الثياب الجيدة . (٣) بلق : جمع أبلق وهو — من الخيل — : الذى فيه سواد و بياض . (٤) دهم : جمع أدهم وهو الأسود من الخيل . (٥) ظعن : جمع ظعينة وهى البعير يحتمل و يحمل عليه . (٦) الصفاة : الصخرة الصلبة . (٧) الترب : الذى يولد معك فى سنك .

إن أملناهُ بالمقالِ تلوّى   أو هززناه للفَعالِ[١] تثنّى

من ذيولِ السحاب أطهرُ ذيلا   وقميصِ النسيم أطيبُ رُدْنا[٢]

ما مشتْ فى فؤاده قَدَم الغِشِّ ولا أسكن الجوانحَ ضِغْنا

إن يكنْ للحياءِ ماءٌ فما كا   نَ له غيرُ ذلك الوجه مُزْنا[٣]

لهفَ نفسى على حسام صقيلٍ   كيف أضحت له الجنادلُ[٤] جَفنا[٥]

وعتيقٍ أثار بالسَّبقِ نقعا[٦]   فغدا فوقه يُهال ويُبنى

ونفيسٍ من الذخائر لم يؤ   مَن عليه فاستُودِع الأرضَ خَزْنا

أودعوا منه فى الضرائح كافو   را ومسكا ومندَليًّا[٧] ولُبْنَا[٨]

أغمضِ العينَ بعده، فغريبٌ   أن ترى مثلَه وأين وأنّى

أىّ نور أطفأتَ يامُهَرِيقَ[٩] الـ   ـماء فوق الجسم المكلّل حُسنا

ختَمَ الضُّمَّرَ العِتاقَ وخلّى   فى الأَوارىِّ[١٠] مُقرِفات[١١] وهُجْنا

عرفوا قدرَه كما تَعرِفُ الشـ   ـمسَ ومقدارُها اذا الليلُ جَنّا

ما رأينا طودَ الخلافةِ إلّا   ووجدناه عادمًا منه رَعْنا[١٢]

---

(١) الفعال: الكرم. (٢) الردن: الكم. (٣) المزن: السحاب. (٤) الجنادل: الحجارة. (٥) الجفن: غمد السيف. (٦) النقع: الغبار. (٧) المندلى: العود — منسوب الى مندل وهى بلدة فى الهند —. (٨) اللبن: الكندر وهو معروف باللبان. (٩) المهريق: الذى يصب الماء ويريقه. (١٠) الأوارى: جمع آرى وهو محبس الدابة، أو هو حبل تشد به الدابة فى محبسها. (١١) المقرف — من الخيل — ما كان أبوه غير عربى والهجين ما كانت أمه غير عربية. (١٢) الرعن: أنف يتقدم الجبل.

فالقصورُ المشيَّداتُ تُعـزَّى والقبـو رُ المبَعـثَرَاتُ تُهنَّا
ما عجِبنا كيفَ آشترته الليـالى بل عجِبنا كيف آختَدِعنا فبِعنا
ليته حين كان دَينا مع الفقـ ـر إليـه بقبضـه أجَّلتنـا
وآستبدَّتْ بمن أرادت فداءً وآعتزاما وإن أحبَّت فرَهْنا
لو علِمنا أنَّ التفجُّعَ يُدنيـ ـك بكينا دون النساءِ ونُحنا
وآختضبنا دمَ المحاجرِ صِرفًا إن أماطَتْ بنانُهن اليرَنَّا (١)
ونزحنا الدمـوع سَحًّا ووبلًا وأقمنا الضلوعَ وجدا وحُزنا
غيرَ أنّ الدارَ التى أنت فيها منزِلُ من به أناخ أبَنَّا (٢)
لاخَطا تُربَكَ السحابُ المصرِّى (٣) أو تؤدِّى فروضَـه وتُسَنَّا
كلَّما أوسعتْ خُطاه النُّعامَى (٤) أثقلتـه أوساقُـه فأُعنَّا (٥)
حسبَ القَطْرُ رعدَه نقرَ دُفٍّ فتعاطَى على البسيطةِ زَفْنا (٦)
وقليـلُ الجدوَى مقالَى يا أطـ ـلالُ، حتى سُقيتِ رَبعًا ومَغنَى
وعزيزٌ علىَّ أن صِرتَ فى نظـ ـم القوافى تُسمَى لندْبٍ وتُكنَى

---

(١) اليرنا : الحناء . — وفيها لغات يرجع اليها فى المعجمات — . (٢) أبن : أقام .
(٣) المصرى : الذى آجتمع ماؤه ، وأصله : ضرع الناقة لا يحلب حتى يجتمع اللبن فيه . (٤) النعامى : ريح الجنوب . (٥) أعن : حبس بالعنان . (٦) الزفن : الرقص .

وقال يعزّى أبا القاسم بن أيّوب عن زوجةِ أبيه أبى المعالى بن عبد الرحيم :

لا مِريةٌ فى الردَى ولا جدَلُ — العمرُ دَيْنٌ قضاؤه الأجلُ
للمرء فى حتفِ أنفِه شُغُلٌ — فما تريد السيوفُ والأسَلُ؟ (١)
يَفرِى (٢) الدجَى والضحى بأسلحةٍ — سِيّانِ فيها الدروعُ والحُلَلُ
فأنجمُ الليل كالأسنةِ والـ — صُبحُ حسامٌ له الورى خِلَلُ (٣)
ياليت عمرَ الفتى يُمَدُّ له — ما امتدّ منه الرجاءُ والأملُ
مواردُ هذه الحياةُ وما — نصدُرُ عنها إلا بنا غُلَلُ
نكرَعُ فى حَوضها ونحن كما — تُذاد من بعد خِمسها (٤) الإبلُ
كأسٌ أدرّت على لذاذتها — عُدّل فيها الزُّعافُ (٥) والعسلُ
كلٌّ إلى غايةٍ يصير ولا — تمييزَ إلا الإسراعُ والمَهَلُ
والناسُ ركبٌ يهوون حثَّهمُ — ولا يُسَرُّون أنهم نزلوا
وسوفَ تُطوَى مسافةٌ ذَمَلتْ (٦) — بقاطعيها ركائبٌ ذُلُلُ (٧)
كيف يُعَدُّ الدنيا له وطنا — من هو ينأى عنها وينتقلُ؟

(١) الأسل : الرماح . (٢) يفرى : يشق ويقطع . (٣) الخلل : جمع خلة وهى غمد السيف ، أو هى بطانة يغشى بها غمده . (٤) الخمس : من أظماء الإبل وهو ورودها الماء فى اليوم الرابع بعد رعيها ثلاثة أيام . (٥) الزعاف : السم القاتل . (٦) ذملت : سارت الذميل — وهو ضرب من السير — . (٧) الذلل : المنقادة .

نسْخوا بأعمـارنا ونبخـل بالـ ـمال فتَبَّ السخاءُ والبَخَـلُ

ونبتغى البرءَ عند من يُسرع الـ ـسُّـقمُ إليـه وتَصرع العِلـلُ

أضاع راقى الداءِ العضـالِ كما ضُيِّـع فى سمـع عاشقٍ عذَلُ؟!

ولو نجـا الهائبُ الجبانُ من الـ ـحتف تحامَى إقدامَه البطلُ

ما أسلموا هذه النفوسَ إلى الـ ـأجداث إلا إذ ضاقت الحيلُ

ضرورةٌ ذلَّت القُـرومُ[1] لهـا وقد تقودُ المَصاعبَ[2] الجُـدُلُ[3]

وخفَّف الخطبَ بعـد شدّته أنْ كُلُّ حىّ لأمّه الهَبَـلُ[4]

ومن حِذارٍ تبـوّأ الكُدْيةَ[5] الـ ـضّـبُّ وأوفَى فى الشاهقِ[6] الوَعِلُ[7]

لا الجوّ يُنجِى الشغواءَ[8] حائمـةً ولا سبوحٌ فى لُجّـةٍ يثِـلُ[9]

يُقتـادُ فى عزّه الحُبَعْثِنةُ[10] الـ ـضّـارِى ويُدهَى فى ذلّه الجُعَـلُ[11]

والحافظو عَورةِ العشـيرة للـ ـدّهر إذا شنَّ غارةً عزُلُ[12]

أىّ ديارٍ تُحمَى وقـد راع "تا جَ الدّين" خطبٌ أنيابُه عُصُلُ[13]

---

(١) قروم : جمع قرم وهو الفحل العظيم من الإبل . (٢) مصاعب : جمع مصعب وهو الفحل لا يركب لكرامته . (٣) جدل : جمع جديل وهو الزمام المجدول من أدم . (٤) الهبل : الثكل .

(٥) الكدية : الأرض الغليظة يحفرها الضب ليتخذها جحرا . (٦) الشاهق : الجبل العالى .

(٧) الوعل : تيس الجبل . (٨) الشغواء : العقاب ، وفى الأصل "الشعواء" وهو تصحيف .

(٩) يثل : ينجو . (١٠) الحبعثنة : الأسد . (١١) الجعل : ضرب من الخنافس . (١٢) عزل : جمع أعزل وهو من لا سلاح معه ، وفى الأصل "عذل" وهو تحريف .

(١٣) عصل : عوج ، واحدها : أعصل .

مستلبا من يديه لؤلؤةَ الـ ... ـغوّاصِ أدنَى أصدافِها الكِلَلُ (١)
ما كان يُدرَى من قبلِ ما غربتْ ... أنّ الثريّا إلى الثرى تصِلُ
يا بؤس للنائبات كيف أرت ... أُخوة الفرقدينِ تنفصلُ
وإن عجِبنا منها فلا عجبٌ ... للشمسِ وارَى جبينَها الطَّفَلُ (٢)
لم يرتد المجدُ إذ أصيبَ بها ... ولا مشى العزُّ وهو منتعلُ
سليلةٌ من سوابق درَجوا ... أمامَها فاستخفَّها العجَلُ
من الخدورِ التى بها احتجبوا ... إلى القبور التى بها نزلوا
تُنحرُ فى "مكّة" العِشارُ (٣) ولا ... تُنحرُ إلا عليهم المُقَلُ
مهلا فما يربح الحزينُ ولا ... يخسرُ إلا غناءَه الجَذِلُ (٤)
وهل يردُّ الأحبابَ إن رحلوا ... على محبٍّ أن يُندَب الطلَلُ ؟
حُوشيتَ من جلسةِ العزاءِ وأن ... يُضربَ فى أسوةٍ لك المثلُ
كم قد هوَى من سمائكم قمرٌ ... وغار فى الأرضِ منكمُ جبلُ
فما سكبتم له ذَنوبا (٥) من الـ ... ـدمع ونارُ الأحزان تشتعلُ
ودعتُموه كأنكم شُمُتٌ ... أو العِدَى عنكمُ قد ارتحلوا
إذا مَراثى أحبابكم تُليتْ ... سمعتموها كأنها غزَلُ

(١) كلل : جمع كلة وهى السّتر الرقيق . (٢) الطفل : حمرة الأفق قبل غروب الشمس .
(٣) العشار : الإبل التى مر على حملها عشرة أشهر ؛ واحدها عشراء . — مثل نفساء ونفاس ولا ثالث لهما — . (٤) الجذل : المسرور . (٥) الذنوب : الدلو .

فليس ندرى من صخرةٍ نُحتتْ قلوبُكم أم دموعُكم وَشَلُ؟ (١)

وأنتمُ هَجْمَــةٌ (٢) تقاربتِ الـ أسنانُ فيها فكلُّها بُزُلُ (٣)

فظاعنٌ (٤) عنكُمُ له خَلَفٌ وذاهبٌ منكُمُ له بدلُ

للدهرِ نُعمى ومنّـةٌ ويدٌ ما قام فى النـاس منكُمُ رجلُ

وقال يمدُح عفيفا القائمىّ :

لأىِّ مرمًى تزجُرُ الأيانِقـا (٥) إن جاوزتْ «نجدا» فلستَ عاشقا

وإنما كان بكائى حاديا ركبَ الغرام وزفيرى سـائقا

مذ ظعَنوا (٦) علمتُ أنى منهمُ أشيـمُ فى أعلى السحابِ بارقا

أيا غرابا قـد نعقتَ بِهِـمُ فكن على آثارهم بى ناعقـا

سـائلْ شموسا ضربتْ حولهـا من شُقّة البينِ لهـا سُرادقا

لِمْ جعلتْ أعيننـا مغاربا واتخـذت خُدورَهـا مشارقا

وكيفَ لاتحرُسهـا خيامُها وكل طَرفٍ قد أتاها سارقا

قُلّدت الدرَّ فمـا شككتُ أن قـد نُظِمتْ ثغـورُهـا مَخانِقـا (٧)

واستهدت الخصــورُ من بَنانها خــواتما تلبسهـا مَناطقـا

رميتُم القلبَ وظــنّى أنكم تُخطون إذ ترمون شيئا خافقـا

(١) الوشل : الماء القليل فى مستنقع .
(٢) الهجمة : القطيع من الإبل دون المائة .
(٣) البزل : الإبل المسنة ، واحدها بازل .
(٤) الظاعن : الراحل ، وفى الأصل «قطاعن» وهو تصحيف .
(٥) الأيانق : جمع ناقة .
(٦) ظعنو : رحلوا .
(٧) المخنقة : القلادة .

فلم يكن أوّلَ ظنٍّ كاذبٍ، من يدفعُ الأمرَ أتى موافِقا؟!

جراحةُ الأنصلِ[1] إنْ سبرتها[2] تشهدُ أن السهمَ كان مارقا

أحبِس دمعى فينِدُّ شاردا كأننى أضبِطُ عبدا آبقا[3]

ومن مُحاشاةِ الرقيبِ خلتُنى يومَ الرحيلِ فى الهوى مُنافقا

كم لىَ فى الظَّلماء من وقائعٍ أسَرتُ فيهنَّ الخيالَ الطارقا

لما أتانى فى عجاجةِ[4] الدّجَى مارسَ منّى فارسا مُعانقا

ما استوقفتنى الدارُ عن طِلابهم وإن جلَتْ للعين مَرأى رائقا

إذا رأيتَ القطرَ يُحيى عُشبَها أبصرتَ مخلوقا بها وخالقا

يُنبِتُ فى هامِ الربى ذوائبا يُضحى لها خدُّ المَصيفِ حالقا

فاشتملت تِلاعُها[5] رَفارفا[6] وأتزرتْ أهضابُها نمارقا[7]

وغنّت الحمامُ فى عيدانِها تُحسَبُ فى أفنانها «مُخارقا»[8]

وهبَّ نجدىُّ الصَّبا تحسَبُهُ فارةَ[9] مِسكٍ فى ثراها فاتِقا

فما رأيتُ الركبَ إلا لامسًا أو ناظرا أو سامعا أو ناشقا

بُعدًا لدهرٍ إن قرَى أضيافَهُ سقاهمُ ماءَ الأمانى ماذقا[10]

(١) الأنصل : جمع نصل وهو حديدة السهم . (٢) سبرتها : خبرت غورها .

(٣) الآبق : الهارب . (٤) العجاجة : الدخان والغبار ، — والمراد بها الظلمة — .

(٥) تلاع : جمع تلعة وهى ما ارتفع عن الأرض . (٦) الرفرف : ثياب خضر — وهى مجاز — .

(٧) نمارق : جمع نمرقة وهى وسادة يتكأ عليها . (٨) مخارق : مغن مشهور . (٩) فارة المسك : وعاء المسك — ويسمى النافجة أيضا — . (١٠) الماذق : المشوب المخلوط .

قد كسد الفضلُ به فما ترى ... فى سوقه للفضل عِلْقا نافقا (١)

ومعجزٌ أنّ لسانى ناطق ... عند زمانٍ أخرسَ الشّقاشقا (٢)

أكثرُ من تَخبُرُه من أهله ... يَظهر فى دِينِ الوداد فاسقا

غدرٌ يغطّى الذئبُ منه وجهَهُ ... ويُخجلُ الخِلّ الودودَ الواثقا

مَعاشرٌ قد حفرَ اللؤمُ على ... حريم أموالهمُ خنادقا

سيّان إن عُرِضتُ طِرْفا (٣) صاهلا ... عليهمُ أو عُدتُ عَيرا (٤) ناهقا

طلبتُ منهم بَيْعةً على [يدى] (٥) ... فلم أجِدْ منهم لكفّى صافقا

إلا «جمال الدولةِ» المعطى الندى ... على انتهابِ رِفده مُواثقا

لو أمسكتْ بنانُه معروفَه ... لأصبحتْ من كفّه طَوالقا

من حَسَدٍ ظلَّ الغمامُ باكيا ... بقَطره وبالرعود شاهقا

لقّنهُ الطبعُ الكريمُ صُحُفا ... من مذهب الجودِ فجاء حاذقا

ما إن رأينا قبلَه ولا نرى ... من بعدهِ وعدَ الأمانى صادقا

إن تُلقح الآمالُ من ميعادهِ ... فعن قليل ستراها فارقا (٦)

مكارمٌ تُسكِنه فى جنّةٍ ... قد غرَس الشكرُ بها حدائقا

---

(١) العلق : الشيء النفيس . (٢) الشقشقة : لهاة البعير . (٣) فى الأصل «أعرضت» . والطرف : الجواد . (٤) العير : الحمار . (٥) ليست فى الأصل ، ولعلها أقرب الى ما يتطلبه الصواب . (٦) الفارق : من الدواب التى أخذها المخاض فندت فى الأرض أو هى الناقة التى تفارق إلفها فتنتج وحدها .

من عاش كان ناطقا بحمده   ومن توى (١) أودعه المَهارقا (٢)

إن قلتَ : ماأحسنَه شمائلا   قلتَ : وما أكرَمَه خلائقا

مُكرِّرٌ للكرمات قائلا (٣)   بكأسها وصابحا (٤) وغابقا (٥)

لا يحسُن المديحُ عند غيره   ولا تراه بسواه لائقا

جـدّد فى سُبْل المعالى طُرُقا   وزاد فى حدّ الندَى طرائقا

يوماه إما لِطرادٍ يَصطفِى الر   جالَ والسلاحَ والسوابقا (٦) ،

أو طَرَدٍ (٧) جمّعَ من أداتِه (٨) ال   فهودَ والكلابَ والسَّواذقا (٩)

فتارةً يصرَعهم فوارسا   وتارةً يصيدها خَرانقا (١٠)

لو لم تكن تُطربُه الحربُ لمَا   كان لِسربالِ العَجاج (١١) خارقا

لولاه ماكان السّنانُ طاعنا   يوم الوغى ولا الحسامُ فالقا

إذا الكماةُ لبِسوا دروعَهم   أقاحيا (١٢) أعادها شقائقا (١٣)

لو هزّ فى يمينه مخَاصرا (١٤)   أرسلها بباسه صواعقا

(١) توى : مات . (٢) المهارق : الصحف البيضاء يكتب فيها ، واحدها : مهرق — بضم فسكون ففتح — فارسى معرّب . (٣) القائل : الشارب فى نصف النهار أى فى قائلته . (٤) الصابح : الشارب صباحا . (٥) الغابق : الشارب عشية . (٦) السوابق : الخيـل . (٧) الطرد : الصيد . (٨) فى الأصل «اذاية» وهو تصحيف . (٩) السوذق : الصقر ، وقيـل : الشاهين . (١٠) الخرنق : — بكسر الخاء — الفتى من الأرانب . (١١) العجاج : غبار الحرب . (١٢) الأقحوان وجمعه أقاح : نبات أبيض . (١٣) الشقائق : نبات أحمر . (١٤) المخصرة : عصا صغيرة يأخذها الملك فى يده .

لا يقتنى إلا حساما جاهــلا ولا يُعــدُّ الرمحَ إلا مائقـا (١)

إن شئتَ أن تعـلم ما فِعلاهمـا فاستخبر الضـلوعَ والمَفـارقا (٢)

ليس يبـالى بالأعادى بعـد ما يَعُــدُّ ذؤبانَ (٣) الفلا أصادقا (٤)

إن أعضـلَ الأمرُ فنـاطوهُ به كان المصـلِّى (٥) والنجاحُ السابقـا

لذا ارتقى عنـد الإمام ذِروةً وحلَّ من رأيِ المليـك شاهقـا

لاحطَّتِ الأيّام عنـك رتبـةً ولا أراك الدهرَ إلا سابقـا

تدوم مادام الزمانُ آمرا أو ناهيـا وفاتقـا وراتقـا

* * *

وقال فى بعض الأغراض :

رأيت الحُبَّ ليس يُنـال إلا بحـظٍّ من جمَـالٍ أو نوالِ

وأنت من القباحةِ ذو نصيب حقيـق بالتصارم والتقـالى (٦)

وما سترتْ عيوبَك عن عيونٍ بَصيراتٍ يداك ببـذلِ مالِ

فأيّة خَــلَّةٍ غرتك حــتى خطبتَ بهـا مَودّاتِ الرجالِ

---

(١) المائق : الأحمق الغبى . (٢) مفارق : جمع مفرق — كمجلس ومقعد — وسط الرأس . (٣) ذؤبان : جمع ذئب . (٤) أصادق : جمع صديق . (٥) المصلى : الجواد الثانى فى الحلبة ، والأول : المجلى وهو السابق . (٦) التصارم : التقاطع ، والتقالى : البغض .

* * *

وقال فى مثله :

أثرَوْا فما علِم آمرؤُ إثراءَهم فلو آملقوا لم يعلم الإملاقُ
سِيَّانِ إثراءُ اللئيم وعُدْمُه إن الدراهمَ عَرفُها الإنفاقُ

* * *

وقال فى الخمر :

وسلافةٍ بُزلت فأبرزَ دَنُّها(١) ذهبًا يُرصَّعُ عَسجدا إبريزا(٢)
خَبرَ النَّدامى فعلَها فإذا بِهِ كالمال يرجعُ بالذليل عزيزا
فتناهبوها غيرَ شكّ، إنهم وجدوا بها مِلءَ الدِّنان كنوزا

* * *

وقال فى الغزل :

بدا ضاحكا لا لأحظَى بما تُسَرُّ به النفسُ من بِشره
ولكن رأى وجهَه مقمرا فأبدَى كواكبَ من ثغره

* * *

وقال فى مثله :

أضدَّانِ فى جسدٍ واحدٍ مقيمان قد جعلاه قَرارا
دموعٌ من العين فيّاضةٌ ووَقدٌ من القلب يَرمِى شَرارا
كأنّى من السُّحبِ الساريا ت يَحمِلنَ فيهنَّ ماءً ونارا

---

(١) الدن : إناء كبير توضع فيه الخمر كالراقود، وجمعه: دنان . (٢) العسجد الإبريز : الجوهر الخالص — كالدر والياقوت — .

وقال لبعض الرؤساء :

شُـدُّوا على ظهر الصِّبا رَحلى … إن الشبابَ مطيَّـةُ الجهلِ
إن أُحرِزتْ نفسى إلى أمدٍ … دبَّرتُها فى الشَّيبِ بالعقـلِ
إن المغـرَّبَ فى مواطنـه … من عاش فى الدنيا بلا خِلِّ
وإذا الفـؤاد ثوى بلا وطرٍ … فكأنه ربعٌ بلا أهـلِ
من للظباء سـواى يقنِصُها … إن أسكرتنى خمرةُ العـذلِ؟
أوغلتُ فى خوض الهوى أنفًا … للقلب أن يبـقَى بلا شُغلِ
وحذِرتُ سُلوانا فسُمتُهُمُ … أن يحـرِمونى لذّةَ الوصـلِ
فضَلَتْ دموعى عن مدَى حزَنى … فبكيتُ مَن قتـل الهوى قبلى
ما مرّ ذو شجنٍ يكتّمـه … إلا أقـول : متيّمٌ مثـلى
يُخنى – ولا يَخفَى على نظرى – … عَـلَمَ الخضوع ومِيسَم الذلِّ
يا فاتكا أضـراه أنّ(١) له … قتْـلَى بلا قَوَدٍ(٢) ولا عَقْـلٍ(٣)،
لِمَ لا تُريقُ دمًا وصاحبُـه … لك جاعلٌ فى أوسع الحِـلِّ؟
بُعـدًا لغزلان الخدور لقـد … كُحّلَتْ محاجرُهنّ بالخَتْـلِ(٤)
يرمين فى ليـلِ الشبابِ لكى … تخـفَى علىَّ مواقعُ النبـلِ

(١) أضراه : أغراه . (٢) القود : القصاص . (٣) العقل : الدية .
(٤) الختل : الخداع .

لو لم يُرِدْ بِى السـوءَ خالقُها   ما ضمَّ بين الحسن والبخلِ
اِقذف عدوَّك، إن أردتَ به   دهياءَ، بين الأعين النُّجل
يبلُغنَ كلَّ العُنفِ فى لَطَفٍ   ويَنلنَ أقصى الجِـدِّ بالهزلِ
هُبْهم لَوَوْا وعِـدِى، فطيفهمُ   من ذا يحسِّره عـلى مطلى؟
قـد كدتُ أُنهِكمُ معاقَبـةً   لولا آدّ كارى حُرمَةَ الرُّسْـلِ
وعهودُكم "بالرَّمل" قدنُقضتْ   وكذاك من يبـنى على الرملِ
إن ازمعوا صرما فلِمْ عقَـدوا   يومَ "الكثيب" بحبلهم حبلى؟
لا يوثِق الأُسـراءَ بينهُـمُ   إلا رِشاءُ(١) الفـاحِم(٢) الرَّجْـلِ
كيف الخلاصُ ومن قدودهِمُ   وخدودهم ونهـودهم عقـلى(٣)
وإذا الهوى ربَط النفوسَ فما   يُغنيـك حَلُّ يدٍ ولا رِجْـلِ
صحبى الألى أزجَـوْا مطيَّهُـمُ   حتى أناخوها "بذى الأثْلِ"
من يطَّلِـعْ شَرَفا فيعلمَ لى   هـل روَّح الرُّعيـانُ بالإبلِ؟
أم قعقعتْ عُمُدُ الخيام أم آر   تفعتْ قِبـابهُمُ(٤) عـلى البُزْلِ(٥)؟
أم غرَّد الحـادى بقافيـةٍ   منها غرابُ البين يستملى؟
إنى أحاذر من رحيلهـمُ   ما حاذَرَتْ أُمٌّ من الثُّكلِ

---

(١) الرشاء — فى الأصل — : حبل الدلو — والمراد به هنا الغدائر — . (٢) الفاحم الرجل : الشعر الأسود الكثيف. (٣) العقل : الربط . (٤) فى الأصل « قيامهم » وهو تحريف . (٥) البزل : الإبل المسنة ، واحدها بازل .

إن كان ذاك ، فصادَفوا لَقَمًا (١) ... يعمَى الدليـلُ به عن السُّبُلِ
رنقا فلست أُطيق أحمـلُ ما ... حَمَلَ "الأجلُّ" لنا من الثِّقَلِ
وهو الذى كلٌّ يُقـرّ لـه ... يومَ الفخار عليـهِ بالفضلِ
أغلتْ مكارمُه المهـورَ على ... تزويج بِكرِ القـول بالفعـلِ
وحبا العفـاةَ وهم بدارهمُ ... حـتى دعَوه جامعَ الشمـلِ
يعطيك فى عُسُر وفى يُسُرِ ... ويُنيـل من كُثْرٍ ومن قُـلِّ
مثل السـحابةِ ما تُغِبُّك فى الـ ... ـحالاتِ من وبل ومن طَـلِّ
فكأنما أوحَى إلى يده ... أن تقتـلَ الإملاقَ بالبـذلِ
شجـر من المعـروف أنبتها ... تختال فى ثمـر وفى ظـلِّ
ومناهـلٌ إن يرضَ واردها ... بالنَّهْـل (٢) يجـبُرْهُ على العَـلِّ
ظنًّا بأن الفـرضَ ليس له ... حـمدٌ وأن الشكـرَ للنَّفلِ (٣)
لعـدوه ما للصـديق به ... والغيثُ رزقُ الحَزْنِ (٤) والسهلِ
وإذا السماء غدت كأنّ على ... أبوابها قُفـلا من المَحْـلِ ،
وجدوا الغمامَ قلائصا (٥) غَرِضتْ (٦) ... بالسير من جهـد ومن هُزُلِ (٧)

---

(١) اللقم : معظم الطـريق .
(٢) النهـل : أول الشرب ، والعـل : ثانيه .
(٣) النفل : ما يفعل مما لم يجب فعله .
(٤) الحزن : الوعر من الأرض ضد السهل .
(٥) قلائص : جمع قلوص وهى الشابة من الإبل .
(٦) غرضت : ضجرت وملت .
(٧) الهزل . الضمور .

وآستحسن الكرماءُ من سَغَبٍ[1]   أن يبعثوا بذخائر النمـلِ
فى شتَـوةٍ شمـطاءَ عانسـة   عزّ الرّضاعُ بها على الطفـلِ،
بكرت انامـلُه بغـادية[2]   تكسو البـلادَ ملاحفَ البقلِ
وكأنما الأنـواءُ حائـلةٌ[3]   عجفاءُ[4] ترمحُ[5] حالبَ الرِّسْـلِ[6]
بلغَ المدى ، والتابعون له   متعثرون بزلّة النعـلِ
لوقُلّد الشجعانُ عزمتَـه   لغَنوا عن الهندىّ ذى الصقلِ
حُنيتْ أضالعُـه على همم   مخلوقة للعَقـد والحَـلِّ
لا يدّعى إقـدامَه أحـدٌ   وإن آدعاه فوالدُ الشّبلِ
ما يذعَرُ الخصماءَ من فُطُمٍ[7]   ترميهـمُ بشقاشقٍ[8] تغـلى؟!
أبدا يفِـرُّ صريعُ منطقـه   منـه إلى الخطّىّ[9] والنّصـلِ[10]
يرنو الزمانُ إلى معاندهِ   حنقًا عليـه بأعينٍ قُبْـلِ[11]
فى كفّـه صمّـاءُ[12] ضـامرةٌ   سرقتْ شمائلَها من الصّلّ[13]

(١) السغب : الجوع . (٢) الغادية : السحابة تمر فى الغدوة . (٣) الحائلة : التى لم تحمل . (٤) العجفاء : المهـزولة غير السمينة . (٥) ترمح : تدفع . (٦) الرسل : اللبن . (٧) فطم : جمع فطيم وهو ما فصل عن الرضاع . (٨) شقاشق : جمع شقشقة وهى لهاة البعير يهدر بهـا . (٩) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهى بلدة تباع فيها الرماح ولا تنبت بها — يقال : رماح خطية — على الوصف ، ورماح الخط — على الإضافة — .
(١٠) النصـل : السيف . (١١) قبل : جمع قبلاء وهى العين التى أقبل سوادها على الأخرى .
(١٢) الصماء : الحية ، — والمراد بها هنا القلم على التشبيه — . (١٣) الصل : الثعبان .

سمُّ الأساودِ (١) فى نواجذها (٢) — وإن اَغتذت بمُجاجةِ النحلِ

ما حُكِّمتْ فى أمرٍ مُشكلةٍ — إلا أتت بقضيَّةٍ فَصلِ

من مثلُه لقراع نائبةٍ — فيها فراق العِرْسِ للبَعلِ!

هيهات أن تلقَ مشابَهه ؛ — أمُّ الصقورِ قليلةُ النسلِ

✦

وقال وكتب بها الى الشريف أبى جعفر بن البَيَاضىّ (٣) يداعبه :

مرضٌ بقلبك ما يعادُ — وقتيلُ حب لا يقادُ (٤)

يا آخر العشّاق، ما — أبصرتَ أوّلهم يذاد؟ (٥)

يقضِى المتيَّم منهم — نحبا ولو رُدُّوا لعادوا

ملكوا النفوسَ فهل لنا — من بعدها ما يستزادُ

أبدا جناياتُ العيو — ن بحَرِّها يَصلَى الفؤادُ

ما خلتُ غِزلان "اللِّوى" — كظباءِ "مكَّةَ" لا تصادُ

يقظان تَنصلُ (٦) أحبُلى — عنها ويقنصها الرقادُ

بالعذلِ تُوقَد لوعتى — وبقَدحِه يُورَى الزِّنادُ

لم يستطعْ إطفاءَها — دمعٌ كما آنخرقَ المَزادُ (٧)

---

(١) أساود : جمع أسود وهو الثعبان . (٢) النواجذ : الأنياب . (٣) نسبة الى « بياضة » بطن من الأنصار، أو نسبة الى جماعة نسبوا الى لبس الثياب البيض ببغداد .

(٤) لا يقاد : لا يدفع قوده وهو الدية . (٥) يذاد : يدفع . (٦) تنصل : تنفصل .

(٧) المزاد : وعاء يوضع فيه الزاد .

لا تنكرا جُرحى فلا عذّال ألسنةٌ حِدادُ
طمعٌ وأنتَ "برامةٍ" فيمن تضمّنه النّجادُ؟ (١)
والحيّ قد هبطَتْ خيا مُهُمُ وقعقعت العِمادُ
والوردُ من زَهرِ الخدو دِ كِمامهُ (٢) الكِلَلُ (٣) الوِرادُ (٤)
لو يسمحون بوقفةٍ أبَت المطايا والجيادُ
ظعنوا بأقمارٍ عليـ ـها تحسدُ الكومُ (٥) الجلادُ
ولأجلها غَبَطَ الغبيـ ـطَ (٦) حجابُ قلبي والسوادُ
فيقول : أيّ الحالتيـ ـن أشدُّ، هجرٌ أم بعادُ؟
تعفو المنازلُ إن نأوا عنها وتغبرُّ البلادُ
والحسنُ أولَى بالبِلى شوقا إذا بَلِيَ الجمادُ
ما ضرّهم ، والحسنُ لا يبقَ، لو آمتنُّوا وجادوا !
أتُرى حرامٌ أن يُرَى فى الناس معشوقٌ جوادُ؟ !
لعبٌ مفاتيحُ الهوى والحرب أوّلُها طِرادُ
أوَ ما رأيت فتى قريـ ـش" وهو للجُلّى عَتادُ،
وله المعانى المستدقّةُ والكلامُ المستفادُ،

(١) النجاد : حمالة السيف . (٢) الكمام : جمع كم وهو ما يغطى الزهر من الورق الأخضر . (٣) كلل : جمع كلة وهى الستر الرقيق . (٤) الوراد : الحمر كالورد . (٥) كوم : جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٦) الغبيط : الرحل يشد عليه الهودج .

وأصالةٌ في الرأى بالسـ ـحر الموشّى لا تُكادُ،

وشواردٌ في القول قد قُرِنتْ بها السّبعُ الشّدادُ،

"كالهرقليّاتِ"(١) النوا صع ليس ينفيها آنتقادُ،

فكأنه "قسٌّ"(٢) "وها شمُ"(٣) حولَ منطقِه "إيادُ"؛

كيف آرتعى زَهرَ الصبا بهِ، والغرامُ له قيادُ

بعد التخيّل والمِرا ح ونَى وذلّلهُ القيادُ

نشوان لا في عطفه بطرٌ(٤) ولا في الرأس صادُ(٥)

فيه فلانٌ أو فلا نٌ لا "سُلَيمى" أو "سعادُ"

يرضَى بطيفٍ قال: مو عدُنا الحشيَّةُ(٦) والوِسادُ

وتُحَلُّ عُقدةُ نُسكِه بالشيء لفّفه البِجادُ(٧)

يا مُصعَبًا(٨) جرّته في أرسانها(٩) اللّممُ(١٠) الجِعادُ(١١)

وآستهدفته رواشقُ الـ ـلحظات مثنَى أو أُحاد

---

(١) الهرقليات: النقود المسكوكة باسم هرقل — بفتح الراء وسكون القاف — وسكنت هنا الراء وفتحت القاف لضرورة الوزن. (٢) يشير الشاعر الى قس بن ساعدة الإيادى وهو من أفصح العرب. (٣) يشير الى بنى هاشم بن عبد مناف القرشى جد أسرة الممدوح. (٤) بالأصل: نظر وهو تصحيف، والبطر الأستخفاف، يقال: جر إزاره بطرا. (٥) الصاد: التكبر. (٦) الحشية: الفراش المحشو. (٧) البجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب يشتملون به، وفى الأصل "النجاد" وهو تصحيف. (٨) المصعب: الفحل لا يركب لكرامته. (٩) أرسان: جمع رسن وهو الحبل تقاد به الدابة. (١٠) لمم: جمع لمة وهو الشعر المجاوز شحمة الأذن. (١١) جعاد: جمع جعد وهو الشعر الذى فيه التواء وتقبض.

وآستعطفته روادفُ كُثبانها[١] نِعمَ المِهادُ
ولَمَى رضابُ النحل يشـ ـهد أنَّ ريقته شِهادُ[٢]
ولربما خار الجليـ ـدُ وغُلِّطَ الرأىُ المرادُ
قد كان قبلك فى سبيـ ـل الحبِّ لى أبدا جِهادُ
حتى خبا ذاك الضرا م، وغاية النار الرَّمادُ
وإذا رأيتَ الكون فآعـ ـلمْ أن سيتبعهُ الفسادُ
وآعجب لقومٍ فى الزما ن على السفاهة كيف سادوا!!
لا عندهم كَلِمٌ تعـ ـزُّ ولا نُضارٌ يستفادُ
أستغفر الله العـ ـىَّ لقد تذأَّبت[٣] النِّقادُ[٤]

✣

وكتب إليه أيضا وقد عتب عليه بسبب أبيات كانت فى هذه القصيدة فأسقطها :

عَتَبَ الشريفُ لأن نشرتُ محاسنا مرموقةً من خُلقه وجلالِه
وزعمتُ حقًا أن بدرَ جماله زانت مطالعَه نجومُ خِصالِه
بمحاسنٍ لو كان يمكن صوغُها أغنتْ غزالَ الإنس عن خَلخالِه

---

(١) كثبان : جمع كثيب وهو تل الرمل ؛ — ويشبه الردف به — . (٢) شهاد : جمع شهد وهو عسل النحل . (٣) تذأبت : صارت كالذئاب . (٤) النقاد : صغار الغنم .

صِفة الهِـلال بدا أوانَ طلوعه أن لا يشـعَّثه زمانُ كماله
فضلُ الملاحةِ عنـد كلّ مصوِّرٍ فى الناس ليس إليـه نقصُ مثاله
عتبٌ لعمرُك ليس يَعتِب مثـلَه إلا حبيبٌ شـاءَ (١) قطعَ حباله
فآمسح جفونَك عن عقابيلِ (٢) الكرى وآنظر وصـلِّ على النبىّ وآلهِ

✦ ✦ ✦

وقال وكتب بها الى الرئيس أبى سعد بن المطّلب فى غرض :

أىُّ لبيبٍ بك لم يُخـدَعِ وأىُّ عينٍ فيك لم تدمَعِ؟!
لا أمدح اليـأسَ ولكنه أرْوحُ للنفس من المطمعِ
أفلحَ من أبصـرَ عُشْبَ المنَى يُرعَى فـلم يَـرْعَ ولم يرتَعِ
يا ليتَ أنى قبـلَ وَقْرِ (٣) الهوى أذِنتُ للعـذل على مسمعى
هل ما مضَى من عيشةٍ راجعٌ؟ وانُخلفُ كلُّ الخلفِ فى المرجِـعِ!
أين بدورٌ من بنى "دارمٍ" تبخل أن تُسفر فى مطلعِ
لا فى سِرار (٤) الشهر تبـدو لنا ولا ليالى العشـر والأربـعِ
لو لم تكن أعينُهم أسهما ما خرقَت فى جانب البرقـعِ
كيف تَخَطَّينَ إلى مقتـلى وما درَى تُرسى ولا أدرعى

---

(١) فى الأصل "ساء" وهو تصحيف . (٢) العقابيل : البقايا ، — كعقابيل المرض والعشق وغيرهما — . (٣) الوقر : الصمم . (٤) السرار : — بالفتح والكسر — آخر ليلة فى الشهر .

أودعتُهم قلبي وما خلتهم   يستحسنون الغدرَ بالمودع

صار بأيديهم وحاكمتهم   فالحقُّ حقّ وأنا المدّعى

لو زارني طيفُهمُ ما درى   من الضنا أنّى فى مضجعى

أقول للرّكبان قد أزمعوا   حجًّا إلى الأطلال والأربُع :

لبُّوا بذكرى فى "عقيق الحمى"   وذلك المصطافِ والمَربَع

وأخبروا عنّى بما شئتمُ   فإنه دون الجوى الموجع

دَرّتْ[1] على مرعاهمُ ديمةٌ   تحنو على أطفاله الرُّضَّع

غرّاءُ لو ينبُتُ شَعْرٌ بها   لأنبتت فى جبهةِ الأقرع

كلُّ سحابٍ أمطرتْ أرضهم   حاملةٌ للماء من أدمعى

وكلّ ريحٍ أزعجت تُربهم   فإنها الزفرةُ من أضلعى

أتشفع الخمسون لى عندهم؟   هيهاتَ والعشرون لم تَشفع!!

إن أمطرتْ عيناى سُحْبا فعن   بوارقٍ فى مَفرِقى[2] لُمَّع

تُريد عُمْرا وشبابا معًا   أشياءُ[3] للإنسان لم تُجمَع

سيّان عند الغانيات اكتسى   رأسُ الفتى بشيبه أم نُعى!!

يُصبغُ رأسُ الدهر من ليلِه   وصبحِه بالجَوْن[4] والأسفع

(١) الديمة : المطرة الدائمة . (٢) مفرق — كمجلس ومقعد — : وسط الرأس حيث يفرق الشعر ، والبوارق اللمع : كناية عن الشيب . (٣) هذا فى مختارات البارودى وفى الأصل شيئان . (٤) الجون : الأبيض ، والأسفع : الأسود .

نوائبٌ أضعافُ عدِّ الحصى   تجمعُ بين الضبِّ والضِّفدَعِ
تصـطلمُ (١) العفراءَ (٢) فى قفـرِها   وتفجأ العـذراءَ فى المخدَعِ
كم مرَّ بى من صَرفه حاصبٌ (٣)   لو مرَّ بالـوَرقاء لم تسـجعِ
رفعتُ من أمواجه منكِبى   حيث يشير الجون (٤) بالإصبعِ
من لم يخُض غمرتَها لم يشِدْ   قـواعدَ المجـد ولم يرفَعِ
دون المعـالى مرتـقىً شاهق   فطِـرْ إلى ذِروتِه أو قَـعِ
قل للصعاليك: أرى دينَـكم   دينى ودينَ الأسَـد الأفدعِ (٥)
إمّا قَـرَى (٦) بُرثُنُه نابَـهُ   أو ماتَ طيّانَ (٧) ولم يضرَعِ
متى أراكم كذئابِ "الغضا"   شممنَ ريح المَعِـزِ الرُّتَّـعِ
فى فتيـةٍ أكثرُ تهـويمهم   إسناد هاماتٍ إلى أذرُعِ
إن عرَّسـوا (٨) لم يعقِلوا إبْلَهـم   إلا بوفـراتٍ (٩) مع الأنسُـعِ (١٠)
مثـل نجوم الليل يُهدَى بهـم   من ضـلَّ فى الدَّيمومةِ البلقَعِ (١١)

---

(١) تصطلم : تستأصل . (٢) العفراء : الظبية البيضاء . (٣) الحاصب : الريح تثير الحصباء وتحملها . (٤) الجون : الأسود — وهو من الأضداد — ويريد به الليل ، ويحتمل أن يكون محرفا عن " الجو " ، والمراد بالإصبع الهلال . (٥) الأفدع : الذى أعوج رسغ يده أو رجله . (٦) قـرى : أطعم ؛ والبرثن : — من السباع — بمنزلة الإصبع من الإنسان . (٧) الطيان : الجائع . (٨) عرسوا : نزلوا آخر الليل ، وفى الأصل «غرسوا» وهو تصحيف . (٩) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس . (١٠) الأنسع : جمع نسع وهو الحبل من أدم . (١١) الديمومة البلقع : المفازة القفر .

يخضبُ أيديهم نجيعَ الطُّلَى (١) إن خضبَ الأقوامُ بالأيدعِ (٢)
قلتُ وهم من نشواتِ الكرى موائلٌ كالسُّجَّدِ الرُّكَّعِ :
حثُّوا مطاياكم فكم غاية قد بلغت بالأينقِ الطُّلَّعِ (٣)
وادعوا "أبا سعد" يساعدكُمُ مثلَ سنانِ الأسمرِ (٤) المشرَعِ
باعٌ طويلٌ ويدٌ طلقةٌ ومنطق يختال فى المجمعِ
إذا ارتقت أقلامُه كفَّه تهزأت بالخاطبِ المصقعِ
غدرانُه بالفضل مملوءةٌ متى يردْها حائمٌ ينقعِ
يكشفُ منه الفرُّ (٥) عن قارحٍ (٦) قد أحرز السبق ولم يُخدعِ
ليس جمالُ المرءِ فى بُردِه، جمالُه فى الحسبِ الأرفعِ
يشير إيماءً إليه الورى إن قيل : من يُعرفُ بالأروعِ ؟!
يريك ما ضمَّت جلابيبُه محاسنَ العالَمِ فى موضعِ
يُوكسُ من لا أدبٌ عنده وكس الدنانيرِ ولم تُطبعِ
أيا أخى ، والودّ أرحامُه إن تُقطعِ الأرحامُ لم تُقطعِ ،
ما بيننا من أدبٍ جامعٍ أقربُ من والدةٍ مُرضعِ

---

(١) الطلى : الأعناق ، واحدها : طلية . (٢) الأيدع : الزعفران . (٣) الطلع : جمع طالع وهو الذى به غمز يشبه العرج . (٤) الأسمر : الرمح . (٥) الفر : الكشف عن أسنان الفرس وغيره لتعرف سنه . (٦) القارح — من الخيل — بمنزلة البازل من الإبل .

لُبانةٌ لى هى إن تقضِها   صنيعةٌ فى موضع المصنع
ورائدٌ مثلك مستودَعٌ   أهليه فى أحفظِ مستودَع
ألا آبلغا عنّى الذى شكره   صريرُ[1] رحلِ الراكب المُوضِع[2]
مَن تصدُر الآمالُ قد أُترِعتْ   مَزادُها من حوضِه المترَع
لا خُلِّبٌ بارقُ معروفِهِ   ولا سحابُ البيد بالمُقشِع
إن أنتَ شبّهتَ به غيرَه   سوّيتَ بين النَّبع[3] والخِروَع[4]
ما بالُ أعدائى ملّكتَهم   عِنانَ رأس السابِحِ الأتلع[5]
يرمون حبّى بحَصَى زُورهم   رمىَ جِمارِ الحَجّ باليَرمَع[6]
كلُّ فمٍ ينفُثُ بى قَرلةً   أسلمُ منها لسعةَ الشَّبْدَع[7]
علىَّ صاروا عند نُصحى ولو   عملتُ بالغِشّ لكانوا معى
وآستعطِفِ الرأى ليرجِعْ به   من رجَعَ الشمسَ الى "يُوشَع"
فأنتَ أهدَى فى طريق العلا   من القَطا فى اللاحِبِ[8] المَهيَع[9]
وآظفَرْ بها لو أدركتْ "ثعلبا"   أنسته ما يُروَى عن "الأصمعى"
أمسِ رأينا قائلا سامعا   واليوم قد أعوزنا من يعى

(١) الصرير : صوت الباب وغيره . (٢) الموضع : الذى يسير الإيضاع وهو ضرب من السير السهل السريع . (٣) النبع : شجر ينبت فى أعالى الجبال تتخذ منه القسى . (٤) الخروع : كل نبت ضعيف . (٥) الأتلع : الطويل العنق . (٦) اليرمع : حصى بيض رخوة . (٧) الشبدع — بكسر الدال وفتحها — : العقرب . (٨) اللاحب : الطريق الواضح . (٩) المهيع : الواسع .

وقال يعاتب بعض رؤساء العصر فى نبوة جرت بينهما :

أؤمل بعد هذا الأسر حلًّا — وجد نوائب الأيام هزلا
وأعلم أن جور الدهر طوعا — سيعقب بعده بالكره عدلا
يقول لى اصطبارى : قف رويدًا — فأى سحائب الغمرات تجلى
ليالٍ خابطاتٌ فى سراها — وما تدرى أصبن القصد أم لا!
وأيامٌ تراكضُ فى مداها — كأن وراءها طردا وشلًّا
فمن راغمنه رجع الهوينا — ومن أخطأنه بلغ المحلّا
فكم أفقرن بالبؤسى غنيًّا — وكم أغنين بالنعمى مقلّا
تراها خيرت فيا لديها — فما اختارت سوى لهن شغلا!!
سهامٌ مؤلماتٌ كل يوم — تصيب ولا أرى ريشًا ونصلا
ولو كانت نبالُ "بنى هذيل" — لبست لهن سابغةً رفلا (١)
وما ذنبى إليها غير أنى — جمعتُ محاسنا وحويتُ فضلا
فلولا أننى أرعى فؤادى — بأودية الأمانى متُّ هزلا (٢)
أعدُّ ذنوبها بيدى، ومن ذا — يعدّ "بعالج" و"الخبت" رملا (٣)

(١) السابغة الرفل : الدرع الطويلة . (٢) الهزل : الضمور . (٣) عالج والخبت : موضعان مشهوران بكثرة الرمال فيهما .

إذا ما شئتَ أن تحيا سعيدا　　فقل : لا تؤتِنى يا ربِّ عقلا
فما عيشُ الوحوش بخير عيشٍ　　به طـابت به حُمقا وجَهـلا
تُبثُّ لها الحبائلَ وهى ولْهَى　　تجاوِبُ باغِمـا (١) وتُربُّ (٢) طِفـلا
وما للمرء خـيرٌ فى حياةٍ　　إذا أمسى على الإخـوان كَلّا (٣)
لقـد خلعَ التصـابىَ مستجدٌّ　　نُصولُ عذراه غِمـدًا مُحلَّى
تقِلّ عن الغـرام وأنتَ طِفلٌ　　وتكبُرُ عن طلابِ اللهو كهلا
وفيما بين ذاك وذا شبابٌ　　تمانعك الأحبَّـةُ فيه وصـلا
فأىُّ زمانك الحُـلوُ المهنَّـا　　وأى قِداحِك القِـدحُ المُعلَّى (٤)
لذاك بدأتُ بالهجران «هِندا»　　كما عاجلتُ بالسلوان «جُمْلا»
وصرتُ إذا رأيتُ الظبى يرنو　　كأنى ناظـرٌ ليثًا مُـدِلّا
إذا ما هزَّ فى بُردَيْه عِطفا　　هززتُ عليه من كفّى نَصلا
طـروبٌ للوشـاة إذا أعادوا　　عــلىَّ ملامةً فيــه وعَذلا
وأحسنُ من قدودِ البِيض تهفو،　　قــدودُ السُّمر فى الهيجاء تجُلَى
فــلا تَبرِقْ لىَ الحسناءُ ثَغرا　　ولا تُرسِـلْ على المَتنين جَثْلا (٥)
ولا تنفُثْ بسِـحرٍ فى جفونٍ　　حلَتْ عقودَها كَحْـلًا وكُحْلا

(١) الباغم : الظبي . (٢) ترب : تربي . (٣) الكل : الثقل .
(٤) المعلى : سابع سهام الميسر . (٥) الجثل : الشعر الكثيف .

على أنّ الهــوى فى كلّ قلبٍ ألذُّ من المنَى طَعما وأحــلَى
فلا يغــرُرْك من ينجو سليمًا ولا تحسبْ عِلاجَ الحبّ سهلا
ولكنّى آستعنتُ على فؤادى بأصــنافِ الرُّقَى حتى أبَلَّا (١)
وحذّرنى من الأحبابِ أنّى رأيتُ دمًا «لعُروةَ» (٢) كيف طُلَّا
أقلنِى من ظبــاء "بنى عَدى" فــا أخشى ظباءَ الإنس كلَّا
فهنّ إذا غَزوْنَ إلى قبيلٍ أسرن مُعاهــدا وقتلن خِلّا
وما أهوَى سوى البَيداء دارًا وأفراسًا تَضيعُ (٣) بهــا و إبلا
وأسمرَ يرعُد الأنبوبُ منــه غداةَ الروع خوفا أن يَزلّا
وأبيضَ تحسبُ الطُّبّاعَ بثّتْ على مَتنيه والحَدّين (٤) نملا
وممشوقٍ من الفِتيانِ يُدعَى لكلِّ عظيمةٍ فيجيب : هَــلّا
كأنّى فى الضحى أرسلتُ صقرا وفى جُنح الدجى سِمْعا (٥) أزَلّا (٦)
أشير له فيفهمُ وَحىَ طرفى وخيرُ القول ما إن قــلّ دلّا
(أنا آبن جلا وطــلّاعُ الثنايا) (٧) وصاحبُ سيرةٍ تروَى وتُملَى
تحكّكْ «بالرئيسِ» وفز بشكرى وحقًّا تطلُبُ الحــرباءُ (٨) جِذْلا (٩)،

(١) أبل : شــفى . (٢) عروة بن حزام : أحد الذين قتلهم الحب . (٣) كذا بالأصــل ولعلها محرفة عن تصــيح أو تمج وما الى ذلك . (٤) فى الأصل « الخــدين » . (٥) السمع : الذئب . (٦) الأزل : الخفيف الوركين السريع . (٧) من قول سحيم بن وثيل الرياحى وقد استشهد به الحجاج وتمام البيت . * متى أضع العمامــــة تعرفونى * (٨) فى الأصل «الحرباء» وهو تصحيف . (٩) الجذل : أصل الشجرة، أو هو عود ينصب للجربى تحتك به .

تلاقِ المجـــدَ برّاقَ المُحيَّــا وثغرَ الجُـود يضحَك مستهِلّا

ومطـــروقَ الفِنــاءِ لزائريه تقولُ كلابُه : أهـــلا وسهلا

شمائلُ تسرِق الأفواهُ منهـا وتفضَح بٱمتحانٍ من تحــلَّى

وهبْ أنّ الرجالَ حكتْه قولا فهـــل يحكونه قـــولا وفعلا ؟ !

يطوفُ الوفدُ فى الآفاق حتّى تُحَـطَّ به الرحائلُ حيثُ حلَّا

إذا نزلوا فمــا لهـــمُ ٱرتحالٌ ومن ذا يجتوى بَرْدًا(١) وظِـــلَّا

وكلُّ فضيلةٍ ذُكِرَتْ لقـــوم رأوه بذكرِها أحرَى وأولَى

هو البطلُ الذى خَصَم الليالى فبيّنَ فى وقائعهـا وأبلَى

يحيـد خُصومه(٢) عنه، ومَن لا يخافُ الليثَ أقبـلَ مصمئلًّا(٣) !

يَروع بصمتِه من شاءَ منهــم وتخشَى الطيرُ بازيا تجـلَّى(٤)

شهدتُ بأنه الدرُّ المصـــفَّى وأنفسُ قيمـــةً منــه وأغلَى

وقالوا : هل سواهُ بقِى أناسٌ يليقُ بها المديحُ ، فقلتُ : كلَّا !

بـلى يا ربمــا نُســبوا ٱدعاءً إلى كرم كما نُسِبَ « المُعلَّى »(٥)

ألَا يا أيّهــا الرحبُ الســجايا ومن يسقِى بكأسِ الجود علَّا(٦)

---

(١) يجتوى : يكره . (٢) فى الأصل «خصومة» وهو تصحيف . (٣) المصمئل : المنتفخ غضبا وشدة . (٤) تجلى : نظر الى الشىء مشرفا . (٥) فيه إشارة الى قول أبي على البصير :

لعمر أبيك ما نسب المعلى الى كرم وفى الدنيا كريم

(٦) العل : الشرب الثانى ، والأول : النهل .

عهِدتُ نداكَ يورِقُ منه عُودِى وَيُمْرِعُ إن شكت كفَّاىَ مَحْلَا
وما زالتْ عُلاكَ أَحُلُّ منهـا رُبَى من رامنى فيهنّ زلَّا
وكم لكَ من أيادٍ قد تشكّتْ اليـك مناكبى منهنّ ثِقْـلا
نظمتُ من الثناءِ لها "زَبورا" لفرطِ الحسن فى المِحراب يُتلَى
فمـا لى يثـلِمُ الأعداءُ حدّى ويختـلق الوشاة علىّ بُطـلا!
ويرمونى بزور القـول حتّى تمنَّى جانبى لو كنَّ نَبْـلا
فيـا للهِ حيث وضعتُ جنبى أمارسُ عَقـربا منهم وصِـلًّا (١)!
محـالُهُـمُ يمُـدّ الىَّ باعا وباطلُهـم يحُـطُّ علىَّ رِجلا
خُصـومٌ ينظـرون إلىَّ شَزْرا ومن ذا يقهَـر الخصمَ المُـوَلّى
ولو لم أشجُهـم (٢) بدَمى ولحمى لقـد أفنَوْهمـا شُربا وأَكلا
ولا واللهِ ما قارفتُ ذنبًا ولا جذّت يدِى للنصح حَبلا
ولا آستذكرتُ ما أوليتَ إلا رأيتُ خيانتى والغـدرَ بَسْـلا (٣)
وأُقسم "بالمطايا مُشعَراتٍ (٤)" غداة النحر قد خُلخِلن (٥) عُقْـلا (٦)،
و"بالغُبر الأشاعثِ (٧)" لا دِهانٌ تُرَجِّلهم (٨) ولا "الهاماتُ (٩)" تُفلَى،

(١) الصل : الثعبان . (٢) أشجهم : أغصصهم بالشجا وهو ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه .
(٣) البسل : الحرام . (٤) المشعرات : البدن المعلمة وهو أن يشق جلدها أو أن تطعن أسنمتها لتعرف أنها من الهدى . (٥) خلخلن : ألبسن فى موضع الخلاخيل . (٦) عقل : جمع عقال وهو ما تربط به الدابة . (٧) الغبر الأشاعث : الإبل المغبرة المتلبدة شعر الرأس .
(٨) رجل الشعر : سرحه . (٩) هامات : جمع هامة وهى الرأس .

و"بالجمرات" تحذِفُ "أخْشَبَيْها"(١) أنامِلُ تبتغى منًّا وفضلا،
و"بالحرمين" تملأُ عَرْصَتَيْها من الآفاقِ ركبانٌ ورَجْلى،
و"بالبيتِ المقدَّسِ" والموفَّى قِرى الأضيافِ عنه "والمصلَّى"،:
بأنى ما لبستُ الغشَّ ثوبا ولا أسكنتُ قلبى فيك غِلَّا
وما هى غيرُ أقوالٍ تُوشَّى ولستَ ترى لها فرعا وأصلا
وأنت الحاكمُ العدلُ القضايا إذا حار آمرؤ فيما تولَّى
أعوذ بحسن رأيك منك فيها وأن ألقَ من الحُصماء خبلا
فإن حزَّ الفَواري(٢) فى أديمى فلا عيبٌ إذا ما السيفُ فُلَّا

وقال يمدحه:

لقاؤك يا "لُبنَى" لقاءُ خيالِ فما منكما إلا غريمُ مِطالِ
مواعيدُ كاليقظى خوالبِ بارقٍ وضُمّانُهُ الوسنَى تخيُّلُ آلِ
وإنى وإن جرَّت زمامى عواذلى لأتبعُ فيكِ باطلى وضلالى
وأعلمُ أن الحبَّ موقفُ طاعةٍ يُجابُ به للشوق كلُّ سؤالِ
ومن ظنّ أن العذلَ يقتنص الجوى فقد قاده صعبا بغير عقالِ

(١) الأخشبان — بصورة التثنية — : جبلان بمكة، اسم أحدهما: أبو قبيس؛ والآخر: الأحمر، وفى الحديث «لا تزول مكة حتى يزول أخشباها» وهما من المثنيات التى لا تفرد، كالرافدين لدجلة والفرات.

(٢) الفوارى: اللواتى يقطعن الأديم — وهو الجلد — ويشققنه على جهة الإفساد.

لأنتَ أطبُّ الناس إن كنتَ قادرا   على بُرء داءٍ بالفؤاد عُضالِ
وصفتَ لسقمى قُبلةً واعتناقةً   وذاك شفاءٌ فى رءوس عَوال (١)
إذا لم يذُق شيئا سوى الهجر عاشقٌ   فمن أين يدرى كيف طعمُ وصالِ!
جهولٌ بشأن الغانياتِ مسلّم   عليهنّ فى شَيبٍ ورقّةِ حالِ
لبِسن لنا دِرع الصدود كأنما   نراميهُمُ من شَيبنا بنصالِ (٢)
ليالى الشبابِ هنّ أيامُ غُرّةٍ   وأيامُ شَيبِ المرء هنّ ليالِ
وددتُ وإن كانت من العمر تقضى   لو آن بواقيها تكون حَوالى (٣)
ولى فى بيوتِ «العامريّةِ» حاجةٌ   هى الماءُ فى عَضْبٍ (٤) حديثِ صِقالِ
زعمتُ البدورَ والشموسَ ظِباءَهم   فلا تُنكروا فيهنّ بُعْدَ مَنالِ
تطلّعنَ من سُود البيوتِ كأنما   تَطلّعَ بَيْضٌ بين زِفٍّ (٥) رِئالِ (٦)
وما حاجةُ الغَيْرانِ فيهم إلى القنا   وقد منعتْ منهم عِصِىُّ حِجالِ (٧)
كما قد حمت نفسُ "ابنِ مَروانَ" مجدَه   بأبيضِ عزمٍ أو بأحمرِ مالِ
مضىءُ نواحى الوجهِ، يمُزجُ بِشره   بخَمرِ حياء فيه ماءُ جَمالِ
نسيبُ المعالى، ليس تدعوه حاجةٌ   الى صيتِ عمٍّ أو نباهةِ خالِ

---

(١) عوال: جمع عالية وهى أعلى القناة. (٢) نصال: جمع نصل وهى حديدة السيف والرمح والسهم. (٣) حوال: جمع حالية وهى التى عليها حليها. (٤) العضب: السيف القاطع. (٥) الزف: ريش النعام. (٦) رئال: جمع رأل وهو ولد النعامة (٧) حجال: جمع حجلة وهى بيت يزين بالستور للعروس.

إذا افتخر الإنسانُ يوما ببُردِهِ (١) ... فما بُردُه إلا كريمُ خصالِ
شبيبةُ عزمٍ واكتهالُ بصيرةٍ ... وتحريمُ عِرضٍ وانتهابُ نوالِ
شمائلُ لو يُنظمنَ أغنَى نظامُها ... نحورَ الغوانى عن عُقود لآلى
وما جاذبوه الفخرَ إلا وحازه ... بأيدٍ الى نَيل العلاء طِوالِ
صنائعه فى الناس ترعَى سَوامُها ... أزاهيرَ شكرٍ فى رياضِ مَعالِ
ومِن عشقهِ المعروفَ أعطَى قيادَه ... سؤالَ نجحٍ أو سؤالَ دلالِ
كذا السُّحْبُ يَسقِى كلَّ أرضٍ قِطارُها ... بريح جَنوبٍ مرّةً وشَمالِ
ليهنِك آلاءٌ ضمِنتَ وفاءَها ... من الجود حتى بات ناعمَ بالِ
وأنك بالنُّعمَى التى قد بثثتَها ... ملكتَ من الأحرار رِقَّ مَوالِ (٢)
فلله ماضٍ من لسانك إنه ... لنعمَ لِزازُ (٣) الخصم يومَ جِدالِ
ولله ما ضمَّت بنانُك إنها ... قناةُ طِعانٍ أو خبيئةُ ضالِ (٤)
فِناؤك للعافين بَعلُ أراملٍ ... ونارُك للسّارينَ أُمُّ عيالِ
عهدتُك تلقَى كلَّ مرءٍ بقيمةٍ ... وما كلُّ أعلاقِ الرجال غَوالِ
فلِمْ أنا فى ميزان عدلك كِفّتى ... تشِفُّ (٥) اذا قابلتَها بمثالِ
ويرجحُ أقوامٌ كأن جباهَهم ... نِعالٌ لما زيَّنتَها بقِبالِ (٦)

(١) البرد: الثوب . (٢) موال: جمع مولى وهو العبد . (٣) اللزاز: شدة الخصومة . (٤) الضال: جمع ضالة وهى السلاح أجمع، وقيل السهام . (٥) تشف: تنقص . (٦) القبال: زمامة النعل بين الإصبع الوسطى والتى تليها .

نصيبى من الأموال ما يُمسك الدِّبَى ... وحظِّى من النيران حَظُّ ذُبالِ (١)

ولولاك ما كانت "لطآما" (٢) موقفى ... ولا أرضُ "بَاجِسْرا" (٣) محطَّ رحالى

مقيما بها كالسيف أُلزِمَ غِمدَه ... وقد كان يرجو الرىَّ يوم نزالِ

ولو أُطلقت حدّاه وآستُلَّ فى الطُّلَى (٤) ... براها بيمنى ضارب وشمالِ

وما ينفع الطِّرفَ المطهَّمَ (٥) سبقُه ... إذا كان محبوسا بضيقِ مجالِ

أرى كلَّ مشنوءِ (٦) الخليقةِ واصلا ... قِصارَ حبال عجزه بحبالى

تماثيلُ كالأنعام أبقاتِ الربى ... لها فغدت فى رعيةٍ (٧) وصِيالِ

وإنّ زمانا ضمَّ شملى وشملَهم ... لكالليل مَسرَى ضيغم ونمالِ

ستعلمُ من منّا إذا بعُد المَدَى ... عليه، تشكَّى من وجًى (٨) وكَلالِ (٩)

وتفرُقُ ما بينى هناك وبينهم ... وكيف تُسوَّى بُزَّلٌ (١٠) بِفِصالِ (١١)

وما كنتُ أرضَى أن تكونَ ديارُها ... ديارى ولا تلك الرحالُ رحالى

ولكنّى ركّابُ ما أنا قائد ... ولو ظهر مجزولِ (١٢) السَّنامِ (١٣) ثَقالِ (١٤)

---

(١) الدبى : النمل ؛ والذبال : الفتيلة . (٢) كذا بالأصل ولم نوفق إلى تصويبها .

(٣) باجسرا – بكسر الجيم وسكون السين وراء والقصر – بليدة فى شرق بغداد كثيرة النخل عامرة .

(٤) كذا بالأصل . (٥) الطرف المطهم : الجواد التام الحسن . (٦) المشنوء : المبغض المكروه . (٧) فى الأصل هكذا «رعيه» . (٨) الوجى : الحفا . (٩) الكلال : التعب والإعياء . (١٠) البازل – من الإبل — : المسن . (١١) الفصيل : ولد الناقة يفصل عن الرضاع . (١٢) المجزول : الذى قطع القتب غاربه . (١٣) السنام : ما ارتفع من ظهر البعير . (١٤) الثقال : البطىء .

وقد يُرتعى حَمْضٌ(١) وفى الأرض خَلّةٌ ... ويُشرَبُ ماءٌ وهو غيرُ زلالِ
وتسكنُ خفضَ الأرض أُسْدُ خفيّةٍ(٢) ... وتسمو الوعولُ فى رءوس جبالِ
وما هو الإ ذنبُ دهرٍ معاندٍ ... يرى بُرءَ أهل الفضل غيرَ حلالِ
ويارُبما أعطَى الأمانىَّ قانطا ... فقد تلقح العقماءُ بعد حِيالِ(٣)

✦ ✦ ✦

وقال يهنئه بخلاصه من الاعتقال(٤) :

إحدَى الكواعب من «بنى نصرٍ» ... شهِد الظلامُ لها على البدرِ
كالبَيْض تحضُنه نعائمه، ... بيضاءُ فى كِلَلٍ(٥) من الشَّعرِ
سكرَى اللواحظ وهى صاحيةٌ ... فدموعها فنٌّ من الخمرِ
ما خِلتُ أنّ بياضَ مقلتِها ... وسوادَها صُحُفٌ من السِّحرِ
بَسَمتْ وقد برزتْ قلائدُها ... فرأيتُ ما فى النحرِ فى الثغرِ
ومن العجائبِ أن تصادف فى الـ ... ـعذب الزُّلال لآلئَ البحرِ
كيف اهتديت لحبّ ظالمةٍ ... وثَبَ الغرامُ بها على الصبرِ
جَمّشتُها(٦) فنبَتْ ، فقلتُ لها : ... أهوِيتُ أطلبُ معدِنَ التبرِ؟

(١) الحمض : ما ملح وأمر من النبات وهو كفاكهة للإبل تأكله عن سآمتها من الخلة وهى ما حلا من النبات . (٢) خفية : أجمة من سواد الكوفة تنسب اليها الأسود؛ وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (٣) الحيال : العقم . (٤) فى مختارات البارودى : «وقال يمدح ابن فضلان ويهنئه بخلاصه من السجن ويستنجزه وعدا» . (٥) كلل : جمع كلة وهى ما يغطى به الهودج . (٦) جمشتها : داعبتها .

ضُربتْ بأسنمةٍ (١) قِبابهمُ   وكأنّها فى ساحة الصدرِ
بيضٌ وسُمرٌ فى خيامهمُ   ممنوعةٌ بالبيضِ والسُّمرِ (٢)
بدم المحبّ يباع وصلُهمُ   فمن الذى يبتاع بالسعرِ
لو كان غيرُ الحب (٣) جيشَهمُ   ألفيتَهم فى جحفلٍ مَجْرِ (٤)
هجروا وهجرُهمُ على دَخَلٍ (٥)   فلأجل ذلك طيفُهم يَسرى
وَهب الظلامُ لنا محاسنَه   وأظنُّ مرسلَه بنا يدرى
حتى إذا الإصباحُ أيقظَهُ   ولَّى يُؤذِّن فيه بالغدرِ
ياليلةً «بالرمل» قصَّرها   حلُّ العناقِ (٦) معاقدَ الخُمُرِ (٧)،
كادت خُطانا أن تنمَّ على   آثارنا وطُمِسنَ بالأُزُرِ،
ورأت كلابُ الحىّ ريبتَنا   فكُفِفنَ عن نبحٍ وعن هَرٍّ:
فُضَّت خواتيمُ السرور بها   واللهوِ حتى مطلعِ الفجرِ،
لولا التحرُّجُ والغلوُّ لما   أُسْميتِ إلا ليلةَ القدرِ
والليلُ عِقْصَتُه (٨) قد آنتشرت   ورمتْ مَدرای (٩) الأنجمِ الزُّهرِ

(١) أسنمة: جمع سنام وهو أعلى ظهر البعير. (٢) المراد بالبيض والسمر الأولين: الجوارى الحسان، وبالأخريين: السيوف والرماح. (٣) كذا فى الأصل ولعلها «الحسن». فحرفت عنها. (٤) الجحفل المجر: الجيش العظيم. (٥) الدخل: الغش والخداع. (٦) كذا فى مختارات البارودى، وفى الأصل «العتاب». (٧) الخمر: جمع خمار وهو كل ما غطى رأس المرأة. (٨) العقصة: الضفيرة. (٩) المدارى: جمع مدراة وهى المشط.

"والنسرُ"(١) قد أعيت قوادمُه — والغربُ يجذبه إلى وكرِ
وهوتْ من "الجوزاء" منطقةٌ — زهراءُ لم تُعقد على خصرِ
ورمى "الثريّا" من معلّقها — سبقَ "السِّماك"(٢) وحربةَ "الغَفْرِ"(٣)
فكأنّها والشمسُ تجمعها — رهطٌ قد آزدحموا على سِرِّ
مثل العذارى من تعنّفها — تستصحبُ الدَّبرانَ(٤) كالحدرِ
"وهلالُها" تحكى آستدارتُه — عَقدَ التمام لعِدّة الشهرِ
وعلى "المجرّة" أنجمٌ نُظمتْ — مثلَ الفَقارِ(٥) نُسقن فى الظهرِ
هذى حَبابٌ(٦) فوق صفحتها — طافٍ، وهذا جدولٌ(٧) يجرى
كَيدِ "آبن فضلانٍ" غمائمُها — تغدو ببذل الوفر أو تسرى
إن حلّ فى بيداءَ أو بلدٍ — نابت سحائبه عن القَطْرِ
أىُّ المكارمِ قد تأبّطها — وعزائمٍ فى ذلك الصدرِ؟!
طهُرت من الأحقادِ نيّته — والقلبُ مغسول من الغِمْرِ(٨)
لامُوه فيما أتلفتْ يدُهُ — فرأى المحامدَ أنفسَ الذُّخرِ

---

(١) النسر: يشير بذلك إلى كوكبين: يقال لأحدهما: النسر الطائر، وللآخر: النسر الواقع.
(٢) يشير بذلك إلى كوكبين يقال لأحدهما: السماك الأعزل، وللآخر: السماك الرامح. (٣) الغفر: ثلاثة أنجم صغار ينزلها القمر وهى من الميزان. (٤) الدبران: منزل من منازل القمر؛ ولم تتبين معنى هذا البيت. (٥) الفقار: عظم سلسلة الظهر. (٦) الحباب: ما يعلو على وجه الماء من الفقاقيع. (٧) الجدول: النهر الصغير. (٨) الغمر: الحقد والغل.

إن قال فالسيفُ الحسامُ مَضى ... أو صال أفنى الليثَ بالذرّ

ما إن أرى فى الناس من أحدٍ ... إلا يُمُتُّ إليه بالشكرِ

حتى كأن الأرضَ طبّقها ... بغمائم نشأت من البرّ

قد مارس الأعداءُ شدّته ... فٱستسلموا لليث ذى الأجرى (١)

وكوت مياسِمُه (٢) قلوبَهم ... والكىُّ مشفاةٌ لذى العرّ (٣)

إنّ الشدائدَ مذ عُنين به ... قارعن جُلمودا من الصخرِ

حمَل النوائبَ فوقَ عاتقه ... حتى رجعن إليه بالعُذرِ

وبوائقُ (٤) الأيّام عاديةً ... لاقين منه دامىَ الظُّفرِ

لا تنكروا حَبْسا ألمَّ به ... إن الحسانَ تُصان بالخدرِ

والغِمدُ ليس تُفاض بُردتُه ... إلا على الهندىّ (٥) ذى الأثرِ (٦)

إن حجّبوه فكلُّ ذى شرفٍ ... يعتزُّ بالبوّابِ (٧) والسّترِ

يغشى الكسوفُ الشمسَ إذ عظُمت ... ويعافُ ضوءَ الأنجم الزُّهرِ

قد يستسِرُّ (٨) البدرُ ليلتَهُ ... ليَتِمَّ ليلةَ (٩) رابعَ الشهرِ

---

(١) أجر : جمع جرو وهو شبل الأسد . (٢) الميسم : المكواة يوسم بها الحيوان . (٣) العر : الجرب . (٤) بواثق : جمع بائقة وهى الداهية . (٥) الهندى : السيف — منسوب الى الهند — . (٦) الأثر : جوهر السيف ورونقه . (٧) فى الأصل «النواب» وهو تصحيف . (٨) استسر : اختفى ليلة أو ليلتين فى آخر الشهر . (٩) كذا بالأصل وبمختارات البارودى ومراده : الليلة الرابعة عشرة من الشهر .

أَوَ ليس «يوسفُ» بعد محنته ... نقلوهُ من سجن إلى «مصرِ» (١)

لَمَرقتَ منها مثلما ٱنكدرت (٢) ... فَتخاءُ (٣) ترمي الطيرَ بالذُّعرِ

وصبرتَ حتى ٱنجابَ غيهبُها، ... إنَّ النجاءَ عواقبُ الصبرِ

تُنسى مرارةُ كلِّ نازلةٍ ... بحلاوةٍ فى النهى والأمرِ

وإذا الأغانى حنَّ مِزهرُها (٤) ... وَلَّى حنينُ النابِ (٥) والبَكرِ (٦)

وإذا تولَّى الشيءُ تكرهُه ... فكأنَّه ما دار فى سِرِّ

حمدا وشكرا للإله على ... ما قد حباك وواجب النَّذرِ

وكأننى بك فوق غاربها ... متسنِّما فى ذِروة الفخرِ

يرمى العلاءُ اليك مِقودَه ... لا ينثنى بغماغم (٧) الزَّجرِ

إنّ العظائمَ ربّما بُلغت ... بالهَوْن لا بالكرِّ والفرِّ

وكذا الألوفُ على تفاوتها ... محسوبةٌ بأناملٍ عَشْرِ

أنا من يُغالِى فى محبّتهِ ... وولائه فى السرِّ والجهرِ

ما ذاق طعمَ النوم ناظرُهُ ... حتى البشيرُ أتاه بالبشرِ

ولك الأيادى لستُ أذكرها ... إلا يجيشُ بحمدها صدرى

هى نِعمة ليديك أشكُرها ... طولَ الزمان وآخرَ العَصرِ

(١) يشير : الى قصة سيدنا يوسف عليه السلام وهى أشهر من أن تذكر . (٢) انكدرت : انحدرت . (٣) الفتخاء : العقاب . (٤) المزهر : العود . (٥) الناب : الناقة المسنة . (٦) البكر : الفتىّ من الإبل . (٧) غماغم : جمع غمغمة وهى الصوت .

قد كان وعدٌ منك أقسم لى ... بعلاك : أنك مصلحٌ أمرى
وإخال أنك لستَ ناسيةً ... لكننى آستظهرتُ بالذِّكر
قد حزّت الأيامُ فى كبِدى ... وأطاف بى مسٌّ من الضُّرّ
وسئمتُ عتبى كلَّ نائبةٍ ... ومللتُ ما أشكو من الدهرِ
وإذا جذبتَ إليك من ضَبعِى (١) ... طاعنتُها بأسنَّةِ القهرِ
وصرفتَ عنِّى كلَّ نائبةٍ ... صرفَ الهموم سلافةُ الخمرِ
أهدت لك النَّعماءُ أنفسَها ... من عانس (٢) أو عاتقٍ (٣) بِكرِ
وخَطتك أحداثُ الزمانِ ولا ... برِحتْ رِباعَك (٤) ديمةٌ تجرى
لولاك فى الدنيا لما آعترفوا ... للأكرمين بها سوى الذكرِ

✦

وكتب إليه يعزّيه عن أخيه :

عزاءً، فما يصنع الجازعُ ؟ ... ودمعُ الأسى أبدا ضائعُ
بكَى الناسُ من قبلُ أحبابَهم ... فهل منهمُ أحدٌ راجعُ ؟!
عرفنا المصائبَ قبلَ الوقوع ... فما زادنا الحادثُ الواقعُ

(١) الضبع : — بسكون الباء — العضد . وربما حركت للضرورة . (٢) العانس : الجارية فاتت سن الزواج . (٣) العاتق : التى لم تتزوج ؛ وقيل : هى التى بين الإدراك والتعنيس ؛ أو هى الجارية أول ما أدركت ؛ وفى الأصل «علق» وهو تحريف . (٤) رباع جمع ربع وهو البيت .

ولكنَّ ما ينظـر الناظرو ... نَ ليس كما يسمعُ السامعُ
يُدَلَّى ٱبنُ عشرين فى لحـدهِ ... وتِسعون صـاحبُهـا رائعُ
وفى رأس ذا أسـودُ حالكٌ ... وفى فـرع ذا أبيضٌ ساطعُ
ليعـلم من شكَّ أن المنو ... نَ هـوجاءُ(١) ما عنـدها شافعُ
وإن هُنَيـدةَ(٢) من عاشَهـا ... لفى عيشـةٍ بعـدها طامعُ
فقل لىَ: ما السرُّ فى ذى الحيا ... ة تهـوى وطائرُهـا واقـعُ ؟
يهيم عليها الكسوبُ الحريصُ ... ويعشقهـا الساجدُ الراكعُ
وللمرء، لو كان يُنجى الفـرا ... ر، فى الأرض مضطرَبٌ واسعُ
ومَن حتفُـه بين أضلاعـه ... أيمنعـه أنّه دارعُ(٣) ؟
وكلُّ أبىٍّ لداعى الحِمـام ... متى يـدْعُه سـامعٌ طائعُ
يسـلِّم مهجتَـهُ سـائمـاً(٤) ... كما مـدَّ راحتَـه البائعُ
وحى « الضَّيزَن » عن متنـهِ ... و« حسَّانُ » أسلمه « فارعُ »(٥)

(١) الهوجاء: الريح الشديدة التى تقتلع البيوت . (٢) هنيدة: مائة سنة . (٣) الدارع: الابس الدرع . (٤) السائم: عارض السلعة لبيعها ؛ وفى الأصل هكذا «سامحا» . (٥) كذا بالأصل وقد كتب أمام هذا البيت على الهامش « فى الأصل » والمراد أن ناسخ الديوان لم يوفق الى صحة هذا البيت فاضطر الى أن يذيه عنه ؛ والضيزن: ملك الجزيرة وكان له حصن منيع يقال له: الحضر — بفتح الحاء وسكون الضاد — . وفارع: حصن بالمدينة كان لحسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن هذا الشرح الوجيز يمكننا أن نقول: لعل الشاعر أراد

رَمَى "الضَّيْزَنَ" "الحَضْرُ" عن مَتْنِهِ * وحَسَّانُ أَسْلَمَهُ "فارِعُ"

وفى الأصل «قارع» وهو تصحيف .

وهبّت على «تُبَّعٍ»(١) نفحةٌ ... فلم يبقَ من رهطهِ تابعُ
ولو أنّ من حَدَثٍ سالما ... لما خَسَفَ القمرُ الطالعُ
ولا صِيدَ فى شَرَكِ النائباتِ ... فتًى لشروطِ الفتى جامعُ
غلامٌ كأنبوبةِ السمهرى(٢) ... تُعيى اذا رامها الصادعُ
شمائلُهُ مثلُ نَوْرِ الرّيا ... ضِ تَمْنَمَها باكرٌ هامعُ
تكاد تبكّى عليه الغصونُ ... اذا ناح قُمريُّها الساجعُ
عجبتُ لذاك الحُلىِّ المصوغ ... لنا كيف يُفسده الصانعُ
تخرَّمه ورُواءُ(٣) الشبا ... بِ لم يدرِ كم طولهُ الذارعُ
على حين أُفرغَ فى قالَب الـ ... جمال، ورونقُه الطابعُ
وكيف توقِّى(٤) الفتى ما يخافُ ... اذا كان حاصدَه الزارعُ
ومن فوقهِ ظُلَّلٌ كالغمامِ ... ومن تحته جبلٌ مانعُ
وأقرانُ «فضلانَ» فى عزّةٍ ... يدور بها الفلكُ السابعُ
ولو شاء قصّر باعَ الردى ... فلم يرمِهِ الساعدُ النازعُ(٥)
ولكنّه جاء، سائلا ... فجاد به صدرُه الواسعُ
أأسرفتَ فى الجودِ حتى آستما ... حَ أحبابَك الزمنُ الخادعُ ! !

---

(١) تبع : واحد التبابعة وهم ملوك اليمن . (٢) السمهرى : الرمح — منسوب الى سمهر وهى بلدة بالحبشة — . (٣) الرواء : الحسن والرونق . (٤) فى الأصل « توف » وهو تصحيف . (٥) النازع : الذى يمد القوس للرمى .

وقال يعزّيه عن أخته :

يَرُوحُ ويغـدو علينا الحِمامُ　　وكلُّ النواظرِ عنـه نيامُ
على شِـيَمِ النَّعَـم الراتعا　　تِ يُعقَر هـذا وهـذا يُسامُ
ولا فـرقَ ما بيننا فى القيا　　سِ إلّا العقولُ وهذا الكلامُ
كفى بالممـات لنا مُفنيًا،　　فمن أجل ماذا تُراشُ السهامُ!!
وتُعتقَـلُ الذابلاتُ (١) الطِّوالُ　　ويُحمَلُ ذو الشَّفرتين الحُسام!!
كأنّا خُلقنا لريبِ المنونِ　　شرابٌ يَلَذُّ به أو طَعامُ
ستُطوَى مسافةُ مَن عمـرُهُ　　يسـيرُ صباحٌ به أو ظـلامُ
ليالٍ تمرّ كمرِّ السحا　　بِ والصبحُ فيهنَّ برقٌ يُشامُ
جناياتُهنّ علينـا البِـلَى　　وأعذارُهنَّ إلينا السَّقامُ
لها كلّ يوم بنـا وقعـةٌ　　فهـلّا تناوبَ عامٌ وعامُ ؟
نلوم الطبيبَ ومـا جُرمُـهُ　　وداءُ المنيَّـة داءٌ عُقـامُ؟
إذا فَذْلَكَ (٢) العيشُ عمرَ الفتى　　فسيّانِ ما خلفه والأمامُ
وما يعصِمُ المرءَ من حتفـهِ　　"عِراقٌ" يَحُلُّ به أو "شآمُ"
بأىِّ حمًى مانعٍ يُسـتجارُ　　إذا لم يُجِرْ "زمزمٌ" "والمَقامُ"!

(١) الذابلات الطوال : الرماح . (٢) فذلك ، : فذلك الحاسب حسابه أى أنهاه وفرغ منه .

ظِباءُ البطاح لها مَصرَعٌ   وعُصْمٌ(١) لها بالجبالِ اعتصامُ
إذا الدَّوحُ(٢) مالت به العاصفاتُ   فلا ريبَ أن ستميلُ الثُمامُ(٣)
وهل نافعٌ لك طولُ الجماحِ   وفى يدِ صَرف الزمانِ الزِّمامُ؟!
يحـدِّثُنـا بالفَناء البقـاءُ   ويُخـبرنا بالرحيـلِ المقـامُ
بهذا قضى الدهرُ فى أهـلهِ   تمـرُّ فِئامٌ(٤) وتأتى فِئـامُ
يعللنـا برضـاع المُنَى   وعمَّا قليـلٍ يكـون الفِطامُ
نذُمُّ حـذارا بلوغَ المشيبِ   كأنَّ لعصرِ التصابى ذِمامُ
وما يحـذَر اليَفَنُ(٥) العُـدْمُلِـىُّ(٦)   إلا الذى يتقيـه الغـلامُ
عذَرنا الزمانَ بمـوت اللئامِ   فما عذرُه أن يمـوتَ الكرامُ؟
علينا يحـرِّمُ قتـلُ النفوس   فكيف أُحِلَّ عليـه الحـرامُ
مَناسـكُ منهوجةٌ بالـوجَى(٧)   يُجَبُّ(٨) على إثرهن السَّنامُ
لعمرُكَ ما المـرءُ إلا خَيالٌ   ولا لذة العيش إلا منامُ
ألا أيهـذا اللبيبُ اتئـدْ   ومثـلُك من رامَ مالا يرامُ
ترفَّق رويدَكَ ، إن السـلُوَّ   مُراحٌ اليـه يعـودُ الأنامُ
وعادتك الصبرُ إن قعقعتْ   صواعقَهنَّ الخطوبُ الجسامُ

---

(١) عصم : جمع أعصم وهو تيس الجبل يعتصم به . (٢) الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة .
(٣) الثمام : نبت ضعيف . (٤) الفئام : الجماعات . (٥) اليفن : الشيخ الكبير الفانى .
(٦) العدملى : كل مسن قديم . (٧) الوجى : الحفا من كثرة السير . (٨) يجب : يقطع .

تمرُّ عليك مرورَ الريا ـح زاحمها «يَذْبُلُ» أو «شمامُ»[1]
تلوثُ[2] الرداء وتُرخى الإزا ـر فى موقفٍ شُدَّ فيه الحِزامُ
يعزِّيك عقلُك عمّن مضى وعلمُك أن ما لشىء دوامُ
ونفسُك أبلغُ من واعظٍ وأكبرُ أن يزدهيها الغرامُ
وأنت تعلَّم كيف الثبا تُ إن زعزعتنا الخطوبُ الجسامُ
تحمَّلُ أثقالَها مُهْوِنا وللبُزْلِ[3] لو حمّلتْها بُغامُ[4]
إذا الحزن لم يُعد الذاهبينَ فما هو إلا الجوى والأثامُ
فراقُ الشقيقة أشجى فراقٍ أذيلت[5] عليه الدموعُ السِّجامُ
وفقدُ الفتى صِنوَه فادحٌ على الحزن فى مثله لايلامُ
ولكن يريك الثنايا الجليدُ[6] وفى حبّة القلب منه ضِرامُ
وعينُك إن غلِطتْ بالبكاء فقد علّمتها يداك الغمامُ
فسقيًا لمودَعةٍ فى الصَّعيدِ[7] تُعزَّى الخدورُ بها والخِيامُ
ولم نر دُرًّا ولا زهرةً من التُّرب أصدافُها والكِمامُ
أنلتمس السُّحبَ تسقى ثراكِ وجُود أخيك الغيوثُ الرِّهامُ[8]؟
وتُسحب فيه ذيولُ النسيم ومن عَرفِهِ[9] تَستَمِدُّ المُدامُ

(١) يذبل وشمام : جبلان . (٢) تلوث : تلف . (٣) بزل : جمع بازل وهو الجمل المسن (٤) البغام : صوت الإبل فى حنينها . (٥) فى الأصل «أذبت» وهو تحريف .
(٦) الجليد : الصابر . (٧) الصعيد : التراب . (٨) الرهام : المنهمرة بالماء .
(٩) العرف : رائحة الطيب .

لفقـدانها ما تحنُّ القِلاصُ (١) وتندبُ فوق الغصون الحَمامُ

فيا جبل "الطُّور" لافارقتكَ سحـائبُ يُشفَى بهنَّ الأُوامُ (٢)

يَقِفْنَ حوافـلَ فى عَرصتيه (٣) لك حتى تُساوى الوِهادَ (٤) الإكامُ (٥)

تمخَّضُ بالماخضاتِ العشارِ (٦) وغـيرِ رباكَ لهنَّ الجَهـامُ (٧)

ولو كنتِ آبيةً بالخصام لمـا عزَّ فينا الخميسُ (٨) اللُّهامُ

وخيـلٌ تكدَّسُ (٩) بالدارعين (١٠) مقـابرُ فُرسانهنَّ القَتامُ (١١)

ولكنهـا حالةٌ فـرضُهـا علينـا تحيَّتُنا والسـلامُ

✦ ✦ ✦

وقال فى بعض الأغراض :

عساهـا تجـلى وخلاك ذمٌّ (١٢) وماءُ الوجه فى الوجَناتِ جَمٌّ (١٣)

ولم يجـرِ السؤالُ على لسانى ولا ندًى يدى بحـرٌ خِضَمٌّ

سيحرُسنى التجمُّل من أناس هُمُ عنّى بداء البُخـل صُمُّ

---

(١) القلاص : الإبل الفتية واحدها قلوص . (٢) الأوام : العطش الشديد . (٣) العرصة : الفضاء أمام الدار . (٤) الوهاد : جمع وهد وهو ما انخفض من الأرض . (٥) الإكام : جمع أكمة وهى ما ارتفع عن الأرض . (٦) الماخضات العشار : التى دنا ولادها بعد عشرة أشهر ، والمراد بها السحائب المنهمرة بالماء . (٧) الجهام : السحاب الأبيض لا ماء فيه . (٨) الخميس اللهام : الجيش من خمس فرق ، واللهام الكثير كأنه يلتهم كل شىء . (٩) تكدس : ركب بعضها بعضا من شدة ازدحامها . (١٠) الدارع : لابس الدرع . (١١) القتام : الغبار يثار فى الحرب . (١٢) خلاك ذم أى لا يلحقك الذم . (١٣) الجم : الكثير .

حمانى زادهـم بطنٌ خميصٌ (١) ... على الجُـلَّى وعِرنينٌ (٢) أشَمّ

فقد سقَيتُ بَرْدَ اليأسِ منهم ... فـؤادا من رجائهم يُحَمّ

وكيف أكلِّف المعروفَ قوما ... سـواءٌ عنـدهم مدحٌ وذمّ

تُلاقِى المكرماتُ بهم هـوانا ... كما يلقىَ بذى الرَّوقِ (٣) الأجَمّ (٤)

اذا ضحِكوا الىَّ رأوه بِرًّا ... أكلُّ الـبِرّ تقبيـلٌ وضمٌ ؟!

يرَوْنَ عقوقَ ما كنَزوا حراما ... هل العَرَض المسومُ أبٌ وأمٌ

وكم من شيمـةٍ دفراءَ (٥) فيهم ... تفـوح لو انّ أخـلاقًا تُشَمّ

ستأتيهم قوافٍ شـاردات ... بأنساعِ (٦) المخازى لا تُـزَمّ

مقالٌ فى النفوسِ له دبيبٌ ... وبعض القول فى الأعراض سُمّ

فإعرابُ الفَمِ المِنطيقِ فتحٌ ... متى أضحى بناءُ الكفّ ضمّ

✦ ✦ ✦

وقال فى طائفةٍ من أهل الزمان :

أيا بؤسَ قومٍ حسانِ الشخو ... صِ لكن حُشُوا بطباع النَّعَم (٧)

يزيِّنهمُ فى جفون الغبىّ ... حُـلِىُّ الغِنَى وثياب النِّعَمْ

حدوناهمُ بفصيح القـريض ... فما آستحسنوا منه غيرَ النغمْ

(١) الخميص : الضامر . (٢) العرنين : الأنف . (٣) الروق : القـرن .

(٤) الأجم : — من الكباش — مالا قرن له . (٥) الدفراء : المنتنة . (٦) أنساع : جمع نسع وهو حبل عريض تشد به الرحال . (٧) النعم : الإبل — والمراد بها هنا البهائم — .

وكان الذى خاض أسماعَهم   سواءٌ ونقراتُ زِيرٍ(١) وبَمّ(٢)

وقد جعلوا عذرَ حرماننا الـ   ـثوابَ خلوَّهمُ من فَهِمْ

وهبْ أنهم جهِلوا ما نقولُ   فأين السخاءُ وأين الكرَمْ!

أغرَّهمُ كَتبُنا فى الرِّقا   عِ : نحنُ العبيدُ ونحنُ الخدَمْ!

ومن دون ذلك تُشوَى الوجوهُ   وتُقذَى العيونُ ويُفرَى(٣) الادَمْ(٤)

فإن هم أنابوا ببذل النوالِ   وصلنا الثناءَ كوصل الرحِمْ

وإن هم أصرُّوا على لؤمهم   وهبنا ثناياهمُ(٥) للندَمْ

اذا جاوزوا الحدّ فى منعهم   خلعنا الحياءَ وجزنا اللَّمَمْ(٦)

* * *

وقال :

تمدحُ "عمروا" وتُريد رِفدا   ياما خضَّ الماءِ عَدِمتَ الزُّبْدا

رأيتَ منه شارةً(٧) وقدًّا   ومِشْوذًا(٨) مُفوَّفا(٩) وبُردا(١٠)

تخلتَ إنسانا فكان قِردا   يا ربما ظُنَّ السرابُ وِردا

---

(١) الزير : الدقيق من أوتار العود. (٢) البم : الغليظ من أوتار العود. (٣) يفرى : يشق. (٤) الأدم : الجلد. (٥) الثنايا : أربع أسنان فى مقدم الفم ، — ثنتان من فوق وثنتان من أسفل — ، وفى الأصل هكذا «ساياهم» (٦) اللمم : صغار الذنوب :

(٧) الشارة : الحسن. (٨) المشوذ : ما يعتم به. (٩) المفوف : ما فيه خطوط بيض على الطول. (١٠) البرد : الثوب.

وقال :

زمانٌ فاسدُ النظـرِ مُصاحبهُ على خطَرِ
وقـومٌ إن عَددتُهمُ فليس القومُ من نفرى
سمعت بهم فغرُّونى وليس الخُبْرُ كالخبَرِ
عجِلتُ إلى مديحهمُ وذلك شيمةُ البَشَرِ
فما فهموا مدائحَهم ولا قضَّوْا بها وطَرى
نخِلتُ قصائدى حُللا مُجَبَّبـةً (١) على بقـرِ

وقال :

وزيرٌ رَضِى من بأسِـه وآنتقامِـه بطَىِّ رِقاعٍ حشوُها النظمُ والنـثرُ
كما تسجع الوَرقاء فوق غصـونها وليس لهـا نهىٌ يطـاع ولا أمرُ

وقال :

تُعابُ معاشرٌ وكَلوا البرايا إلى تدبير ذى رأيٍ أفينِ (٢)
وماغلِطوا، رأَوا سفهَ الليالى فداووْا بالجنون من الجنونِ

---

(١) مجببة : مجعولا لها جيوبا . (٢) الأفين : الضعيف .

✦

وقال :

نُبِّئتُ أنَّ فلانا قد شحا فمَه (١) ... فقلتُ : مهلًا ، كذاك العَيرُ نَهّاقُ (٢)
من أين للنّبطىِّ (٣) القَـدْم (٤) معرفةٌ ... هل يُنبِتُ النَّبعةَ (٥) الصفراءَ رُستاقُ (٦)
وكيف يفهم قلبٌ دون فِطنتهِ ... من البـلادةِ أبوابٌ وأغـلاقُ (٧)
يا ثورُ ! خلِّ لروضِ الحَزْنِ (٨) زهرتَه ... فإنّ مرعاكَ قُـلّامٌ وطُبّـاقُ (٩)
ولا تراعِ نجوم الفضلِ ترصدُها ... فغيرُ خافٍ على الحسّاب أرزاقُ
نبذتِ عِرضَك نبذَ النعلِ مُخلَقةً (١٠) ... وكيف يُلبَسُ ثوبٌ وهو نُخرّاقُ (١١)

✦

وقال :

زوَّج اللهـوُ بابنـةِ العنقـودِ ... خاطبًا بالبسيط أو بالنشيـدِ
وتمام الإملاكِ (١٢) فى شاهـدَىْ عد ... لٍ هما فى حضور نايٍ وعُـودِ
فإذا ما جمعتَ ذاكَ فقد فـز ... تَ بعَقـدٍ يسودُ كلَّ العقـودِ

---

(١) شحافه : فتحه . (٢) العير : الحمار . (٣) النبطى : منسوب الى جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين وسموا بذلك لكثرة النبط عندهم — ثم استعمل فى أخلاط الناس وعوامهم — . (٤) القدم : البعيد الفطنة والعيى عن الكلام . (٥) النبعة : واحدة النبع ، وهو شجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام ينبت فى قلة الجبل . (٦) الرستاق : السواد وهو الريف — ومنه : سواد العراق ، لما بين البصرة والكوفة ولما حولهما من قراها — . (٧) أغلاق : جمع غلق وهو ما يغلق به الباب . (٨) الحزن : ضد السهل ورياضه أنضر وأزهر . (٩) القلام والطباق : ضربان من الشجر . (١٠) المخلقة : البالية . (١١) الخراق : الكثير الخروق . (١٢) الإملاك : التزويج .

وقال :

يا شهوةَ النومِ وما لذّتُهْ — جسمٌ تَغشّت قلبَهُ غفلتُهْ
هل هو إلا ميتةٌ عُجّلتْ — وإنما قد قرُبت رجعتُهْ

وقال في الغزل :

يسائلني ما حاجتي في دياره — غزالٌ بأوطار الفؤاد عليمُ
ستشهدُ لي عيناه أنهما الهوى — ومبسمُه أنّي عليه أحومُ
أتُظهِرُ في عرفانِ ما بي جهالةً — وما أحدٌ في الناس منك سليمُ
وكيف يداوِى داءَ قلبيَ باخلٌ — على طَرفِهِ بالبرء وهو سقيمُ
أرقّع فيك الودَّ وهو ممزَّقٌ — وأرعَى ذمامَ العهدِ وهو ذميمُ
وفي دون ما لاقيتُ للمرء زاجرٌ — ولكنَّ عِرقي(١) في الوفاء قديمُ

وقال في مثله :

يقولون : راجعْ صاحبَ الرأى واطّرحْ — هواكَ فما تُغنى الدموعُ السواجمُ
ولو أنه بالعقل يَعشق عاشقٌ — لما ازدوجتْ أطيارُها والبهائمُ
أليست على ألّافها بجهالةٍ — يحاربُ شِبهٌ شِبهَهُ ويخاصمُ

(١) في الأصل هكذا « ولا لز » .

* * *

وقال فى مثله :

« بالجزع » ذى السَّمُرات(١) لى قمرٌ ... غلبَتْ عليه سحائبُ الأُزُرِ(٢)

أرسلتُ أنفاسى فما آنقشعتْ ... عنه وجاد الطَّرفُ بالمطرِ

* * *

وقال فى البَرَد آرتجالا :

ياطيبَ يومٍ حَجبتْ شمسَهُ ... سحائبٌ تُمطِرُ كافورا

لما توارت تحت أستارِها ... مجَّت لنا من ريقها نورا

* * *

وقال فى الأكثر من أهل الزمان :

إذا كان هذا الجهلُ قد شاعَ فى الورى ... فذو العلم فيما بينهم هو جاهلُ

فإن قال مالم يعرفوا قدرَ لفظِهِ ... ولا قيمةَ المعنَى ، فما هو قائلُ

وإن هو بالصمت آستجارَ لسانُه ... ففى الصمتِ ذو نقصٍ سواءٌ وفاضلُ

فليس له غيرَ التجاهلِ ملجأٌ ... وأصعبُ شيء عالمٌ متجاهلُ

وكنّا سمعنا فى الزمان «بباقلٍ» ... وهذا زمانٌ كلُّ أهليهِ « باقلُ »(٣)

---

(١) السمرات : جمع سمرة وهى شجرة من العضاه تغمى البيوت بخشبها — وليس فى العضاه أجود خشبا من السمر — . (٢) أزر : جمع إزار وهو معروف . (٣) باقل : رجل يضرب به المثل فى العى .

\+ + +

وقال :

هززناكُمُ بالمدح نجني ثماركم ونحلُبُ من أخلافِ (١) وُجدِكُمُ (٢) وَفْرا

فلم نحظَ من ريح الثناءِ بطائلٍ فرُدُّوا كرأس المال أو بعضه شِعرا

فإن أنتمُ لم تنصفونا فإننا سنقتصُّ من أعراضكم ذلك الوِترا (٣)

إذا المنع والإعطاءُ (٤) كان خيارُه إليكم تخيَّرنا المذمَّةَ والشكرا

فلا تحسبوا أنَّا إذا نلتم الغنَى ولم تُشركونا فيه نُوسعكم عذرا

\+ + +

وقال فى مثله :

بِتنا على «الزَّوراء» نهدِمُ كلَّ ما بَنَتِ القلوبُ من الأمانى الزُّورِ

لما لقينا من نُجاهِك عصبةً نضحَتْ بشكواها ذَفَارَى (٥) العِيرِ

إنَّ آمرأً سلكتْ إليك ركابُهُ بخُفًا لقد دلَّى بحبلِ غرورِ

\+ + +

وقال فى سحابٍ وبرقٍ ومطرٍ وبَرَدٍ :

غــرَّاء تحسبها غُمودًا كلَّما شهرَتْ بوارقُها بها أسيافا

---

(١) أخلاف : جمع خلف — بكسر الخاء — حلمة الضرع . (٢) الوجد — مثلثة الواو — : الغنى والسعة . (٣) الوتر : الثأر . (٤) فى الأصل «المدح» ولعله تحريف (٥) ذفارى : جمع ذفرى وهى فى الحيوان من لدن المقذ الى نصف القذال ، وقيل : هى العظمة خلف الأذن .

كُسِيَ الثّرى لمّا همتْ فطنتُها ... بالحَـزْنِ(١) عِيرا(٢) أُوقرت أفوافا(٣)
وتناثرت دُرَرا عليـه دموعُها ... لمـا جَمَدن تخلتْها أصدافا

✦✦✦

وقال :

قالوا : ذر الشعرَ وكن عائذا ... بالله يصرفُ عنك شيطـانَهُ
فى الناس جَهلٌ وبهم شِـرَّة ... لأجـل ذَيْنِ صغّـروا شانَهُ
لم يفقهوا اللفظ ولم يفهموا الـ ... ـمعـنَى ولا يَدرون مـيزانَهُ
فكلُّهـم يُنكر رُجحانَه ... وكلُّهـم يجهـلُ نقصـانَهُ
قلتُ : أمن أجل عمًى فيهـمُ ... لا يُظهـر المعـدِنُ عِقيانَهُ !
هبُـوا لسانى راعيـا ناعقـا ... دعا بما تجهـلُه ضـانَهُ ،
قـد يُطـربُ القُمرىُّ أسماعَنا ... ونحن لانفهـم ألحـانَهُ

✦✦✦

وقال :

أحاط بىَ العُـذّال حتى صرفتهـم ... بأنّ الهـوى طبـعٌ ولا يُنقَلُ الطبعُ
رأَوا كلَّ ما أبصرتُه أنا عاشـقٌ ... ومـا تسمع الأذنانِ ليس له نفـعُ
فقالوا ـ وقلبى ليس يقبَل نصحَهم ـ : ... أخـونا له عينٌ وليس له سمـعُ

---

(١) الحزن : ضد السهل ؛ واسم موضع . (٢) أوقرت : حملت وأثقلت . (٣) أفواف : جمع فوف وهو نوع من برود اليمن ، أو هو قطع القطن .

وقال فى الشَّيب :

تخاوصت (١) الحسناءُ عن شَيب لِمَّتى (٢) ولم تلتفت إلى سنىٍّ القـلائلِ

وليس بياضا مارأت من شُعاعِهِ ولكنّـه نُور النُّهى والفضائِلِ

وقال يعاتب صديقا له :

كان الوداد منغِّصا (٣) لوُشاتنا ولو آرتمـوا ما بيننا بفواقـرِ (٤)

تُخطى ظواهرُنا فنُغمِضُ عيننا (٥) عنها ونطمحُ (٦) فى صوابِ ضمائرِ

متحلِّي عُقَـد الضـغائنِ كلَّما نصبَ الحسودُ لنا حِبالة ماكرِ

أيامَ لا عِرسُ الإخاء بطالقٍ منّا ولا أُمّ الصـفاءِ بعاقرِ

فالآن أقلقنا الحسودُ كما آشتهى فينا ونفّـرنا صـفيرُ الصافرِ

وكأنّما كانت وسـاوسَ حالم تلك المودّةُ أو فكاهـةَ سامرِ

ومـتى نكَلت مودّةً من صاحبٍ فلقد عدِمت بها سـوادَ الناظرِ

ولذاك نُحْتُ على إخائك مثلما ناحَ الحمامُ على الربيـع البـاكرِ

هيهات لستَ بواجدٍ من بعدها مِثلى ببـذلِ بضائعٍ ومتاجرِ

(١) تخاوصت : غضت من بصرها . (٢) اللة : شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .

(٣) فى الأصل « مفصصا » . (٤) الفواقر : جمع فاقرة وهى الداهية التى تكسر الفقار وهى عظام الظهر . (٥) هذا الشطر مشوه فى الأصل ؛ وفى مختارات البارودى هكذا :

* تحظى ظواهرنا فيغمض عتبنا *

(٦) كذا بالأصل وتحتمل أن تكون « ونطمع » .

لا تَنبِذ الخُلّانَ حولك حَجْرةً (١)   فالعينُ لاتبقى بغير محاجرِ
ماكنتُ أحسبُ أنّ صِبغةَ ودّنا   مما تحولُ على الزمان الغابر
ولو انّنى حاذرتُ ذاك فديتُها   منه بلونِ ذوائبى (٢) وغدائرى
لكنّ كلّ غريبة وعجيبة   من فعلِ هذا المَنْجنونِ (٣) الدائرِ
فلئن أقمتَ على التصارُم (٤) لم تجدْ   ربّا سِوى عتبِ الحبيب الهاجرِ
وإن آستقلتَ أقلتُها وجزاؤها   منّى مَثوبةُ تائبٍ من غافرِ
حتى ترى سُحُب الوصال معيدةً   ذاك الهشيمَ جميمَ (٥) روضٍ ناضرِ
إن الغصونَ يعودُ حُسنُ قَوامِها   من بعد ما مالت بهزّ صراصِرِ (٦)
أنا من علمتَ إذا المناطقُ لجلجتْ   ألفاظها أو غامَ أُفْقُ الخاطرِ
ما بين ثغرى واللّهازِم (٧) بَضعةٌ   هزئتْ بشقشقةِ الفنيقِ (٨) الهادرِ
متحكّمٌ فى القول ، يلقُط دُرّه   غوصِى ولو من قعر بحرٍ زاخرِ
واذا نثرتُ سمَت بلاغةُ خاطبٍ   واذا نظمتُ علتْ فصاحةُ شاعرِ
لى فى مطايا الفضلِ كلُّ شِمِلّةٍ (٩)   أبدا أرحّلها لزادِ مسافرِ
كم موردٍ عرضَ الزُّلالَ لمشربى   روّعتُه وجفتُه بمصادرى

---

(١) حجرة : ناحية . (٢) ذوائب : جمع ذؤابة وهى منبت الناصية من الرأس . (٣) المنجنون : الدولاب . (٤) التصارم : التقاطع . (٥) الجميم : ما غطى الأرض من النبات . (٦) صراصر : جمع صرصر وهى الريح الشديدة الهبوب والبرد . (٧) اللهازم : جمع لهزمة وهى مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن . (٨) الفنيق : الجمل المكرم لا يركب لكرامته على أهله . (٩) الشملة : الناقة المسرعة .

إن رثَّ غِمدى لم ترِثْ مَضار بى أو فُـلَّ حدّى لم تُفَـلّ بصائرى

تأتى جيادى فى الرِّهان سوابقـا وجيادُ غيرى فى الرعِيـلِ(١) العاثرِ

ومجالسُ العلماء حشوُ صـدورها أنا ، والذُّنابَى للجهـول الحـائرِ

إن قال أقـوامٌ علىَّ مَناقصـا لم يضرُر الحسنـاءَ عيبُ ضرائرِ

لو لم تكن فى وسـط قلبى حَبَّةً لسلوتُ عنك سُلُوَّ بعض ذخائرى

ولقلتُ : ما هـذا بأوّلِ ناقضٍ عهـدا ولا هـذا بأوّلِ غادرِ

لكن حللتَ من الفـؤاد بمنزلٍ أصبحتَ فيه ربيبَ بيتٍ عامرِ

شِـيَمِى على جَوْر الزمان وعدله أنى أقـولُ : لَعًـا(٢) لِرجلِ العاثرِ

⁂

وقال يستهدى بعضَ أصدقائه مدادا :

هل فى جُنوبِ «اللِّوى» وجدٌ فأطرِبَهُ بأنَّـةٍ أرسلَتْهـا حَنَّـةُ العِـيرِ؟

أم روضةُ الحَزنِ من دمعى على ثقـةٍ فـلا تحيّى حيًا الغُـزْرِ(٣) المباكيرِ

ومن يكن غرّه فى الحبّ غادرُه فقـد هَوِيتُ ولُبِّى غيرُ مغـرورِ

وما ركبتُ الهوى إلا وقـد علمتْ نفسى بمـا فيه من هول وتغريرِ

أغشَى الخيامَ بذلٍّ ليس يطـرُدُه لَفتُ الخـدودِ وإعراضُ الأساريرِ(٤)

---

(١) الرعيل : القطعة القليلة من الخيل .

(٢) لعا : كلمة تقال للعاثر بمعنى قم وانتعش .

(٣) الغزر المباكير : السحاب تمطر فى أول الوسمى .

(٤) فى الأصل « الأساوير » وهو تحريف .

دون الأمانىِّ فيهــم كــلُّ لاذعةٍ والشّهـدُ من دونه لسعُ الزنابيرِ

ما للزمان تُحــلِّى لى خدائعُــهُ أكلَ المُرارِ (١) بأنواعِ الأزاهــيرِ

لا يَتبع العينَ قلبى وهى تابعــةٌ وكيف طاعةُ ذى أمرٍ لمأمــورِ

وصاحب لا يدُ التجــريب تنقُـدُه ولا سبائكُهُ تصــفو على الكِــيرِ (٢)

يسىءُ حــتّى اذا فاحت إساءتُه رمَى وراء الخطــايا بالمعــاذيرِ

تركتُه بعبَــاءِ الغِــلّ مشــتملا يُكنُّ للغيظ جُرحا غيرَ مســبورِ

حاشَ الذى شفَّ لى عن كلّ خالصةٍ كأنّ كَشحيْــه صِيغا من قواريرِ (٣)

لا يحتــبى ببيــوت النــافقاءِ (٤) ولا يروح مشــتملا ثوبا من الزورِ

أيا ابنَ ودّى آنتسابا مالهُ رحِــمٌ إلا الذى فيك من فضــلٍ ومن خيرِ ،

إليــك أشكو مشيبا لاح بارقُــهُ (٥) فى فــرع دهمــاءَ تجرى بالأساطيرِ

كانت مَفارقُهــا مســكا مضمَّخةً فــا لها بُدّلت منــه بكافــورِ

ومقــلةً عُهِــدتْ كحــلاءَ مرّهها (٦) طــولُ البكاءِ على بِيض الطــواميرِ (٧)

كانت دجًى حسَــد الإصباحُ لِمتَه (٨) فجــزّها بحسامٍ منــه مشهــورِ

---

(١) المرار : شجر اذا أكلته الإبل قلصت مشافرها لشدة عفوصته . (٢) الكير : زق ينفخ به الحـداد . (٣) القارورة : الزجاجة . (٤) النافقاء : ناحية جحر الضب التى يخفيها ليتفق منها إذا أتى من قاصعائه وهى باب جحــره الظاهر . (٥) يريد أن الحبر آبيض من كثرة خلطه بالماء فكنى عنه بالمشيب . (٦) مرهها : أخلاها من الكحل . (٧) الطوامير : جمع طامور وهو الصحيفة ، — وهو يصف بهذه الأبيات الدواة — . (٨) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

يا حبّذا هى والأقلامُ واردةٌ ... فيها وصادرةٌ سُحْمَ المناقيرِ (١)

كأنّما كَرَعَتْ (٢) فى ناظرَىْ رشإٍ ... أو فى سُويداءِ قلبٍ غير مسرورِ

تَحوى القراطيسُ منها روضةً أُنُفًا (٣) ... فيها مُفاخَرة الظلماءِ للنّورِ

فكيف لى بخضابٍ تستردُّ به (٤) ... من الشبيبة لونا غير مهجورِ

ذؤابة النار شطرٌ فيه معتمدٌ ... وفيه للنّحل شطرٌ غير مبرورِ

قد أحكمته يدُ الطاهى فناشَله (٥) ... بجاذب القوس عن نزعٍ وتوتيرِ

فجاءنا بغُدافٍ (٦) لا تسابقه ... شُهبُ البُزاةِ الى نَخرٍ وتنفيرِ

لو أنّ صِبغته فاز الشبابُ بها ... لما رمَى الدهرُ فَوْدَيْهِ (٧) بتغييرِ

وحاجة النِّقس (٨) إن قلّت وإن كثرت ... — اذا سمحتَ بها — مثلُ الدنانيرِ

وقال يستهدى أقلاما :

ما زال يكشف عنّى كلَّ طارقةٍ ... ما خوّل الله من صُمّ الأنابيبِ

إن أمطرتْها بنانٌ جاش غاربُها (٩) ... على المهارِق (١٠) منهلّ الشآبيبِ (١١)

---

(١) سحم : جمع أسحم وسحماء وهى السوداء . (٢) كرعت : شربت . (٣) الروضة الأنف : التى لم تطأها قدم . (٤) يريد الحبر . (٥) ناشله : أخرجه من القدر بيده بلا مغرفة . (٦) الغداف : الغراب الأسود — وهو كناية عن الحبر — . (٧) الفود : الشعر فى جانب الرأس . (٨) النقس : الحبر ؛ وفى الأصل "النفس" وهو تصحيف . (٩) الغارب : معظم الماء . (١٠) المهارق : الصحف . (١١) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

حتى بلغن الى الغـايات حاسرةً ... هُتْمَ (١) السنـابكِ (٢) من بدءٍ وتعقيبِ

وٱحتضرتْها المُدَى (٣) نحتًا وقد فُلِقتْ ... هاماتُها بين تصـعيدٍ وتصويبِ

فعادَ من طول ما يسرِى عَشَنَّقُها (٤) ... مدعَّما (٥) بين أطـرافِ الرواجيبِ (٦)

وعنـدكَ الدوحةُ العليـاء تُنبِتهـا ... مَنابتَ النبعِ (٧) فى شُمِّ الشَّنـاخيبِ (٨)

فقُدْ الىَّ جيادا من ضوامرِها ... صمَّ السنابكِ (٩) سَبْطاتِ الظّنابيبِ (١٠)

تختـال فى حبِرَات الوشى تائهـةً ... على متون العـوالى والقواضيبِ (١١)

لو أن بعض غصون الأيك أشبهها ... ألهى الحمائمَ عن شـدوٍ وتطريبِ

ولـو يبايعنى الخَـطِّىُّ (١٢) أنفَسـه ... لم أعطِه شـطرَ أُنبوبٍ بأنبوبِ

وحَملُ كفّى على الأقـلام تُرسلها ... يطلب (١٣) حملى على الجُردِ (١٤) السَّراحيبِ (١٥)

لا يملِكُ الفارسُ المغوارُ شِـدّتهُ ... ولا بسالتَه إلا بمركوبِ

---

(١) هتم : جمع هتماء وأهتم وهو الذى سقطت أسنانه . (٢) السنابك : أطراف السيوف واحدها سنبك . — والمراد بها هنا أطراف الأقلام — . (٣) المدى : جمع مدية وهى السكين – والمراد بها المبراة — . (٤) العشنق : الطويل ليس بضخم ولا مثقل . (٥) مدعما : مسود الوجه . (٦) الرواجب : مفاصل أصول الأصابع ، واحدها راجبة . (٧) النبع : شجر ينبت فى أعلى الجبل . تتخذ منه القسى ومن فروعه السهام . (٨) الشناخيب : جمع شنخاب وهو أعلى الجبل . (٩) صم السنابك : صلاب أطراف الحوافر — والمراد بها الأقلام — . (١٠) سبطات الظنابيب : لينات حروف السيقان ، واحدها ظنبوب . (١١) العوالى والقواضيب : الرماح والسيوف . (١٢) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهى مرفأ السفن بالبحرين — يقال : رماح خطية — على الوصف — ، ورماح الخط — على الاضافة — . (١٣) فى الأصل هكذا « الطلب » . (١٤) الجرد : الخيـل القصيرة الشـعر ، واحدها أجرد وجرداء . (١٥) السراحيب : جمع سرحوب وهى الفرس الطويلة — توصف به الإناث لا الذكور — .

* * *

وقال يستهدى كاغدا(١) خراسانيا :

تظنُّ فراقا أن تثارَ حمُــولُ ... وهل مثلُ إعراض الوجوه دليلُ؟
وإن الصدودَ والتجنّى وإن دنت(٢) ... ديارهُــمُ وخدٌ لهـــم وذميـــلُ
وكانَ شفاءٌ لى لو آن طُلولَهــم ... خُلقنَ ركابا والركابَ طــلولُ
كأنَّ الحمامَ الوُرقَ حاد غصونه ... ليُدركَهــم ، والبانُ كيف يزولُ!
ألا انهم كالخمر أحسنُ صنعِها ... إلى شاربيها أن تزولَ عقولُ
تروون يا آل « المُهيأ » سرحــكم ... وبآبن أبيــكم فى الفـؤادِ غليــلُ!
ومالى إلى ماء السحائب حاجةٌ ... ولكنْ يبينُ جائدٌ وبخيــــلُ
أيوعدنى الأقوام أن ودَّت المُنَى ... بأنّا لبعض الفاركاتِ(٣) بُعُــولُ!
يقولون: كرُّ الطَّرف فى السِّرب غارةٌ ... عليه ، وأطماع النفوس ذُحُــولُ(٤)
فلا تنذروا سفكَ الدماء لنزعوى ... فكلُّ صريعٍ بالغـــرام قتيـــلُ
أبى القلبُ إلا حبَّهــا «عامريّةً» ... بها السيف واشٍ والسنان عذولُ
أخافَ الغيورُ السُّبلَ بينى وبينها ... فما إن لنــا إلا الخيال رســـولُ!
فياليت أن النجمَ ضــلَّ طريقَه ... وعُمْر الدُّجَى فى الخافقيْن طويلُ

---

(١) الكاغد : — بكسر الغين وفتحها — القرطاس ، فارسى معرب . (٢) فى الأصــل « نأت » والمعنى لا يستقيم بها ، والوخد والذميل : ضربان من سير الإبل . (٣) الفارك : المرأة التى تبغض زوجها . (٤) ذحول : جمع ذحل وهو الثأر ، وفى الأصل «دخول» وهو تصحيف .

كما طالَ ليلُ الحِبرِ عندى ومالَه — إلى الضوء من صبح البياض سبيلُ
وظلّت أنابيبُ اليراع طـريحةً — كما يتلوّى فى الفـراش عليـلُ
تَشهّى(١) على كفّى ولو سلخَ أرقـمٍ(٢) — تَبَخـتَرُ فى أعطافـه وتجـولُ
فمن لى بخزّانٍ لديه صنيعـةٌ — يجـودُ بمـا جادت به فينيـلُ
وما أنا باغٍ غـيرَ تِسـعينَ رَيْطة(٣) — تَكافأَ عَرضٌ عندهنّ وطـولُ
نواعمَ قـد أفرِغن فى قالَب المُنَى — فكلٌّ لكلٍّ فى القَـوام عديلُ
صحائف لو شئنا لقلنا : صفائحٌ — فما منهما إلا أغـرُّ صقيـلُ
إذا صافَحتْهنَّ النواظـرُ عاقها — شُعاعٌ يردُّ الطَّـرفَ وهـو كليلُ
وإن زَغزَغتهنَّ(٤) البنانُ تضاحكتْ ، — قَهاقِهُ فى ترجيعهنّ صَليـلُ
على مثلهـا يُلقِى الغَيـورُ رداءَه — ويُغـلِى علينا مهرَها فيُطيـلُ
ولكن إلى رِخْو المفاصل فى الندى — خطبنا ، فقد جُرّت لهنّ ذيولُ
وأفـوزُ قِدحٍ قِـدحُ(٥) خِلٍّ رِشاؤه(٦) — بحاجاتِنا فى الأبعدين كفيـلُ

* * *

وقال يستهدى شرابا :

إن لم أكنْ من راضعى الخمرِ — ولم أداوِ السكرَ بالسكرِ ،

(١) يريد : تتشهى . (٢) الأرقم : الثعبان . (٣) الريطة : الملاءة — والمراد بها الورق — . (٤) الزغزغة : تحميش فى المغابن كالإبط وأخمص القدم يحدث عنه انفعال يضطر الى الضحك ، وفى الأصل « زعزعتهن » وهو تصحيف . (٥) القـدح : سهم الميسر . (٦) الرشاء : حبل الدلو — وهو هنا مجاز — .

ولا إذا ما ركدت خيلُها أجريتُها فى حلبةِ الصدرِ :

فإننى أهوى الندامى وما يأتون من خيرٍ ومن شرّ

وأعشق الكأس ، وسلطانُها يأخذهم بالنهى والأمرِ

كأنما الراحُ براحاتهم كواكبٌ فى فلكٍ تجرى

منتظِمو الأيدى بأدوارها كنظمك الأحرفَ فى السطرِ

ياقوتُها الأصفرُ أمواههم ينبُتُ فيها زَهَرُ الدُّرّ

تحظى بها عينى وحاشا يدى منها وحاشا موضعَ البشرِ

بل ربما طاف بها أهيفٌ أجفانه من تُحَفِ السحرِ

مِن سَبَجِ(١) الإظلامِ أصداغُهُ ووجهُهُ من جوهرِ البدر

والراح لا يرضَى سواها قِرًى ولو قرَنّاه من التِّبرِ

إذا علاها زبَدٌ خلته سُحبًا عليها شَنَبُ(٢) الثغرِ

وليس لى مما بها قطرةٌ يا واكفَ الأنواءِ بالقَطرِ

بجدٍّ بها تُشبِهُ فى عَرفها عِرضى وفى رِقّتها شِعرِى

أنتَ صَرِيفِينِي(٣) وقُطْرُبُّلِي وموضعُ الشكر من الدهرِ

(١) السبج : الخرز الأسود . (٢) الشنب : ماء الأسنان ورقتها وعذوبتها .

(٣) صريفين : قرية عند عكبراء تنسب إليها الخمر ؛ وقطربل : موضع بالعراق تنسب إليه الخمر أيضا .

وكتبَ الى أبى الحسَن بن نصر الكاتبِ جوابا عن رُقعة :

لو يهتدى وصنِي إلى شغَفى ... خُطِمتْ(١) بنا فى غارب(٢) الصُّحُف

وتركتُ أقلامى مُفلَّلَةً(٣) ... وخواطرى متروحة(٤) النُّطَف(٥)

شوقا إليك وما رُمِى جلَدى ... بسهام هجرٍ أو نوًى قُذُفِ(٦)

ما مرَّ يومٌ لا أراكَ بهِ ... إلا على خطبٍ من الأسفِ

متلفتا تِلقاءَ داركُمُ ... أرنو بعينَىْ مغرم دنِف

فاذا طمحتُ لوَى الهوى عُنُقى ... و إذا جمحتُ فسائق كلَفى

و إذا آنصرفتُ فإنما جسدى ... ولَّى وقلبى غيرُ منصرِف

من ذا ينيلُ جوارحى أملا ... ومواعدُ الآمال لخُلُف

طَرفٌ نفَى إنسانَ ناظرِه ... عنه آقتناعا منك بالخلَف

والسمعُ منيته مفاوضةٌ ... معقودةٌ فى موضع الشَّنُف(٧)

ويريد جثمانى مصاحبةً ... مثلَ آصطحابِ اللام للألف

ومطامعى هذى تَصَيُّدُهَا ... كتصيُّد الشَّغواءِ(٨) فى الشَّعَف

---

(١) خطمت : جعل عليها الخطام وهو الزمام . (٢) الغارب : مابين السنام الى العنق — وهو ما يلق عليه خطام البعير — . (٣) مفللة : مثلمة مكسورة . (٤) فى الأصل . "مترَوحة" وهو تصحيف . (٥) النطف : جمع نطفة وهى الماء الصافى — قل أوكثر — . (٦) قذف : بعيدة تقذف بصاحبها . (٧) الشنف : القرط يعلق فى أعلى الأذن — والأصل فيه سكون النون — ، والبيت ورد هكذا بالأصل وفيه تأمل . (٨) الشغواء : العقاب ، وفى الأصل « الشعواء » وهو تصحيف . (٩) الشعف : جمع شعفة وهى رأس الجبل .

يا أيهذا الخــلُّ دعــوةَ مَنْ أثقلتَــه بالقــرض[١] والسّلَفِ
لا تُسرفَنّ فى الــودّ معتمــدا رِقّ فإنّ البخلَ فى السَّرفِ
قد جاءنى القِرطاسُ[٢] مكتسيا ببدائع كالدُّرّ فى الصَّــدَفِ
فكأن راحتَــكَ الربيعُ فما تُخلى الرُّبَى من روضة أُنُفِ[٣]
ألقت فُــوَيقَ مناكبى مِنَنًا مضمونها جبرى على الكُلَفِ[٤]
حسبى عوارفك التى جمعتْ بين اللُّهَى[٥] لى منكَ والشَّرَفِ

✣

وكتب إليه أيضا :

يا ماءَ "لِينَــةَ"[٦] لو نقعتَ أُوامى[٧] كانت حياضُك لى كئوسَ مُدامِ
لا يعدِلُ[٨] المشغوفُ عن سَنَن الهوى ولو آنّ حدَّ العذل غَربُ حسامِ
كيف السلوُّ وليس يَسلُك سمعَــه إلا حنينٌ أو بكاءُ حَمامِ
حتى كأنّ القلبَ مذ حجّابهُ ليردُّ عنــه طــوارقَ اللــوّامِ
ولقدعرَضتُ على السلوّ جوانحى الـ ـحــرّى فلم يَرهنّ دارَ مقامِ
ما ضرَّ من زار الغَــيورَ أمامَــهُ لوزار فى ثوبٍ من الأحلامِ؟

---

(١) فى الأصل «بالفرض» وهو تصحيف . (٢) القرطاس : الصحيفة . (٣) الأنف : التى لم يرعها أحد . (٤) كلف : جمع كلفة وهى المشقة . (٥) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا . (٦) لينة : موضع فى بلاد نجد به ركايا عادية وماؤها عذب زلال . (٧) الأوام : شدة العطش . (٨) فى الأصل "يعذل" وهو تصحيف .

جُزْ «باللوى» إن كنتَ تُؤثِرُ أن ترى … حَدَقَ المها (١) وسوالفَ الآرامِ (٢)

وتأنَّ فى نظرِ الخدورِ (٣) فبينها … صورٌ تبيحُ عبادةَ الأصنامِ

ناضلننا بنوافذٍ مسمومةٍ … ووددتُ لو قبِلَتْ سهمَ الرامى

وكنَّ فى الأيدى خضابا ناميا … ونظيره فى القلب حبٌّ نامِ

ليس البراقعُ كاسمها لكنها … يومَ الوداع كنائنٌ لسهامِ

بينى وما بين الكواعب موعدٌ … يُلقِى إلى كفِّ المشيب زِمامى

لاينتهى الطيفُ المزاورُ مضجعى … عنّى وفى فَوْدَىَّ (٤) جُنحُ ظلامِ

والدهرُ ذو شيئين يصبغ لِمَّتِى (٥) … كلتاهما بالصبحِ والإظلامِ

قد كنتَ بُهْمَى (٦)، جَعدة (٧)، خسِّيَّة (٨) … فبأىِّ ماء صرتَ نَوْرَ (٩) ثَغامِ (١٠)؟

أعلىَّ تقترعُ الليالى بعد ما … غلَّت يديها شِرَّتى وعُرامى (١١)؟

تلهو بحَوْذان (١٢) «العراق» ركائبى … وعزائمى ترعَى رياضَ «الشامِ»

لى فى بطون اليعمَلات (١٣) مَزادةٌ (١٤) … تُروِى إذا غدَر الغديرُ الطامى

---

(١) المها : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية . (٢) آرام : جمع رئم — على القلب — وهو الظبي الخالص البياض . (٣) فى الأصل : «الخدرد» وهو تحريف . (٤) الفود : شعر الرأس من جانبيه . (٥) اللة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٦) البهمى : نبات يشبه الشعر . (٧) جعدة : ملتوية متقبضة مع لين . (٨) خسية : — منسوبة الى الخس — وهو بقلة معروفة عريضة الورق لينة . (٩) النور : الزهر . (١٠) الثغام : شجر أبيض الزهر والثمر، كأن جماعتها هامة شيخ — يخاطب الشعر — . (١١) الشرة والعرام : الشراسة . (١٢) الحوذان : نبات سهل حلو طيب الطعم . (١٣) اليعملات : الإبل . (١٤) المزادة : وعاء الماء .

وإذا الجِفانُ الغُرُّ (١) طَلّقت الضحى ... حَنَت الظُّبَى (٢) من غارب (٣) وسَنامِ (٤)
كم بازلٍ كوماءَ (٥) أخطاها القِـرَى ... رُدَّت فـريضتُها (٦) إلى الأزلامِ (٧)
إن القناعة مذ خَطمتُ بحبلها ... طمعى تساوت رحلتى ومقامى
فالبِيدُ عندى كالقصور ونهضتى ... كتثبُّطى والوُجْـدُ كالإعدامِ
ألقَى بنى هـذا الزمانِ مُهجهجا (٨) ... زجرَ الحُـداةِ بهيمةَ الأنعامِ
أشخاصُهم لا حِسَّ فى عَرَصاتها (٩) ... وقلوبُهم ثكلَى من الأفهامِ
حسبى وقد أصبحتُ فذًّا (١٠) بينهم ... بك يا "أبا الحسن" الشقيقِ تؤامى (١١)
حَمَلتْ بنا فى ليلةٍ مزءودةٍ (١٢) ... أمُّ الجلال الغرّ حمـلَ تمامِ
وتكفّلت ظِئرُ (١٣) العـلا برَضاعنا ... حولَين ما تحصيهما لفطامِ
حتى إذا الآداب شُـدَّ نطاقُها ... زُفّت إلى شُمِّ الأنوف كرامِ
يَسْبون أبكارَ المعانى حيثما ... شنُّوا الإغارةَ وهى غيرُ حـرامِ
هـذا هو النسبُ الصريحُ وغيرنا ... يختال بالأخـوال والأعمامِ
لوكان نصلُ إخاىَ يصدئه النوى ... لصقلتُـه بالوصـل والإلمامِ

---

(١) الجفان الغر : القصاع البيض . (٢) الظبى : جمع ظبة وهى حد السيف والسنان وغيرهما — والمراد بها هنا المدى — . (٣) الغارب : الكاهل . (٤) السنام : أعلى ظهر البعير . (٥) البازل الكوماء : الناقة العظيمه السنام . (٦) الفريضة : ما فرض فى السائمة من الصدقة . (٧) الأزلام : جمع زلم وهو أحد سهام كانوا يستقسمون عليه فى الجاهلية . (٨) مهجهجا : صائحا . (٩) العرصة : ساحة الدار وهى هنا مجاز . (١٠) الفذ : الفرد . (١١) التؤام : الزوج . (١٢) مزءودة : مروعة مذعورة — كناية عن شدتها — . (١٣) الظئر : المرضع .

لكننى والبينُ يحـرُق نابَه ... أفترُّ عن ثغرِ الهـوى البسّامِ

أنتَ النهارَ تذكُّرى وتفكُّرى ... والليـلَ أحلامى وطيفُ منامى

إن كان أقوامٌ نظامُ فـرائدٍ ... كنتَ النظامَ وسِلكَ كلِّ نظامِ

أنا عن سوابقـك الجيادِ مقصِّرٌ ... ومسلِّمٌ يومَ الرِّهانِ لحامى

✦ ✦ ✦

وقال من قصيدةٍ ولم يُتمّمها :

قلتُ «لعمرو» جَذِلا ... أُشجُجْ(١) بهـا هامَ الفلا

فما آجتويتَ مـنزلا ... إلا انتجعتَ مـنزلا

وإنّ من تسجُنه ... أوطـانُـه لمُبتَـلَى

قعيـدةُ الخـدرِ فما ... تعـرِفُ إلا المِغـزَلا

أما تـرى الطائرَ فى ... أُفحـوصه مقلقَـلا؟

يستخدم الجَنـوبَ فى ... جَناحِهِ وَالشَّمـألا

مخـلِّفًا وراءَه ... حمامـةً وجَـوْزلا(٢)

إمـا يصيبُ جازئـا(٣) ... من قُـوته أو أجدَلا(٤)

والقـدَر المحتـومُ لا ... يحُـزُّ إلا المَفِصـلا

لمـا رأيتُ الذلَّ قـد ... أبـرز نابًا أعصَـلا(٥)

---

(١) أشجج : شق .   (٢) الجوزل : ولد الحمام .   (٣) الجازىء : ما اكتفى به من الطعام .   (٤) الأجدل : الصقر .   (٥) الأعصل : الأعوج .

شاورتُ عزمى : ماترى؟ فقـال : هاتِ وهَـلا (١)

إما عِتاقا (٢) للنَّجا ءِ أو هِجانا (٣) بُـزَّلا (٤)

✣

وقال :

أرى الأمـوالَ فى اللؤماء تثوِى وتجتنبُ الـكرامَ من الرجالِ

كذاك الدُّرُّ فى مِلـحٍ أُجاجٍ وليس يكون فى عَذبٍ زُلالِ

✣

وقال :

قلقلْ ركابَك فى الفـلا ودع الغـوانىَ للقصورِ

فمحالفو (٥) أوطانهـم أمثالُ سُكّان القبـورِ

لولا التغـرُّب ما ارتقَى دُرّ البحورِ إلى النحورِ

✣

وقال فى الغزَل :

عينى التى عِلقتْ حبائلُكم بهـا والحسنُ للعين الطموحةِ صائدُ

وخدعتمُ سمعى بطيبِ حديثكم ومن الكلام لآلئٌ وفـرائدُ

وتردّد الأنفاسِ مَلّكَ عرَفكم (٦) ما ليس يبلغُه العبيرُ (٧) الجـاسدُ (٨)

---

(١) هلا : كلمة تستعمل للحث . (٢) العتاق : كرام الخيل . (٣) الهجان : الكرام من الإبل . (٤) البزل : جمع بازل وهو المسن من الإبل . (٥) فى الأصل «فخالفى» وهو تحريف . (٦) العرف : الرائحة الطيبة . (٧) العبير : أخلاط من الطيب .

(٨) الجاسد : اليابس ، وفى الأصل "الحاسد" وهو تصحيف .

وأحلتمُ قلبى على أخلاقكم — فاذا السُّلافة[1] والزلالُ[2] الباردُ
وبقى لسانى وحده لى زاجرا — هيهات، لا غَلَبَ الجماعةَ واحدُ!

✦

وقال فى مثله :

لا تَظُنَّنَّ بى سُلُوًّا وإن كنـ — ـتُ عزيزَ الدموع بين الجفونِ
إنما يصعبُ الدفينُ من الدا — ءِ وسهلٌ ما كان غيرَ دفينِ
وبكاءُ القلوبِ أسرفُ فى حكـ — ـمِ المحبّينَ من بكاءِ العيونِ

✦

وقال يهجو :

أيا وَلد "الحُصَين" وما "حُصَينٌ"؟ — لماذا — ضلَّ سعيُك — هجتَ حربى
أطلتُ تفكُّرى فرأيتُ علمى — وجهلُك ضدُّه فعرفتُ ذنبى
وما أهجوك أنك أهلُ هجوٍ — ولكنّى أجرِّبُ فيكَ ضربى
وهل عيبٌ على شَفَراتِ[3] سيفى — إذا ٱستمحنتُها فى لحمِ كلبِ

✦

وقال فيه :

لا تغتبط يا ٱبنَ "الحُصينِ" بصبيَةٍ — أضحت لديك كثيرة الأعدادِ
لا فخرَ فيك ولا ٱفتخارٌ فيهمُ — إن الكلابَ كثيرةُ الأولادِ

---

(١) السلافة : الخمر . (٢) الزلال : الماء العذب . (٣) فى الأصل «عتب» .

وقال فى ابن دارَسْت :

قالوا : ابنُ "دارستنا" وزيرٌ فقلتُ : لفظٌ بغيرِ معنَى
مثلُ لديغٍ يُدعَى "سليما"(١) "نَصْرًا" و"فَتحا"(٢) يُسمَى ويُكنَى
كأنّما وجهه كتابٌ سوَّدتَ فيه ظهرا وبطنَا
بعضُ وُعولِ(٣) الجبالِ لكن أطولُها لحيةً وقرنَا
أقبلَ من "فارس" إلينا فى عُصبةٍ كالحميرِ لُكْنَا
ظننتُهم حوله شِياها(٤) والشيخَ تيْسا والدستَ دِبْنا(٥)
يا رائدا دُلَّنا عليه صدقتَ حِسًّا وخبتَ ظنَّا

وقال فيه :

دَستُ الوزارةِ يبتغى حجَرا منكم ليستنجِى من الخبثِ
أو ليس مفترضا طهارتُه بعد "ابنِ دارَسْتٍ" من الحدثِ
ثُنيَتْ أرائكه على شَبحٍ خالٍ من الأعراضِ والجثثِ
ولربَّ حىٍّ فى تصوُّرِه والميْتُ خيرٌ منه فى الجَدَثِ(٦)

(١) يقال للملدوغ سليم تفاؤلا بسلامته من لدغته . (٢) فى الأصل «قبحا» وهو تصحيف . (٣) وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (٤) شياه : جمع شاة وهى معروفة . (٥) الدبن حظيرة للغنم تعمل من قصب ، فإن كانت من خشب فهى زرب — بكسر الزاى وفتحها — ؛ وإن كانت من حجارة فهى صيرة — بكسر الصاد — . (٦) الجدث : القبر .

* * *

وقال فيه :

لحى "ابنُ دارَسْتٍ" على إمساكه   فأجاب : إنى باذلُ الماعون[١]

أوَ لم تكونوا بيتَ بيتَ جِوارَنا[٢]   فقَريتكُم بالماء فى "كانونِ"[٣] ؟!

فارضوا بأسقيةِ الزلال قِرًى لكم   ودعوا الجفانَ فإنها بجفونى

لا كان زادٌ فى وعائك إنه   سببٌ لطاعمه من الطاعونِ

* * *

وقال عند عزله :

اِرجعْ الى ما أنت أهـلٌ لهْ   شُدَّ متاعَ القوم أوحُلَّهْ

قد عثر الدهرُ بكم عثرةً   ودَّ بها لو قطعوا رِجلَهْ

إنّ زمانا "لابن دارستَ" قد   قُدِّمَ فيه زمنٌ أبلهْ

قد قال عذرا حين وبّختُه :   لا بُدَّ للعالِم من زَلَّهْ

* * *

وكتب إلى صديقٍ له أهدى إليه رُطَبا معسَّلا وصابونا وقواصرَ[٤] تمرٍ يشكره .

ودادُك فى قلبى ألذُّ من المُنَى   وذكرُك أحلَى فى اللَّهاة[٥] من الشَّهدِ

---

(١) الماعون : المعروف . (٢) يقال : هو جارى بيت بيت أى ملاصقا ، وفى الأصل « أو لم يكونوا بيت بيت جواركم » والضمائر فى هذا البيت مضطربة فأثبتنا ما رجحناه ليستقيم المعنى . (٣) كانون : من الأشهر الرومية وهو من قلب الشتاء . (٤) قواصر : جمع قوصرة وهى وعاء من قصب يرفع به التمر من البوارى — وهى الحصر — . (٥) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم .

فلستُ بمحتاج إلى أن تُعينَه ... بما تتجنّه الباسقاتُ من الولدِ
ولكنّما أذكرتنى بشمائل ... جعلنَ على المُهدَى الفضيلةَ للمُهدى
أتتنا هداياك التى لم نجد لها ... جزاء سوى الشكر المكلّل بالحمدِ
معاليقُ(١) ياقوت تخالُ ثقوبها ... بأبشيزكاتِ(٢) التبر نُظّمنَ فى عِقدِ
وإنّ نتاجَ النحلِ والنخلِ واحدٌ ... وهل بين شكل الحاءِ والخاء من بُعدِ
أتت فى مُروطٍ(٣) من يراعٍ كأنها ... من القصَب المصرىِّ تختال فى بُردِ(٤)
وقد قدَّرتْ كفُّ الصَّناع(٥) التئامَها ... كتقدير "داود" المساميرَ فى السَّرد(٦)
تعانقنَ فيها كاعتناق حبائبٍ ... فما نتعاطاهنَّ إلا على جهدِ
إذا فرّقتهنّ البنانُ تشبَّثت(٧) ... بمثل هَباء الشمسِ خوفا من البُعدِ
وأخرى تجلَّت فى قميصِ زجاجةٍ ... كما ضُمّن القنديلُ لألأةَ الوقْدِ
نفَوا قلبها القاسى وآووا مكانَهُ ... رقيقا وإن ساواه فى اللون والقدِّ
فو الله ما أدرى أذاك تَحيتةٌ(٨) ... من الزُّبدِ أم هذا مصوغٌ من الزُّبدِ؟!
بكا للتنائى بعضُها فوق بعضِها ... دماً مُجْسَدا فى صِبغة اللحم والجلد

---

(١) معاليق : جمع معلاق وهو كل ما علق . (٢) كذا بالأصل وقد شكلت بالقلم ، ولم نعثر عليها ولعلها بمعنى "سلوك" . (٣) المرط : كساء من خز ، وربما تلقيه المرأة على رأسها تلفع به . (٤) البرد : الثوب . (٥) الصناع : الحاذق الماهر فى صنعته .

(٦) السرد : نسج الدرع — ويقال : إن أول من أحكم صنع الدرع داود عليه السلام — .

(٧) تشبثت : تعلقت . (٨) فى الأصل هكذا "محسه" .

وزادت بلون الزعفـران تصبُّغـا ولا تَشْنَعُ (١) الحسناءُ من حمرةِ الخدّ

فتـلك بَرانٍ (٢) أم مخازنُ جوهر حُشِينَ فريداتٍ من العـنبر الوردِ؟

اذا قلَّبتهنَّ الأكفُّ تعجُّبـا توهّمهـا الراءون تلـعبُ بالنَّردِ (٣)

وشهباء (٤) يُستجلَى الضَّريبُ (٥) بلونِهـا وطينتُهـا من عنصر الحجَر الصَّلدِ

مقابَلة الأضـلاع ، كان مثالُهـا قياسا "لذى القرنَين" فى زُبَر (٦) السَّدِّ (٧)

عَدُوَّة "مانى" (٨) فى البياض ، كأنّها ولونَ المشيبِ قد أقاما على عهدِ

وما عطَّـر الأثوابَ مثلُ مقدَّمٍ على المسك والكافور والعُودِ والنَّدِّ

أيادٍ توالت منك عجّـلَى كأنهـا شرارٌ أطارته الأكفُّ من الزَّندِ

وإنى فى عجـزى عن الشكر سائلٌ مساعدتى مَن كلَّمَ الناسَ فى المهدِ؟!!

* * *

وقال يهجو :

ضيوفُ "ابن فَضلانٍ" سواءٌ نهارُهم وليلُهــمُ صوما من الشّرب والأكلِ

ويُلزمهـــم أن ينكحـــوه وعِرسَه وصعبٌ على من شئتَ خرجٌ بلا دَخلِ

---

(١) تشنع : تقبح ، وفى الأصل هكذا « لسع » . (٢) البرانى : جمع برنية وهى وعاء من خزف . (٣) النرد : شىء معروف يلعب به — وهو ما يسمى « بالطاولة » — . (٤) يريد زجاجة بيضاء . (٥) الضريب : العسل الأبيض الغليظ . (٦) زبر : جمع زبرة وهى القطعة الضخمة من الحديد . (٧) السد : — بالفتح ويضم — الحاجز بين الشيئين والمراد به ما بناه ذو القرنين ؛ وقصته معروفة فى القرآن الكريم . (٨) مانى : رجل يقول الخير من النهار ، والشر من الليل ، ومذهبه مذهب المانوية ؛ — ومعنى البيت مضطرب — .

✣

وقال :

قل "لأبن جابرَ" الذى جعلَ اللهُ لــه كلّ خَــلّةٍ (١) قــذِرَه :
الجنُّ نارٌ والإنسُ من حَمَــإٍ (٢) فأنتَ لِمْ ذا خُلقتَ من عَذِرَه (٣)؟

✣

وقال فى سوداء :

عُلِّقتُهــا حَمّاءَ (٤) مصقــولةً سَــوادُ قلبى صفــةٌ فيهــا
ما آنكسف البدرُ على تِمِّه ونُورِه إلا ليحكيهــا
لأجلهــا الأزمان أوقاتُهــا مؤرخاتٌ من لياليهــا

✣

وقال فى الشيب :

لم أبكِ أن رحلَ الشبابُ وإنمــا أبكى لأنْ يتقاربَ الميعــادُ
شَعــرُ الفتى أوراقُه فاذا ذوَى جَفَّت (٥) على آثاره الأعــوادُ

✣

وكتب الى أبى الخير سعيد بن منصور بن مُوصَلَايا يستهدى منه أقلاما ومِدادا عند توجُّهِهِ إلى بعض الأسفار

"أبا الخير" المفيدَ لكلِّ خيرٍ وكاسىَ نُبْــلِه ريشَ الصوابِ

---

(١) الخلة : الخصلة ، والبيت غير متزن وقد تحاشينا التصرف فيه . (٢) الحمأ : الطين .
(٣) العذرة : الغائط . (٤) الحماء : السوداء كالحمأ وهو الطين . (٥) فى الأصل «خفت» وهو تصحيف .

ومن ألقى اليه الناسُ طرًّا مقاليدَ الكتابة والحسابِ
ومن إن شاء إنشاءً بليغا فليس يعُوزه فصلُ الخطابِ
فضائلُ يُنسَب الإحسانُ فيها كما نُسب القطارُ الى السحابِ
أرانا كلَّ معجبةٍ إلى أن أرانا عنده لونَ الشبابِ
مِدادا إن تضمَّنه محلٌّ ظننتُ مقرَّه وكرَ الغرابِ
فما أدرى أمن كُحلٍ مُماع تجسَّم أم دُجى ليلٍ مذابِ
تقولُ اللِّمّة (١) الشمطاءُ (٢) لمّا رأته : ليتَ هذا من خِضابى!
وقد أزِفَ الرحيلُ فلا مقامٌ سوى شدِّ الرِّحال على الركابِ
إلى ملكٍ توسَّط بين برٍّ وبحرٍ طافحٍ سامى العُبابِ
فلستُ بواجدٍ فيه أنيسا سوى الحيتان تُقرنُ بالضِّبابِ (٣)
فزوِّدْنى من الأنقاسِ (٤) قدرا يقوِّتنى إلى حين المآبِ
فإن أسعفتَ بالأقلام منّا فما يغنى الطعامُ عن الشرابِ

وقال :

تزاحَمُ فى صدرى القوافى ولا أرى لها مستحقًّا فى الزمان ولا أهلا
وكيف آمتداحى معشرا شجراتُهم عوارٍ فما تُجدى ثمارا ولا ظِلّا

---

(١) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٢) الشمطاء : التى خالطها سواد وبياض .
(٣) الضباب : جمع ضب وهو معروف . (٤) أنقاس : جمع نقس — بكسر النون — وهو الحبر .

فلو شَرُفوا بالعلم وٱطرحوا الندى تأوَّلتُ فيهم أنني أمدح الفضلا

ولو تركوا الآدابَ عنهم بمعزِلٍ وجادوا، لقلت: أمدحُ الجودوالبذلا

ولكنهم عن ذا وذاك تزحزحوا فلم أرَ أنى أمدحُ الجهلَ والبخلا

✦

وقال وقد سئل أن يلغز أبياتا فى النار :

هل تعرفُ الحسناءَ تَفـ ـخَرُ بالبروز على الطريقِ؟

ولها ولىٌّ لا يغـا رُ من الزيارةِ والطُّروقِ

لا يستريبُ بها وإن كانت شِعارا للرفيـقِ

وإذا ٱختفت فى خِدرها جُلِدتْ لتَظهرَ فى الحقوقِ

فأتتك منه فى حِدا دٍ ناصلٍ واهى الخروقِ

ثم ٱكتست بغِلالةٍ إما عَرارٍ (١) أو شقيقِ (٢)

تاجُ الزُّمُرُّد (٣) فوق مَفـ ـرقها يُرَصَّعُ بالعقيقِ

بين الأنام وبينها ماشئت من نسبٍ عريقِ

✦

وقال :

تقاعستُ عن أبناءِ دهرىَ عائفا مواردَ منهم ضافياتِ الغلائلِ

ولى قُرُباتٌ عندهم غيرأننى أضَنُّ على أفضالهم بفضائلى

(١) العرار : النرجس البرى ؛ او هو بهار ناعم أصفر طيب الرائحة . (٢) الشقيق : نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة . (٣) الزمرد — بالدال والذال — حجر كريم أخضر اللون .

* * *

وقال ولم يتمّمها :

فـزّ من الحبّ قلبُـه فنجَا ‏ ‏ ‏ ‏ من بعد ما خاضَ فى الهوى لُجَجَا

فما سـباه مالـثّم بضُحىً ‏ ‏ ‏ ‏ ولا شجاه معـمّم بـدُجَى

من يبكِ حَولا يُعذَرْ فكيف بمن ‏ ‏ ‏ ‏ بكَى على رسم دارهـم حِجَجا

هذا الّلّى ذلك الذى شغف الـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـقلبَ وخمـرُ الثغور ما مُزِجا

فكيف حالَ الغـرامُ منه قِلًى(١) ‏ ‏ ‏ ‏ ونال من بعـد شدّةٍ فرَجا

لا تأمنَنّى على مراجعـةٍ؛ ‏ ‏ ‏ ‏ مَن دبّر الحبَّ قبلَنا بحِجَا؟

يا ناقـةَ الظبيـةِ التى ظعنَتْ ‏ ‏ ‏ ‏ أهـودجا ما حملتِ أم بُرُجا؟

زاد بـكِ البـدرُ فى منازله ‏ ‏ ‏ ‏ منزلتيْـا "عُسْفَانَ(٢) أو أَمَجَا(٣)"

قد أغربَ القينُ(٤) فى سهامهمُ ‏ ‏ ‏ ‏ راشَ بهُـدبٍ ونصّـلَ الدَّعَجا

أليس هـذا السلاحُ ويحكمُ ‏ ‏ ‏ ‏ أحكَمَ "داودُ" الذى نَسـجَا

كانت دموعى ماءً فصرنَ دَمًا ‏ ‏ ‏ ‏ أأبـدل السنُّ شأنَهـا ودَجَا(٥)؟

ونار قلبى هى التى ظهـرت ‏ ‏ ‏ ‏ تُوقدُ فى الليـل مَفـرِق(٦) سُرُجا(٧)

---

(١) القلى : البغض (٢) عسفان : منهل من مناهـل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل غير ذلك . (٣) أمج : بلد من أعراض المدينة . (٤) القين : الحـداد . (٥) الودج : عرق فى العنق إذا قطع لا تبقى معه حياة . (٦) المفرق : — من الرأس — محل فرق الشعر . (٧) سرج : جمع سراج وهو معروف .

ليت الذى نظَّـمَ اللآلئَ فى فـرعِى خَـلَّى مكانهـا السَّبجا (١)

يا مولجَ الليـلِ فى النهـارِ أما آن لصبحٍ فى الليـل أن يَلجا؟!

✤

وقال ولم يتمّمها :

جاريتُ فى الحبّ (٢) أطلاقا (٣) بلا أمدِ فها أنا سابقُ (٤) العُشاقِ بالكمـدِ

ما يستطيل فؤادى فى الهوى سَفَرا والهمُّ زادى وماءُ العين من عُدَدِى

خفْ يا مليكىَ أن يفنَى عذابُك لى ولا تخفْ أننى أبقى بـلا جَـلَدِ

جيشٌ من الصبرعندى ليس يهزِمهُ شـوقٌ تُغـير سَرَاياه (٥) على الكبِـدِ

بلغتُ أقصَى المَدى فيه وما ثلَمتْ منه الوشاةُ فـلم ينقُص ولم يزِدِ

إن الألى ملئُوا الأجفانَ من مطرٍ هـم الألى ملئوا الأفواهَ من بَرَدِ

مَن نابهُ شنَبٌ (٦) وظُفْـرُه عَـنَمٌ (٧) فهو الغزال الذى يجنى على الأسدِ

نفسى إلى الله لا تشكو جفـاءكُمُ ولا إليكم ، فهل تشكو إلى أحدِ؟!

✤

وقال :

تُسائلنى دِرعى : أهذى هى النَّبْلُ؟ لعـلَّ الذى شبهْتَـه الأعينُ النُّجلُ!!

---

(١) السبج : الخرز الأسود — فارسى معرب — . (٢) فى الأصل «حاربت» وهو تصحيف .

(٣) أطلاق : جمع طلق — بفتح الطاء واللام — الشوط ؛ — وبضم الطاء واللام — غير المقيد من البعران أو النوق ؛ والفرس اذا كانت إحدى قوائمها لا تحجيل فيها . (٤) فى الأصل «ساق» وهو تحريف . (٥) سرايا : جمع سرية وهى القطعة من الجيش . (٦) الشنب : ماء ورقة فى الأسنان . (٧) العنم : شجر ثمره أحمر يشبه البنان المخضوبة .

رمَيْن (١) سهاما فى الجسوم جراحُها، — وما أنتَ من سهم به يخرُج العقلُ؟!
متى ما تجِدْ لى الشمسَ فى غسَقِ الدُّجى — أجِدْ لك قلبا ماله فى الهوى شغلُ
ولولا اتّفاقُ الناس فى الحبِّ أنه — قديمٌ، لقلتُ: لوعتى مالَها قبْلُ
أيا حادىَ الأظعان أعجِلْ فإنها الـ — منايا، وبعضُ البرِّ أن يؤجَرَ (٢) القتلُ
ويا قلبُ أقرِرْ بالذى كنتَ جاحدا — فقد ضجِر اللاحى وقد فنِىَ العذلُ
يزيد الحسانَ البيضَ فى اللؤم رغبةً — تصوُّرُنا أنْ منهمُ يحسُن البُخلُ

✦

وقال :

يا "آل عَوف" أنجِدوا الصَّبّا — ولطالما فرَّجتُم الكَرْبا
كان ابتداء أخيكمُ مِقَةً — ثم استحالت بعدَ ذا حَربا
كُفُّوا ظباءً فى مَسارحكم — تَسبى اذا غُزِيَتْ (٣) ولا تُسْبَى
وخذوا يدى اليمنَى معاهدةً — أن لا تعاود مقلتى الحُبَّا
قالوا: حلَلنا عنهُ رِبقَتَهُ، — صدَقوا، وشدّوا العينَ والقلبا

✦

وقال ولم يتمّها :

أتنساها على "خَيْف — مِنًى" تَهوِى أبابيلا (٤)

---

(١) فى الأصل هكذا «معين» ولعلها محرفة عن «رمين» بأن شبكت الراء فى الميم فالتبست على الناسخ .

(٢) فى الأصل هكذا «يوحر» .

(٣) فى الأصل «غزنت» وهو تصحيف .

(٤) الأبابيل الجماعات .

وقـد ألبسها الوخدُ (١) مِن المَرْو (٢) خلاخيلا
رُبّى فيها ترى الحام ل قـد شابَهَ محمـولا
فـذا بالنُّسك منحـورا وذا بالحبّ مقـتولا
أتـدرِى أيّها أسـر عُ للأرواح ترحيـلا
هـل البِيضَ المباتيرَ (٣) أم البيضَ العَطابيـلا (٤)؟
وليس الخـدُّ مصقولا بدون السيف مصقولا
أمَن يقطعُ فى غِمدٍ كمَن يقطـع مسلولا؟
ألا يازاجـرَ السانـ ح (٥) ما أحسنتَ تأويلا
جَرَى اليمنى وما صادفـ ـتَ حبلَ الوصل موصولا
أرَى الخِدرَ (٦) لما يصنـ ـعُ بى سُكّانُهُ غِيلا (٧)

✣

وقال :

أظنُّك تبتغى حلَبَ الشـغورِ ولو عُوِّضْتَ بالماء النميرِ

---

(١) بالأصل، "الوجد"؛ والوخد : ضرب من السير السريع . (٢) المرو : حجارة بيض براقة ، وهو أيضا موضع من شعائر الحج . (٣) فى الأصل « السمر » وكتب أمام هذا البيت فى هامش الأصل « أظنه البيض » ؛ ونحن نرجحها لأن السمر — وهى الرماح — لا توصف بأنها باترة ، والبيض المباتير : السيوف القاطعة والبيض الثانية : الجوارى الحسان . (٤) العطابيل : جمع عطبول وهى الجميلة الطويلة العنق . (٥) السانح : الطائر أو الظبى يمر من اليمين — والعرب تتفاءل بهوضده البارح — . (٦) الخدر : بيت الجارية . (٧) الغيل : بيت الأسد .

وتطلبُ من حَمامِ الأيك لحنا   يَهيج بلابلَ القلب الذَّكورِ

✦

وقال :

يا كاهنَ الحبِّ خبّرنى مَن الجانى   عينى التى عشِقت أم طَـرْفِىَ الرانى؟ (١)

ولو علِمتَ الذى يجـرِى على كبدى   لقلتَ : إنهما فى الحبِّ سِـيّانِ (٢)

✦

وقال ولم يتمها :

قد علمَتْ ليـلة الحمى ورَعِى   والبـدرُ فيهـا فريسةُ الطمع

أُغمِضُ عينىّ عن محاسنها   والقلبُ ما تذكر الجفونُ يعى

تزجرُنا خيفة "الإمامِ" عن الـصَّـ   ـبوةِ زجرَ المشيبِ والصَّلع

"القـائم" المنتضى صوارمَه   على رءُوس الأهواءِ والبـدَع

بذكـر أسمائه التى شرُفت   يُعرَفُ فضـلُ الأعيادِ والجُمع

✦

وقال ولم يتمها :

لا مجـدَ إلا" للإمام القـائم"   وإن آدّعته عصابةٌ من "هاشم"

نرضَى لدينِ الله والدنيا الذى   رضِىَ النبىُّ لـبُرْده والخاتمِ

---

(١) كذا بالأصل ، ومعنى العين والطرف واحد ، ولعل صوابه :

* عَينِى التى عَشِقَتْ أمْ قلبىَ العانى *

(٢) فى الأصل «الحسن» وقد كتب فوقها بالقلم الرصاص «الحب» فرجحناها .

وقال فى غَرَض :

أُقسم بالعـاديات(١) ضَبْحا(٢) حقًّا وبالموريات قَدْحا(٣) :

بأنكم توسعون مَقْتا من زادكم عِفـة ونصحا !

فى كلّ يوم لكم سطورٌ تُكتبُ بالعهـد ثم تُمحَى

وكلُّ ما يُبْتَنَى عِشاءً يُهـدَمُ بعد التمـام صُبحا

كالأفق إن غام فى جَنوبٍ هبّتْ شَمـالٌ له فأصحَى

آمالُنـا فيكُمُ هبـاءٌ أضربَ عنها الرجالُ صفحا

من همُّه أخذُ رأسِ مالى فكيف أرجو لديه ربحا ؟!

وقال :

ياليتهـم حين صَيَّروا خَدَما عُمَّـالَ عُمَّالهـم كما حَكَما :

جَرَوا على ذلك القياسِ بأن تصـيرَ عُمَّالُهُم لهـم خدَما

وقال ولم يتمّها :

بعينيـك إضرامُهـم للأُكَمْ بحُمْـرِ القِبابِ وحُمْـرِ النَّعَمْ

تَخَيَّلهـا الضيفُ نارَ القِـرَى وما هى إلا قـلوبُ الأمَـمْ

---

(١) العاديات : الخيل — سميت بذلك لعدوها — . (٢) الضبح : صوت الخيل فى عدوها لا بالصهيل ولا الحمحمة . (٣) الموريات : الخيـل تصك الحجارة بحوافرها فتبدو منها النار — على التشبيه بإيراء الزناد — .

ورقَّ الحُـداةُ لإنصاتِهـم[(١)] فأبدلْتَها بالسـياطِ النَّـغَمْ
لقد كذبَ الفالُ لما زجرتُ ظباءَ "سُليمٍ" "بوادى السَّلَمْ"[(٢)]
فما كُنَّ إلا الجوى والأسى وطولَ السهادِ وفرطَ السَّقَمْ
أترجو لمن قد هَوِى صحّـةً وما علّـةُ الحبِّ إلا اللَّمَـمْ؟[(٣)]
ولما رأى البُرءَ فى عَـذْلِه رماه الهوى بالعمَى والصَّمَمْ
تظنُّ السحائبَ أجفـانَهُ لو أنَّ السحائبَ تهمى بدمْ
ولولا الغـرامُ لما شاقَـه حَمامٌ دعَا أو غـزالٌ بَغَـمْ[(٤)]

✢

وقال ولم يتمّها :

غدًا تراهـا جُنَّحًا على "الغضا" تطلُب عهدا من زمان قد مضَى
ما بالها خاشعـةً أبصارُهـا إلا اذا برقُ "العقيق" أومَضـا
مُروعـةً تحسَبُ فى هاماتها صـوارما منـه عليهـا تُنتَضَى
حنَّتْ إلى ركب "الحجاز" تشتكى إليه من أهلِ "العُذَيبِ" مَرَضا
مالكَ فى الركبِ غريمٌ ماطلٌ؟ بلَى، على الحىّ ديونٌ تُقتَضَى
قال : وهل ترجو الوفاءَ عندهم كأنها على الأجلِّ "المرُتضَى"[(٥)]

(١) فى الأصل «لأنصابهم» وهو تصحيف . (٢) فى الأصل «ووادى السلم» وهو تحريف .
(٣) اللم : الجنون . (٤) البغام : صوت الظبى . (٥) الهاء فى كأنها عائدة الى الديون فى البيت السابق .

وقال :

وقائلٍ : لِمْ هجرتَ الشعرَ من زمنٍ فقلتُ قولَ أمرئٍ من خيرهِ يئِس :
رأيتُ هجوى أناسا معجزا لهمُ (١) وخاب مدحى فبعتُ النُّطقَ بالخرس

وقال :

قل "لابن قُرّانٍ" مقالةَ ناصحٍ : أخطأتَ حين نكحتَ حُوراً عِينا
عَلِقتْ حِبالُك ظبيةً وتركتَها وكأنها لم تحو منك قرينا
تالله أقسم أنها إن لم تعُدْ بعدَ البكارةِ لاحقا وأبونا
تركتْكَ كاسم أبيكَ تفتحُ قافَهُ وتزيدُ فيه بعد راءٍ نونا (٢)

وقال وسُئل عملَ أبيات فى النارنج :

إذا فُتِنَ الإنسانُ يوما بمنظرٍ فإنى إلى النارنج مائلةٌ نفسى
تظنُّ السماءَ خُضرةً شجراتِهِ وتحسَبه ما بينها كُرَةَ الشمسِ

وقال يُلغز بجرّة :

ذاتُ أيدٍ ثلاثةٍ أبدَ الدهـ ـرِ ترى فوقَ رأسِها أيديها

(١) كذا بالأصل ويحتمل أن تكون "مفخرا" .

(٢) يريد أن اسمه يصير «قرنان» وهو بمعنى الديوث — وهو الذى يرى الريبة على أهله فيغض عنها —

شَرِبَتْ ماسقيتَها من شراب   ثم تسقيك مثلَ ماتسقيها

خَــرْتُ(١) آذانها مَغَابِنُ(٢) أيديـ   ـها ويافُوخها مقــرٌّ لفيها

✦ ✦ ✦

وقال يهجــو :

قالوا : "ابن مالك" قَرنانٌ فقلت لهم :   كذبتمُ وأثمتم بل لــه ذَنَبُ

لوكان يملِك قرناكان ينطح عن   شاةٍ له كلُّ تيسٍ فــوقَها يثِبُ

✦ ✦ ✦

وقال :

عيوبٌ "لابن مالكَ" قد كفَتنى   عَناءَ الذمِّ فيــه والأهاجى

بــلى ! قالوا : له جارٌ جرىءٌ   على نِســوان عمال الخــراج

وليس بطــالبٍ منهنّ شيأ   سوى طلب الديوك من الدَّجاج

لــه رمحٌ بأسفلِ حالبيْــهِ   يجيد الطعنَ فى يوم الهياج

وقد نقهتْ عليه عِرسُ "يحيَى"   على وجه التداوى والعــلاج

لأنَّ بهــا على ما قيــل يَبْسا   وأنّ صــديقَها رطبُ المزاج

فحاز النَّيــكَ رِحمُ فيلسوفٌ   بــبرهانٍ صحيــحٍ واحتجاج

فــلا تفْرِر(٣) بهــا شرقا وغربا   فمــا أحدٌ من الحــدثانِ ناج

---

(١) الخرت : الثقب . (٢) المغابن : الآباط ، واحدها مغبن — بكسر الباء — .
(٣) فى الأصل هكذا « ىعرر » .

وقال :

"ليحيَى بن عبدالله" عِرسٌ كريمةٌ	تعاتبُـه أن صاغَـه اللهُ ساقطا
فما يمنعُ البطنَ الخميصةَ زانيًا	ولا يحرِم الظهرَ الموطّأ لائطا
فأيَّ سبيليها أراد سلوكَه	أصاب له فيـه شريكا مخالطا
ولو حَمَل "الثورُ"(١) السمائيُّ قرنَهُ	لخرَّ من الأفلاكِ بالأرض هابطا
ومن كان ذاك الوجهُ مِرآةَ وجهِهِ	فلا نُكرَ أنْ يُمسِى ويُصبحَ ساخطا
عَبوسٌ تظلُّ العينُ منـه قريحةً	كأنّ عليـه للقتادةِ(٢) حائطا
ألا ضلّةً للقـوم ردُّوا ولايةً	إليـك ولو كانت تُغِـلُّ قرارِطا(٣)
فما آستحفظوا إلا ذؤيْبا مُغاورا	وما آستودعوا إلا لُصَيْصا مغالطا
فلا تبتهج بعاجل الأمر فيهـمُ	فسوف ترَى فى أخدَعيْك(٤) المَشارِطا
ستلقَى أليمَ الأخذ للعظم كاسرا	وللحم مِنضاجا وللجِلـد سامِطا
وإن تنجُ لا يُنجيك من سطواته	بنفسك إلا أن تحُلَّ الخرائطا(٥)

(١) يريد برج الثور، — وهو أحد البروج التى تنزلها الشمس — .

(٢) القتادة : شوك شجر صلب كالإبر . (٣) قرارط : جمع قيراط — كمفتاح ومفاتح — والقيراط بمكة ربع سدس الدينار؛ وفى العراق نصف عشره، ويستعمل القيراط أيضا فى المساحة وقد جعل دستورا فى الحساب، فإنهم يقسمون المتجزئات الى أربعة وعشرين قيراطا لأنه أول عدد له نصف وثلث وربع وسدس وثمن صحاح من غير كسر فيطرد التقدير به . (٤) الأخدع : عرق فى الرقبة إذا قطع لا ترجى بعده حياة . (٥) الخريطة : وعاء من أدم يشرج على ما فيه .

فأعِدْ لهم ما خنتَ فيه سواهُمُ ... وعَدِّك (١) بلم تنظر بعينيك "واسطا"

و يا بَرْدَها عند الفؤادِ بأن ترى ... على قارعاتِ الطُّرْق كفّيك باسِطا (٢)

✦ ✦ ✦

وقال :

يا دُرَّة البحر لو أنصفت نفسك ما ... جعلتها سِـلكَ دُمْـلوجٍ (٣) وخَلخالِ

كم ذى حُلِيٍّ وقد أزرَى به عَطَـلٌ ... وعاطل ليس يدرى أنـه حالِ

لولا الهوى لم يبتْ سكّانُ "كاظمةٍ" ... ممّن منازلهم "بجْـرٌ" على بالِ

✦ ✦ ✦

وقال :

علَى مَن تبيعُ متاعَ الأدبْ ... وتنثُرُ دُرَّ كلام العـرَبْ؟

ومن يستحقُّ حُلِيَّ المديح ... يصاغُ له كحُلِيِّ الذهبْ؟

✦ ✦ ✦

وقال :

سَنَحْن كما اعترضَ الرَبربُ (٤) ... ولكنَّ صـدَّهم أعجبُ

وجوهٌ ترقـرقَ ماء الجما ... لِ فيهنّ لو أنّه يُشْـرَبُ!

---

(١) عدك : اصرف نفسك . (٢) يريد أنها تراه متسولا . (٣) الدملوج : حلية كالسوار تلبس فى الذراع . (٤) الربرب : القطيع من الظباء .

✦

وقال :

وليلةٍ قد نسجَتْ ريحُها غـيماً به آفاقُهـا تكتسى
ما زال يطوى النجمُ أخبارَهُ فيها عن الناظر حتى نُسِى
خلنا بها الأرضَ سماءً وقد أُطلعَ فيهـا أنجمُ الـنرجِسِ

✦

وقال :

عَذبٌ من الماءِ قد سُدّتْ مواردُه سيّانِ واجدُ ممنـوع وفاقـدُهُ
تجفو تعـذُّرَ حِبٍّ لست تُبصرهُ والمُـرُّ حِرمانُ محبـوبٍ تُشاهـدُهُ
أرخى ذوائبَـه دونى يُشكّكُنى أهى التى سـترتهُ أم ولائـدُهُ(١)؟!
فليت قَدْ قَدَّ من جفـنى براقعَـه وإن كفَى قُصِّلتْ منـهُ مجاسِدُه
القدُّ والخصر والطرفُ الكحيلُ له فكيفَ يُغلَبُ مَن هذى مكايدُهُ؟!
وما أردتُ سـلُوّاً عن محبتِـه إلا وقلبى على كُلِّى يُساعـدُهُ

✦

وقال :

يا حسنَ مَغداكَ وطيبَ الرواحْ ذاك هو السعىُ وهـذا النجاحْ
مـذ زجَروا فألَك أعلمتَهـم إمساكَ أيديهم عنانَ القِـداحْ

(١) ولائد : جمع وليدة وهى الأمة .

وقال :

قــد عاد بدرُ الدجى الى فلَكهْ … يغسلُ وجهَ الظلام عن حَلَكهْ

سَرَى وأفراسُــه مطالعُـــهُ … ونَقعهُنَّ المُثـارُ من حُبُـكهْ (١)

فاقتنَصَ المجـدَ فوق عاتِقـهِ … واستأسر المكرماتِ فى شَرَكهْ

أهدىَ به الفضلَ والسماحةَ وال … ـعزمَ "إمامُ الهدَى" الى مَلِكهْ

وقال :

شَككتُ وقــد زارنى غَلطةً … أفى يقْظـةٍ ما أرى أم مَنـامْ؟!

وقال :

تسعىَ بنا قدمُ الرجاءِ وما الذى … يُغنِى إذا قَعدتْ بنا الأرزاقُ!!

وقال :

قومٌ كئوسُهم السيوفُ وخمرُهم … ما استخرجتْ من شاخِبِ (٢) الأوداجِ (٣)

(١) الحبك : الطرق . (٢) الشاخب : السائل . (٣) أوداج : جمع ودج وهو عرق فى العنق إذا قطع لاترجى بعده حياة .

✢

وقال :

لا يَهُنْ عندك آختلالٌ بجسمى   فقِوامُ الأرواحِ بالأجسامِ

✢

وقال :

ما يصنعُ المستتِرُ (١) بالغابِ   صُنعَ ظِباءٍ وراءَ أطنابِ (٢)

جفونُ هذِى باللحظِ تُرسلُها   أقتلُ مِن ذا بالظُّفْرِ والنابِ

انتهى

---

(١) المستتر : المختفى ، — ويريد به الأسد — .

(٢) أطناب : جمع طنب وهو حبل طويل يشدّ به سرادق البيت .

هــذا آخر ما وجد بالنسخة المخطوطة

* * *

"قال عبدُ الله بن إبراهيم الخيرى : هذا آخر ما وُجِدَ من شعرِه ؛ وكان رحمه اللهُ يقول :

إن أكثرَ شعرِه ضاعت مسوداتُه فى النُّهوبِ والاختلافاتِ؛ وما كان سبب جمعِه غيرى، وكان رحِمه اللهُ كلَّما عمِل بعد ذلك قصيدةً يُنفذها الىّ، ويقرؤها علىّ؛ والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلاتُه وسلامُه على محمدٍ النبىِّ الأمىِّ وآلِه الطاهرين أجمعين".

كتبها بخطه لنفسه محمود سامى الشهير بالبارودى

من دار الكتب الشهيرة بطوب قپوسراى

بدار الخلافة العلية بالقسطنطينية

فى شهر رمضان سنة ١٢٨٥ من

نسخة بخط ابى على

الحسن ابن على

كتبها

سنة ٥٢٦

وقدتم نسخها فى ستة ايام لضيق الوقت

إحتمال

نضع فى هـذه الصفحة بعضَ آحتمالاتٍ على سبيل المثال مما ورد فى هـذا الديوان لطائفةٍ من الكلماتِ التى تحتملُ وجها آخرَ غير جازمين بها إلا على وجه هذا الآحتمال وللشعر وجوه :

صفحة	سطر	
٢	٨	أعراس — يحتمل فيها فتح الهمزة على أنها جمع ، وكسرها على أنها مصدر .
٣٣	٣	مُحلّق — كذا بالأصل، ومن قراءة البيت يجوز أن يكون معناه : أن هذا الجواد لا يسبقه شىء حتى الطير المحلق فى مداه، ونقول إن من المحتمل أن يكون " مُخلّق " بمعنى ممسوح بالخلوق وهو طيب يغلب على أجزائه الزعفران ، وكانت العرب تمسح به على وجه الجواد السابق للدلالة عليه . وكان من عاداتهم أيضا أنهم اذا أرسلوا خيلا على صيد فسبق أحدها خضبوا صدره بدم الصيد بدل الخلوق علامة له .
٣٤	٣	يحنُب — كذا بالأصل، ونرجح أن تكون "يحلِب" وإن كان للأولى معنى ولكنه غير دقيق .
٤٤	٢	طال — كذا بالأصل وله معنى بعيد، ونحن نؤثر أن يكون صوابه " حان " .
٥٨	٩	تُزهَى لَهُ — كذا بالأصل و بمختارات البارودى ؛ و يحتمل أن تكون "تُزهَى بهِ" كما يقتضيه الأستعمال الفصيح .
٦٩	١٠	المربع — من المحتمل أن تكون " المرتع " .

صفحة	سطر	
١٠٩	٧	إن مرِضتْ ليلةٌ عُمْىٌ كواكبُها — كذا بالأصل ، وهو لا يخلو من معنى ؛ ويحتمل أن يكون : * إن عَرَضَتْ ليلةٌ عُمَّتْ كواكبُها *
١٧٤	٨	ليهنِك — كذا بالأصل ويستعملها كثير من الشعراء على زعم أنها صواب ، وقد جاء فى اللسان : « والعرب تقول : ليهنئك الفارس — بجزم الهمزة — ، وليهنيك الفارس — بياء ساكنة — ولا يجوز ليهنك كما تقول العامة » .

ملاحظـــة

شرحت كلمتان فى هـذا الديوان بغير المعنى الذى يقتضيه سياقهما ، الأولى فى صفحة ١٤٢ رقم ٢ من الشرح وهى « السابرىّ » : الثوب الجيد ؛ وصوابه «الدرع المحكمة النسج» . والثانية فى صفحة ١٥٨ رقم ٧ من الشرح وهى «المزاد» : وعاء يوضع فيه الزاد، وصوابه : « وعاء من جلد يوضع فيه الماء » .

إســتدراك

نستدركُ فى هــذه الصفحة أغلاطا وقَعتْ فى هــذا الديوان أثناء الطبع ، وهى وإن كانت لا تخفَى إلا أنّنا آثرنا أن ننبه عليها ليرجعَ اليها القارئ فى محلّها .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥	١٠	دَهُرِيّة	دُهْرِيّة
٣٤	٤	المُصيف	المَصيف
٣٦	١٢	يزال	زال
٤٩	٧	وحَش	وحِش
٥٥	٧	ياعزّ	باغَرّ
٥٥	٧	فوق	فَرْق
٥٧	١٠	الصورُ	الصدرُ
٦٨	١٢	أطلال	أظلال
٦٨	١٢	الرجال	الرحال
٧٠	٥	سحابةٍ	سحابةٌ
٨٤	٢	يقطُف	يقطِف
٩٣	٩	مِراح	مُراح
١١١	١١	تعرَض	تعرَّض
١١٧	٩	برهم	مَرهم
١١٩	١	أصوم	أحوم
١٣٤	٤	قُطار	قطار

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣٨	٧	قُطار	قِطار
١٤٠	٢	فأعلَى	فأغلَى
١٤٧	١٤	شُمُتُ	شُمُتٌ
١٦٠	٤	قَسَّ	قُسٌّ
١٦٥	٨	يُخَدِّع	يُجْذِعُ (١)

(١) يجذع : يصير جذعا — وهو من الخيل والإبل — ما قبل الثنى .

(مطبعة الدار ٤٨/١٩٣٢/٢٢٥٠)